جواهر البلاغة
فى
المعانى والبيان والبَديع

تأليف
السيد أحمد الهاشمى
رحمه الله

قَرَأَهُ وَضَبَطَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه
محمد رضوان مهنا

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

مكتبة الإيمان بالمنصور
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حـمداً لمن خصَّ سـيِّد الرُّسل بكمـال الفَصاحـة بين البَدو والحضَر، وأنطقـهُ بجوامع الكلِمَ فـأعجـز بُلَغاء رَبيعـةَ ومُضَر، وأنزل عليه الكتـاب الْمُفْحِم بتَحدِّيه مَصاقع بُلغـاء الأعراب، وآتاه بحـكمته أسـرار البلاغـة وَفصل الخطاب، ومـنحهُ الأسلُوب الحكيم فى جـوامـع كلمـه، وخصَّ «السَّعـادة الأبدية»[1] لُمقتـفى آثاره وحِكَمِه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصـحابه «جواهر البـلاغة» الذين نَظمُوا لآلئ البديع فى عُقود الإيجاز والإطناب، فَفُهنا[2] بعد اللَّكَن «بجواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرَّزنا سُطـور الطَّرُوس «بجواهر الأدب» فصـارت «المُفرد العَلم» فى باب النّسب[3] .

(وبعد) فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة مِن بَينها أجلها شأناً وأبينها تبْياناً، إذْ هو الكفيل بإيضاح حـقائق التَّنزِيل؛ وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالى بتدريس البيان بالمدارس الثَّانوية، كانت البواعثُ داعيةً إلى تأليف كتاب «جـواهر البلاغة» جامعاً للمُهمَّات من القواعد والتطبيقات .

وأسأل المولى جل شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب، وهو الموفق للحق والصَّواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمى

---

(١) هذا وما ذكـر (السعادة الأبدية) وجـواهر البلاغة، وجـواهر الإعراب، وميـزان الذهب وجواهر الأدب، والمفرد العلم) فى هذه المقدمة أسماء كتب مطبـوعة لمؤلف هذا الكتاب وغيرها من الكتب التى لم نذكرها هنا .

(٢) فُهْنا: فاه: نطق ببليغ الكلام، اللكن: لَكَن، لُكْنَه، لُكُونة: عَيّ وثقل لسانه .

(٣) الوصف والشرف: وصف الشئ وذكر نسبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لَمَّا وُضِع «علمُ الصَّرف» للنَّظر فى أبنية[١] الألفاظ.

ووُضِع علمُ النَّحْو للنَّظر[٢] فى إعراب ما تركب منها.

وُضِع «البيان»[٣] للنَّظر فى أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

العلم الأول: ما يُحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى الذى يُريدُه المُتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، ويُسمَّى «علم المعانى».

العلم الثانى: ما يحترز به عن التعقيد المعنوى، - أى عن أن يكونَ الكلامُ غير واضح الدَّلالة على المعنى المُراد، ويُسمَّى «علم البيان».

العلم الثالث: مَا يُراد به تحسين الكلام ويُسمَّى «علم البديع»، فعلم البديع تابع لهما، إذ بهما يُعرف التحسين الذَّاتى، وبه يعرف التحسين العرضى.

والكلام باعتباره «المعانى البيان» يقال إنه:

«**فصيحٌ**» من حيثُ اللفظ؛ لأن النّظر فى الفصاحة إلى مُجَرَّد اللفظ دون المعنى.

«**وبليغٌ**» من حيث اللفظ والمعنى جميعاً؛ لأنّ البلاغة يُنظر فيها إلى الجانبين[٤].

وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمرٌ خارجى يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ.

إذا تقرَّر ذلك، وجب على طالب البيان أن يعرف قبل الشروع فيه معرفة معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنهما محورهُ، وإليهما مرجع أبحاثه.

فهما الغاية التى يَقِفُ عندها المتكلم والكاتب، والضالةُ التى يَنشدانها.

---

(١) ضبط بنية الكلمة . (٢) ضبط أواخر الكلمة .

(٣) خص بالبحث عن التشبيه والاستعارة والكناية . والمجاز المرسل . والهدف منه نقل مشاعر الأديب إلى المتلقى فيشاركه مشاعره وأحاسيسه .

(٤) الفصاحة: تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ، والبلاغة: إنهاء المعنى فى القلب فهى مقصورة على المعنى. . والدليل على أن الفصاحة تتناول اللفظ والبلاغة تتضمن المعنى: أن الببغاء يسمى فصيحًا ولا يسمى بليغا، لأنه مقيم للحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذى يؤديه .

وما عقد أَئمَّةُ البيان الفضولَ، ولا بَوَّبوا الأبواب، إلا بُغية أن يوقفوا المُسترشد على تحقيقات، وملاحظات، وضوابط، إذا رُوعيتْ فى خطابه، أو كتابه بلغت الحدّ المطلوبَ من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود فى نفس السَّامع، واتَّصَفَت من ثَمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة.

●●●●●

مقدمة

(فى معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة

الفصاحة: تُطلق فى اللّغة على معـان كثيرة، منها: البيـانُ والظُّهور، قال الله تعالى ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]، أى أبيَنُ مِنِّى منْطقاً وأظهرُ مِنِّى قَوْلا.

ويُقال: أفصح الصَّبىُّ فى منطقه، إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب: أفصح الصُّبح، إذا أضاء، وفَصح أيضاً.

وأفصح الأعجمىُّ، إذا أَبان بعدَ أن لم يكن يُفْصِح ويُبين.

وفصح اللسان، إذا عـبَّرَ عَمَّا فى نفسـه، وأظهـره على وجـه الصَّوَاب دون الخطأ.

والفصاحة: فى اصطلاح أهل المعـانى، عـبارة عن الألفـاظ البـيِّنة الظّاهرة، المُتَبادرةِ إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشّعراء لمكان حُسنها.

وهى تقع وصفـاً للكلمة؛ والكلام، والمتكلّم؛ حَسبـما يعتـبر الكاتب اللفظة وحدَها، أو مَسبوكة مع أخواتها.

●●●●●

فصاحة الكلمة

١ ـ خلوصها من تنافر الحروف[1]: لتكون رقيقة عَذْبة، تَخفّ على اللسان؛ ولا تَثْقُل على السَّمع، فلفظ: أسد، أخفّ من لفظ فَدَوْكَسٍ!

٢ ـ خلوصها من الغَرَابةِ، وتكون مألوفة الاستعمال.

٣ ـ خلوصها من مخالفة القياس الصرفى، حتى لا تكون شاذة.

٤ ـ خلوصها من الكراهة فى السمع.

أمّا تنافُر الحروف: فهو وصفٌ فى الكلمة يُوجِبُ ثِقلها على السَّمع وصعوبة أدائها باللِّسان، بسبب كون حروف الكلمةُ متقاربة المخارج. **وهو نوعان:**

١ ـ **شديدٌ فى الثقل:** كالظَّش: للموضع الخشن، ونحو: هُعَخِع لنبت ترعاه الإبل من قول أعرابى:

تركتُ ناقَتى ترْعَى الهُعْخِع

٢ ـ **وخفيف فى الثقل:** كالنّقنقة: لصوت الضفادع، والنُّقَاخ: للماء العذب الصافى، ونحو: مُسْتَشْزِرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرئ القيس يصف شَعر ابنة عمِّه: [البحر الطويل].

غدائرهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العـــــلا   تَضِل العقاصَ فى مُثَنًّى ومُرْسَل

ولا ضابطَ لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذّوق السليم، والحِسّ الصادق الناجمين عن النظر فى كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

وأمّا غَرابة الاستعمال، فهى كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء؛ لأنّ المعوّل عليه فى ذلك استعمالهم.

والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يُوجب حيرة السّامع فى فَهْم المعنى المقصُود من الكلمة:

(١) تنافر الحروف: تباعد مخارجها مما يحدث الثقل فى النطق بها، وتثْقُل على السَّمع.

لتردّدها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.

وذلك في الألفاظ المشتركة: كمُسرّج، من قول رُؤْبَة بن العَجاج: [الرجز]

ومُقْلةً وحَاجِباً مُزَجّجا وفاحماً ومَرْسَناً مُسَرَّجا

فلا يُعلم ما أراد بقوله: مُسرَّجاً حتى اختَلف أئمة اللغة في تخريجه.

فقال ابن دُريد: يريد أنّ أنفه في الاستواء والدِّقة كالسيف السَّريجي.

وقال «ابنُ سيدَه»: يُريد أنه في البريق واللمعان كالسّراج.

فلهذا يَحتار السَّامعُ في فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين.

بدون «قرينة» تُعيِّن المقصود منهما.

فلأجل هذا التردد، ولأجل أنّ مادة (فعّل) تدلّ على مجرّد نسبة شيء لشيء، لا على النسبة التشبيهيّة: كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة - كلفظة: عَزَّر في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فإنها مشتركة بين التّعظيم والإهانة.

ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبُّع اللغات.

وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم وقواميس متن اللغة المطولة.

أ - فمنه ما يُعثر فيها على تفسيره بَعْدَ كَدٍّ، وبَحث نحو: تكأكأتم بمعنى (اجتمعتم) من قول عيسى بن عمرو النحوي:

مَا لَكُمْ تكأكَأْتُم(١) عَلَيَّ، كتكأكُئِكُم على ذي جِنّة(٢)؟ افرنقعُوا(٣) عنّي - ونحو (مُشْمَخِرٌّ)(٤) في قول: بِشْرِ بن عَوَانة. يَصفُ الأسدَ: [الوافر].

فخرَّ مُدَرَّجاً بِدمٍ كأني هَدَمْتُ به بِناءً مُشْمَخِرَّا

---

(١) اجتمعتم. (٢) مجنون. (٣) انصرفوا. (٤) المتكبر: الضخم من الناس.

ب ـ ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو: (جَحْلَنْجَع) من قول أبى الهمَيْسَعْ [الرجز]

مِنْ طَمحة صَبِيرها جَحلَنْجَع لم يحضها الجدول بالتّنوُّع

وأمَّا مُخالفة القياس: فهو كون الكلمة شاذّة غيرَ جارية على القانون الصَّرفىّ المسْتَنبَط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العُرف العربى الصَّحيح مثل (الأجْلَلِ) فى قول أبى النَّجْم: [الرجز]

الحمدُ لله العَلىِّ الأجْلَلِ الواحدِ الفَرْدِ القَديم الأوَّلِ

فإن القياس الأجَلّ بالإدغام، ولا مُسَوِّغَ لفكّه.

وكقطع همزة وصل إثنين فى قول جميل: [الطويل]

ألا لاَ أرى إثنين أحسن شِيمةً على حَدَثان الدَّهرِ منِّى ومن جُمل

ويُستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنّه فصيح.

لهذا لم يخرُج عن الفصاحة لفظتا: المشرق والمغرب بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا: المُدهُن والمُنْخُل والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين ـ وكذا نحو قولهم: عَور والقياس: عارَ، لتحرُّك الواو وانفتاح ما قبلها.

وأمَّا الكراهة فى السمع: فهو كون الكلمة وحشية، وتأنفُها الطِّباع وتمجها الأسماع، وتَنبُو عنه، كما يَنْبو عن سماع الأصوات المُنْكَرة.

كالجِرشىِّ ـ للنفس فى قول أبى الطيب المُتَنَبِّى يمدح سَيف الدَّولة: [المتقارب]

مُبَارَكُ الاسْم أغَرُّ اللقبْ كَرِيمُ الجِرشِىِّ شريفُ النسَبْ

ومُلخص القول: **أن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس، ومن الابتذال، والضّعف.**

فإذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وَجب نبذها واطْراحها.

• تطبيق •

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمة فيما يأتى:

قال يحيى بن يعمر لرجل حَاكمتهُ امرأته إليه: «أئِنْ سألَتْكَ ثمنَ شكْرِها وشَبرِك، أخذت تُطلّها وتُضْهِلها؟

وقال بعض أمراء العرب، وقد اعتلت أمّه، فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام: صينَ امرؤٌ ورَعَا، دَعا لامرأة أنْقحُلة مُقسئنة(١) قد مُنيت بأكلها الظرموق(٢) فأصابها من أجله الاستِمْصَالُ(٣) بأن يَمُنَّ الله عليها بالاطرْغشاش والابرغشاش(٤).

أسمعُ جَعجَعة(٤) ولا أَرَى طحناً، الإسفِنْطُ(٥) حرام، وهذا الخنشليل(٦) صَقيل، والفَدَوْكسُ(٧) مُفترسٌ.

يومٌ عَصَبْصبٌ(٨)، وهِلَّوْفٌ(٩)، ملأ السَّجَسَجَ(١٠) طَلا(١١). {الوافر}

أمِنَّا أنْ تَصَرّعَ عن سَمَـــــــاحٍ ... وللآمال في يدكِ اصْطِرَاع(١٢)

وقال الفرزدق: {الكامل}

وإذا الرِّجـــــالُ رأوا يَزِيدَ رأيتَهُـم ... خُضُعَ الرِّقاب نواكس الأبصـــــار

وقال أبو تمام: {البسيط}

قد قلت لمَّا اطلَخَـمَّ الأمرُ وانبعثَتْ ... عشْوَاءُ تاليةً غُبساً دَهـــــاريسا(١٣)

وقال شمْر:

وأحمقِ مِمَّنْ يكْـرَعُ المَاءَ قال لى ... دَعِ الخمرَ واشربْ مِن نقاخٍ(١٤) مُبرّدِ

{الطويل}

يَظلُّ بموْماةٍ ويُمْسى بغيـــــرها ... جَحيشاً ويَعْرَوْرِى ظهُورَ المالك(١٥)

{الطويل}

فلا يُبْرَمُ الأمرُ الذِى هوَ حــــالِلٌ ... ولا يُحـــللُ الأمرُ الذى هو يُبْرِمُ

{الطويل}

---

(١) انقحله: يبس الجلد على العظم، مقسئنة: يبس جلدها واشتد لأنها جاوزتْ مرحلة الشباب .
(٢) أكلت الطين . . (٣) المصل: الإسهال مستوعبا كل مافيها .
(٤) الأطر غشاش: أغيثت بعد الهزال، والبرغش: قامت من مرضها. (٤) أصوات الجمال إذا اجتمعت .
(٥) الخنزير: . (٦) السيف . (٧) الأسد . (٨) شديد. (٩) الثقيل الجافى.
(١٠) الأرض ليست بصلبة ولا لينة . (١١) الصغير من كل شئ .
(١٢) تنافس مافى يده يقصد كثرة كرمه. وهذا من الألفاظ التى نقلها اللغويون عن وضعها لضرب من التوسع والمجاز .
(١٣) اطلخم : اشتد غبس. : اشتداد الظلام. دهارس: جمع دهريس: الدواهى .
(١٤) الماء البارد الصافى. (١٥) الموماه: المغازة الواسعة. اعرورى الفرس: صار عُرْيًا .

مُقَابِلٌ فى ذُرا الأذواء منصبـــــهُ　　　عَيْصاً فعيصاً وقدْمُوساً فقُدْمُـــوساً
{البسيط}

وقال أبو تمام:

نِعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيا حَبَاكَ بـــــهِ　　　أورَعُ لا جَيْـــــدَرٌ ولا جِبْسُ

وقال امرؤُ القَيس:

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَة(١)، وطَعْنَة مُسْحَنْفِرة(٢)، وخُطْبة مُستحضَرة وقصيدةَ مُحبرة، تبقى غداً بأنقِرَة. أكلت العَرينَ، وشربتُ الصُّمادح(٣) إنى إذا أنشدت لأحبنطى نزل بزيد داهيةٌ خنْفيق(٤) وحلّ به عنْقَفير(٥). لم يَجد منها مَخلصاً. رأيت مَاء نُقاخاً (٦) ينباع(٧) من سفح جبَل شامخ. إخالُ إنك مَصوُون. . البُعاق(٨) ملأ الجرْدَحْل(٩).

فإنْ يَكُ بعضُ الناس سَيفاً لدولةٍ　　　ففى النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُـــــولُ
{الطويل}

نقىٌّ تَـقىٌّ لـــم يُكـثّر غنيمة　　　بنكْهةِ ذى القربـــــى ولا بحَقَلَّد(١٠)
{الطويل}

إنّ بَنِىَّ لَلئـــامٌ زهَـــــدَهْ　　　مَا لى فــــى صُدُورهم من مَوْدَده
{الرجز}

رَمتنى مـــــىٌّ بالهَوى رَمْى ممضغٍ　　　من الوحش لَوْطٌ لم تعقْهُ الأوَالس(١١)
{الطويل}

بعينين نجـــلاوين لم يجـر فيهما　　　ضَمانُ وجيدِ حلـــى الدرّشامس(١٢)
{الطويل}

عِلمى إلى علمك كالقرارة فى المُثْعَنْجَر.

---

(١) صحفة كبيرة مائلة.　(٢) المنطلقة بسرعة واسعة .　(٣) الخالص من كل شىء .
(٤) الداهية .　(٥) طعام غير مادوم .　(٦) عذب .
(٧) يسيل .　(٨) شدة الصوت .
(٩) الوادى، والأزهرى: رجل جرْدَحْل: الغليظ الضخم، وامرأة جردحلة .　(١٠) البخيل السئ الخلق .
(١١) لَوْط: اللصوق . تعقه: تحبسه وتمنعه. الأوالس سير فوق العنق الإبل يُوالى بعضها بعضا فى السير .
(١٢) نوع من القلائد .

إنّ بعضاً من القريض هُرَاءٌ ليس شيئاً، وبعضه أحكام
[الخفيف]

فيه ما يجلب البَراعة والفهم وفيه ما يجلب البرسام[1]
ومن الناس مَن تجوزُ عليهم شُعراء كأنها الخازبَاز[2]
[الخفيف]

تمرين (أ)

١ - فرِّق بين التّنافر فى الكلمة، وفى الكلام، واذكر السبب.

٢ - اذكر مثالاً للتعقيد اللفظى، وبين سبب هذا التعقيد، ثم أزِلْه.

٣ - قد يلازِمُ تنافر الحروف الغرابة، وقد تنفرد الغرابة عن التنافر، وضح ذلك بأمثلة مُبتكرة.

٤ - كل كلام بليغ يكون فصيحاً ولا عكس. اشرح هذه العبارة واستشهد عليها بما يحضرك.

تمرين (ب)

ميِّز الكلام الفصيح من غير الفصيح فى كل ما يأتى، وبيِّن السبب:

١ - كلما قَرُبَت النفسُ من المال شبراً، بَعُدَت عن الفضيلة ميلاً.

٢ - شكت امرأةٌ صَمَعْمَعَةُ[3] الرأس، مُتعشكلةُ الشعر[4]، دَرْدَبيساً [5] حَلتْ بها.

٣ - نَمْ وإنْ لم أنَمْ كَرَاىَ كراكا شاهدى الدمعُ، إنَّ ذاك كذاكا
[الخفيف]

٤ - فأصبحتْ بعد خطِّ بهجتها كأن قفراً[6] رسومها[7] قلما
[المنسرح]

---

(١) علة الصدر.

(٢) الخازباز: ذباب: اسمان جعلا واحدًا وبُنيا على الكسر، وسُمّى به الذّبان: وهما صوتان جعلا واحد لان صوته جارباز.

(٣) الصغيرة. (٤) كثر وعُلّق فى الهواء. (٥) الداهية.

(٦) الخلاء. (٧) آثار الديار.

٥ ـ وازورَّ[١] مَنْ كانَ لهُ زائـــراً وعـــاف عافى العُرْف[٢] عرفانه {السريع}

٦ ـ وأكرمُ من غمَامٍ عند محـــلٍ فتًى يُحيِى بمدْحتـــه الكراما {الوافر}

٧ ـ أشكـــوك كُوكك[٣] ينفك عن ولا يُنيـــخ على الركاب كَلكله[٥] {البسيط}

٨ ـ سأل كوفىٌّ خياطاً عن فرس ومُهر فقدَهما فقال:

«يا ذا النِّصاح[٦] وذات السَّمِّ[٧] الطاعن بها فى غير وغى لغير عِداً:

هل رأيت الخيفانة[٨] القبَّاء[٩]، يتبعها الحاسنُ[١٠] المرْهف[١١]؟

٩ ـ كتب أحدهم لصديقه يقول:

«يا أحبَّ صواحبى وأعْزَزَهم علىّ، يؤْلمنى أنْ أُصبح مَقْصِيًا عنك هذا الإقصاى، وأنت منِّى بمنزلة الروح من الجسد».

(تمرين)

١ ـ أىُّ أجزاء هذين البيتين غير فصيح:

أ ـ أصبحتُ كالثوب اللَّبيس قد اخلقت جِـــداته منـــه فعـــاد مُذالا[١٢] {الكامل}

ب ـ رمتنى مَىٌّ بالهوى رمىَ مُمضِغٍ من الوحش لَوطٍ لم تعقْهُ الأوالس[١٣] {الطويل}

---

(١) اعوجّ ومال . (٢) طالب معروفه .

(٣) شجرة يستخرج منها مادة تستعمل كمخدر ويرغب فيها المدمنون على المخدرات .

(٤) الحفظ والصون والحوط. (٥) الصدر . (٦) الخيط والسلك .

(٧) الثقب . (٨) السريعة .

(٩) القبَّاء: الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل .

(١٠) غالبه: أباهى به فى الحسن والجمال .

(١١) مرهف: خصر مرهف ضامر، فرس مرهف ضامر البطن .

(١٢) اللبيس: الملبوس. الأخلاق: البلى. جداته: صفة الجديد. مذال: الممتهن .

(١٣) لوط: الحب اللازق واللاصق بالقلب. تعقه: تمنعه وتحبسه. الأوالس: ولس: السريعة من الإبل .

تطبيق

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلى؟؟

يا نفسُ صبراً كل حىّ لاقى وكل اثنين إلى افتراق
[الرجز]

أبْعِدْ بَعِدْتَ بياضاً لا بياض لهُ لأنت أسودُ فى عينى منَ الظلم[1]
[البسيط]

لا نشبَ اليومَ وَلا خُلة إتسعَ الفتقُ على الرّاقع[2]
[السريع]

فأيقنْتُ أنى عند ذلك ثائرٌ غداتئذٍ أو هالكٌ فى الهوالك
[الطويل]

مهلاً أعاذل قْد جَرَّبتِ مِنْ خُلقى أنِّى أجودُ لأقوامٍ وإن ضننُوا
[البسيط]

تشكو الوجى [3]من أظْلَل[4] وأَظْلَلِ من طول إملال وظهر مُمْلِلِ
[الرجز]

١ ـ وقال ابن جحدر: [المتقارب]

حلَفتُ بما أرْقَلَت [5] حَوله هَمرجلةٌ [6] خُلقُها شَيْظم[7]

وما شبرَقَت [8] من تَنُوفيَّةٍ[9] بها من وَحى الجنّ زيزيزم[10]

٢ ـ وقال ذو الرُّمة: [البسيط]

حتى إذا الهيْقُ[11] أمسى شام[12] أفْرُخَهُ وهُنَّ لا مُؤْيسٌ نأياً[13] ولا كَثَبُ[14]

وقال أبو نواس:

يا من جفانى وملاً نسيت أهلاً وسهلا
[المجتث]

---

(١) الظلم: الليالى الثلاث آخر الشهر..

(٢) النشب: المال والعقار. خلة: الأرض، النبت: الحلو، الراقع: مصلح الفتق والشوق فى الثياب.

(٣) الوجى: الحفا. (٤) أظلل: باطن خف البعير. (٥) الإسراع.

(٦) الناقة السريعة. (٧) الطويل الجسم من الإبل والخيل. (٨) قطعت.

(٩) المغازة. (١٠) صوت الجن. (١١) ذكر النعام..

(١٢) البرق نظر إليه. (١٣) نأيا: البعد. (١٤) القرب.

تدريب (١)

مالذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلى؟

١ - قال النّابغة الذُّبيانى: [الكامل]

أو دُمـيـةٍ مـن مـرمرٍ مـرفـوعـة ... بُنيـت بآجُـرّ يـشـادُ بقَرْمَدِ (١)

٢ - وقال أبو تمام: [الكامل]

لك هضبةُ (٢) الحلـم التى لـو وَازنتْ ... أجـا (٣) إذاً ثقلت وكان خـفـيـفا

وحـلاوة الشّيم (٤) التى لو مـازجت ... خلق الـزّمـان الْفـدم (٥) عَاد ظريفـا

٣ - وقال المتنبّى: [الوافر]

يُوسِّطه المفـاوز كـلّ يوم ... طِـلابُ الـطّالبين لا الانتـظار

تدريب (٢)

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يأتى؟

١ - لم يَلقَهـا إلا بِشكّة (٦) باسلٍ (٧) ... يخشى الحـوادث حـازم مُستـعـدد [الكامل]

٢ - وأصـبح مَبْيَضّ الضّريب كـأنه ... على سروات (٨) البَيـت قُطْن مُنْدف (٩) [الطويل]

٣ - فـأيْقَنتُ أنّى عـند ذلـك ثائرٌ ... غَدَاتئـذٍ أو هَالكٌ فى الهـوَالك [الطويل]

٤ - ومَلْمُومَة (١٠) سَيْفيَّة (١١) ربَعيةِ ... يصيح الحـصا فيها صِيـاحَ اللقالِقِ (١٢) [الطويل]

---

(١) ذمية: الصور المزينة فيها حمرة كالدم، مرمر: الرخام. آخر: ما يبنى به من الطين المشوى، قرمد: كل ما يطلى به للزينة.

(٢) الرابية. (٣) اسم جبل. (٤) الخُلُق الطبيعة. (٥) الأحمق الغليظ.

(٦) تام السلاح. (٧) الشجاع. (٨) أعاليه. (٩) آلة ضرب القطن.

(١٠) كتيبة مجتمعة. (١١) نسبة سيف الدولة. (١٢) شدة الصوت فى حركة واضطراب.

٥- وألقى بصحـراء الغبيط[1] بَعَاعَهُ[2]   نُزولَ اليَمَــــانـى ذو العِيَاب المُحَمَّل
[الطويل]

٦ - ليس التـعللُ بالآمـال مِنْ أربى   ولا القـنوع بضَنْك العـيـش مِن شيَمى
[البسيط]

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مُفرداته مِمَّا يُبْهِمُ معناه، ويَحول دون المراد منه - وتَتحقق فصاحته بخُلوّه من ستة عيوب.

١ - تنافرُ الكلمات مجتمعة، ٢ - ضعف التأليف، ٣ - التّعقيد اللفظى،

٤ - التّعقيد المعنوى، ٥ - كثرة التكرار، ٦ - تتابُع الإضافات.

الأوّل: تنافرُ الكلمات مُجتمعة: أن تكون الكلمـات ثقيلة على السـمع من تركيبها مع بعضها عَسرة النطق بها مُجتمعة على اللسان.

(وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً).

والتّنافـر يَحْصُل: إمَّا بتجـاوُر كلمات مـتقـاربة الحروف، وإمّا بتكرير كلـمة واحدة.

أ - ومنه شديد الثقل: كالشطر الثانى فى قوله: [الرجز]

وَقَبْر حرْب بمكان قفرُ   وَليس قُرْبَ قبر حَرْبٍ قبرُ

ب - ومنه خفيف الثِّقل كالشطر الأول فى قول أبى تمّام [الطويل]

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدحهُ والوَرَى   مَعى، وإذا مَا لُمْتُهُ لُمتُه وحْدِى

الثانى: ضعف التّأليف: أن يكون الكلام جـاريا على خـلاف ما اشـتهـر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء: كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف، مع أنه يجب الفصل فى تلك الحالة، كقول المتنبى: [الكامل].

---

(١) الأرض المطمئنة.   (٢) ثقل السحاب من الماء

خَلَت البلادُ من الغَزَالةِ لَيْلَها   فأعاضَهاكَ[1] اللهُ كى لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورُتبة وحكما فى غير أبوابه نحو: {الطويل}

ولو أنّ مَجداً أخلدَ الدهرَ واحـــداً   من الناس أبقى مجدُه[2] الدهرَ {مُطعما}

الثالث: التّعقيد اللفظي: هو كون الكلام خَفى الدّلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق ترتيب المعانى.

(وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبى بين الكلمات التى يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) وهو مذموم؛ لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه فى غير المواضع اللائقة بها كقول المتنبى: {الكامل}

جفَخَتْ وهُمْ لا يَجْفَخُونَ بها بهمْ   شيَمٌ على الحسب الأغر دَلائل

أصله: جفخت (افتخرت) بهم شِيَم دلائل على الحسَبِ الأغر، وهم لا يجفخون بها.

الرابع: التّعقيد المعنوى: كون التركيب خفِيّ الدَّلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل.

وذلك لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأصلى إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدَّالة على المقصود: بأن يكون فهمُ المعنى الثانى من الأول بعيداً عن الفهم عُرفاً. كما فى قول عبَّاس بن الأحنف: {الطويل}

سأطلُبُ بُعْدَ الدار عنكم لِتقربُوا   وتسكُبُ عيْناى الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

جعلَ سكبَ الدموع كناية عمَّا يلزم فى فراق الأحبَّة من الحزن والكمد: فأحسن وأصابَ فى ذلك، ولكنه أخطأ فى جعل جمود العين كنايةً عما يوجبه التَّلاقى من الفرح والسُّرُور بقُربِ أحبّته، وهو خَفىّ وبعيدٌ، إذ لَم يُعرفْ فى كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسُّرُور (أن يقال له جَمُدت عينك) أو لا زالت عينك جامدةً. بل المعروف عندهم أنَّ جمود العين إنما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزَن، كما فى قول الخنسَاء {المتقارب}

أعينىَّ جُـــودا ولا تَجْـــمُدَا   ألا تبكـــيانِ لصَخْرِ النَّدى

وكما فى قول أبى عطاء يرثى ابن هُبيرة: {الطويل}

---

(١) ضمير المؤنثة (ها) فى «ليلها، وضمير المخاطب (ك) فى «فأعضَهاك».

(٢) الضمير «الهاء» فى (مجده) عائد على متأخر لفظا (مُطعما) ورتبة لأنه مفعول به.

ألا إنَّ عَيناً لم تَجُدْ يومَ وَاسِطٍ   عليكَ بجاري دَمعها لَجَمودُ

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويَغيّرها المتكلمُ، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب في استعمالاتهم، ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى، حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: كثرة التكرار[1] : كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً.

وسواء أكان الاسم: ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة كقوله: {الرجز}

إني وأسطارٍ سُطِرنَ سطرا   لَقائلٌ يا نصرُ نصرٌ نصرَا

وكقول المتنبي: {البسيط}

أقِلْ أَنِلْ أقطعْ احملْ علِّ سل عِدِ   زِدْ هشَّ بشَّ تفضلْ أدْنِ سُرَّ صِلِ

وكقول أبي تمَّام في المديح: {البسيط}

كأنه في اجتماع الرُّوح فيه لَهُ   في كل جارحةٍ من جسمه رُوحُ

السادس: تتابعُ الإضافات: كون الاسم مضافاً إضافة مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك: {الطويل}

حمامَةَ جَرعا حَوْمَةِ الجَندَل[2] اسجعى   فأنت بمرْأى مِنَ سُعادَ ومَسْمع

وملخص القول: **إنَّ فصاحة الكلام تكون بخلُوِّه من تنافر كلماته.**

ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.

تطبيق

بيِّن العيوب التي أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتي:

لك الخيرُ غيري رام من غيرك الغنى   وغيري بغير اللاذقيَّة لاحق

{الطويل}

وأزْورَّ مَنْ كان له زائراً   وعافَ عافي العُرف عِرْفانه

{السريع}

---

(1) المراد بالكثرة، فوق الواحدة فذكر اللفظ ثانيا تكرار: ويسمى توكيد لفظ وله أغراض بلاغية ويدخل في باب الفصاحة، أما ماراد على ذلك فهو كثرة ولذا تقبح.

(2) حمامة مضافة إلى جرعا، جرعا مضافة إلى حومة، وحومة مضافة إلى الجندل

أنـى يـكـونُ أبـا الـبـرايـا آدمٌ   وأبوكَ والـثقـلانِ أنتَ مـحمـدُ [1]
{الكامل}

ومن جاهل بى وهوَ يجهلُ جهله   ويـجهـل عِلـمـى أنه بـىَ جاهـل
{الطويل}

وقَلقلت بالهـمِّ الذى قلقلَ الحَشا   قـلاقـلَ هـمّ كـلـهـنَّ قـلاقـلُ
{الطويل}

وما مـثلـه فى النـاس إلا مملـكا   أبـو أمـه حـى أبـوه يـقـاربـه[2]
{الطويل}

إلى ملَكٍ ما[3] أمُّه من مُـحَارِب   أبـوه ولا كانـت كُـليـبٌ تُـصاهـر
{الطويل}

ليـسَ إلاك[4] يا علــىُّ هُمـامٌ   سَـيفـه دون عِـرضِه مـسـلـوكُ
{الخفيف}

كسا حِلمـهُ ذا الحلمِ أثواب سُؤدد   ورقى نداه ذا الندَى فى ذُرا المجد[5]
{الطويل}

من يهتدى فى الفـعل ما لا يهتدى   فى الـقـول حـتى يـفـعـل الشـعراء
{الكامل}

جزى بنوه أبا[6] الغَيلان عن كِبر   وحُسْن فعل كمـا يجزى سنمَّارُ [7]
{البسيط}

ما من فتًى كنَّـا من الناس واحداً   بـه نبـتغـى منـهـم عَـديلاً نـبادلـه
{الطويل}

لما رأى طـالبـوه مُصـعبـاً ذُعروا   وكـاد لو سـاعد المـقـدور ينـتصـرُ
{البسيط}

نشر الملك ألسنته فى المدينة . . . مُريداً جواسيسه.

أى: والصواب: نشر الملك عيونه.

---

(١) فصل بين المبتدأ والخبر : أبوك محمد، وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله (الثقلان أنت) وهذا تعسف

(٢) ليس مثل إبراهيم فى الناس أحد يشبهه فى الفضـائل إلا ابن أخته هشام، فضمير أمه عائد على المملك، وضمير أبوه عائد على إبراهيم .

(٣) ليس أمه من محارب.

(٤) ك :ضمير متصل وحقه أن يكون منفصلا (إيّاك) .

(٥) الضمير فى حلمه وفى نداه عائد على متأخر لفظا. ومعنى وحكما .

(٦)ما لا يهتديه الشعراء فى القول حتى يفعل . .

(٧) رجل رومى بنى الخورنق الذى بظهـر الكوفة للنعمان فلما فرغ منه ألقاه من أعـلاه فخر ميتا وفعل ذلك لئلا يبنى مثله لغيره .

لو كنت كنت كتمت السِّر كنت كما كنا وكنت ولكـــن ذاك لـــم يكن[1]

[البسيط]

ألا ليت شِعْرى هـــل يلومنَّ قومهُ زهيـراً على ما جَــــرَّ من كلِّ جـانب

[الطويل]

دانٍ بعـيـد مـحـبّ مـبـغض بَهِجٍ أغـــرّ حلـو مُـــمـرٌ ليِّن شـــرِس[2]

[البسيط]

لأنت أسود فى عينى من الظلم[3]

[البسيط]

تسعدنى فـــى غـمرة بعـــد غمرة سبوحٌ لها منهـــا عليها شواهـــد[4]

[الطويل]

وليست خراســان التى كـــان خالدٌ بهـــا أسـد إذ كـــان سيفاً أمـيرها

[الطويل]

والشمس طالعـــة ليست بكـاسفة تبكـى عليـك نجومَ الليل والـقمـر[5]

[البسيط]

أرضٌ لها شَـــرف ســـواها مثلها لو كـــان مـثلك فـى سواها يـوجدَ

[الكامل]

والمجـد لا يـرْضى بأن ترضـى بأن يَرضى المعـاشـر مـنك إلا بالرِّضـا[6]

[الكامل]

فــــى رفـــع عَـرش الشـــر ع مـثلـــك يَشـــــــرعُ

[مشطور الكامل]

ومن لم يذُدْ عن حـوضه بسـلاحه يُهــــدَّم ومن لم يَظْلِم النـاس يُظْلَم[7]

[الطويل]

---

(١) كثرة التكرار . (٢) تعدد الصفات .

(٣) القياس النحوي ـ أشد سوادا لأن بناء أفعل التفضيل من أفعال الألوان يحتاج إلى مساعد .

(٤) كثرة الضمائر والتعقيد فى الحيرة فى فهم العائد عليه .

(٥) التعقيد نشأ من الفصل بين كاسفة ونجوم .بـ« تبكى عليك» والمعنى والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل .

(٦) كثرة التكرار . (٧) تعقيد لفظى.

مَتحيِّريــن فباهِت(١) مــتَعــجِّب مِمَّا يرى أو نــاظر مـــتـــأمِّل
[الكامل]

فأصبــحت بعد خط(٢) بهجتها كــأنَّ قــفراً رســومــهــا قلمــا
[المنسرح]

ومـــا أرضى لُمقلتـــه بحــلم إذا انتبــهت توهَّمه ابتشــاكا(٣)
[الوافر]

فصاحة المتكلم

فصاحة المتكلم: عبــارة عن الملكة التى يقتدر بهــا صاحبهــا على التعبــير عن المقصود بكلام فصيح فى أىِّ غرض كان.

فيكون قادراً بصــفة الفصاحة الثَّابتــة فى نفسه على صياغــة الكلام مُتمكناً من التّصرف فى ضُروبه. بصيراً بالخوض فى جهاته ومَنَاحِيه.

أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها

ما هى الفصاحة لغة واصطلاحاً؟ ما الذى يوصف بالفصاحة؟

ما الذى يخرج الكلمة عن كونها فصيحة؟

ما هى فصاحة المفرد؟ ما هو تنافر الحروف، وإلى كم ينقسم؟ . . .

ما هى الغــرابة وما مــوجبــها؟ ما هى مــخالفــة القياس؟ مــا هى الكراهة فى السمع؟ ما هى فصــاحة الكلام - وبم تتحقق؟ ما هو تنافر الكلمات. ومــا موجبه وإلى كم يتنوَّع؟، ما هو ضعف التأليف؟ ما هو التــعقيد؟ وإلى كم ينقسم؟ ما هى كثرة التكرار؟ ما هو تتابع الإضافات؟ ما هى فصاحة المتكلم.

البلاغة

البلاغة فى اللغة: (الوُصول والانْتِهاء) يقال: بلــغ فلان مراده - إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى إليها: ومَبلغ الشىء منتهاه.

وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسَن التعبير عمَّا فى نفسه.

---

(١) بهت - دهش بمعنى مدهوش والمستعمل بهوت بمعنى اسم الفاعل.

(٢) التقديم والتأخير أحدث هذا الإلتواء والغثاثة. (٣) كذب وهى مهجورة فى اللغة مثل: (جحلنجح)

وتقع البلاغة فى الاصطلاح: وصفاً للكلام، والمتكلّم فقط.

ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمُتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك.

بلاغة الكلام

البلاغة فى الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[1]، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

والكلام البليغ: هو الذى يُصوِّره المُتكلِّم بصورة تناسبُ أحوال المخاطبين.

وحال الخطاب: ويسمى بالمقام هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.

والمُقْتَضى: ويسمَّى الاعتبار المناسب هو الصورة المخصوصة التى تورد عليها العبارة.

مثلاً: المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب.

وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز.

فكل من المدح والذكاء حال ومقام.

وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى.

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى[2] وليست البلاغة إذاً منحصرة فى إيجاد معان جليلة، ولا فى اختيار ألفاظ واضحة جزيلة. بل هى تتناول مع هذين الأمرين[3] أمراً ثالثاً: هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعانى والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالاً.

وملخص القول: أن الأمر الذى يحمل المتكلم على إيراد كلامه فى صورة دون

---

(١) مطابقة الكلام ـ المتكلم ـ لمقتضى الحال ـ حال المخاطب من العقل وطبقته فى البلاغة وقوته فى البيان والمنطق فللعامة كلام لا يصلح غيرهم فى موضعه.

(٢) لكل مقام مقال وعلى المتكلم ملاحظة الحال والمقال وكلية فيورد كلامه على الصورة المناسبة لغرضه. وهى المقتضي.

(٣) البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ويتمكن فى نفسه كتمكنه منك فى صورة مناسبة وحسن عرض.

أخرى: يسمى «حـالاً» وإلقاء الكلام على هذه الصورة التى اقتضـاها الحال يسمى «مُقْتضَى» والبلاغة هى مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

بلاغة المتكلم

بلاغـة المتكلم: هى مَلَكة فى النفس[1] يقْتَدِرُ بها صاحبـها على تأليف كلام بليغ: مطابق لمقتضى الحال. مع فصاحته فى أى معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليـها إلا من أحاط بأساليب العـرب خُبراً، وعرف سنن تخاطبهم فى منافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذارهم؛ ليلبس لكل حالة لبوسها، ولكل مقام مقال.

أقوال ذوى النبوغ والعبقرية فى البلاغة

١ ـ قال قدامة: **البلاغة ثلاثة مذاهب:**

المســاواة: وهى مطابقة اللفظ المعنى، لا زائداً ولا ناقصاً.

والإشارة: وهى أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة.

والتذييل: وهو إعـادة الألفاظ المترادفـة على المعنى الواحـد، ليظهـر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه.

٢ ـ وقيل لجعفر بن يحيى: ما البـيان؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك، كاشفاً عن مغزاك، وتخرجـه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سالماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنيا عن التأمل.

٣ ـ ومما قيل فى وصف البـلاغة: لا يكون الكلام يستحق اسم البـلاغة حتى يُسابِقَ معناهُ لَفْظَه، ولَفْظُه معناه، فـلا يكون لَفْظُه إلى سمعك أسْبَقَ من معناه إلى قلبك.

٤ ـ وسأل معـاوية صُحاراً العبدى: مـا البلاغة؟ قال: أن تُجـيب فلا تبطئ، وتُصيب فلا تخطئ.

٥ ـ وقال الفضــل: قلت لأعرابى ما البلاغـة؟ قال: الإيجاز فى غيـر عجز،

---

(١) صفة ثابتة تمكنه من التعبير عن المعانى التى يريد نقلها لغيره بأساليب بليغة ومطابقة للحال: صدق المعنى وقيمتها ـ واختيار ألفاظ واضحة مؤثرة وجمال تأليف.

والإطناب فى غير خطل.

٦ ـ وسُئل ابن المقفع: ما البـلاغة؟ فقال: البلاغة اسم جـامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة: فمنها ما يكون فى السكوت، ومنها ما يكون فى الاستماع، ومنها ما يكون فى الإشارة، ومنهـا ما يكون فى الحدث، ومنهـا ما يكون فى الاحتـجاج، ومنها مـا يكون جواباً، ومنها مـا يكون ابتداء، ومنها مـا يكون شعراً، ومنهـا ما يكون سجعـاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فـعامَّة ما يكون من هذه الأبواب ـ الْوَحْىُ فيها، والإشارة إلى المعنى، **والإيجاز هو البلاغة**.

فأما الخُطَبُ بين السِّمَاطَيْنِ، وفى إصلاح ذات الْبَيْنِ، فالإكثار فى غير خطل، والإطالة فى غير إملال. وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك فقيل له: فإن مَلَّ المستـمعُ الإطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعْطَيت كـل مقام حقـه، وقُمْت بالذى يجب من سيـاسة ذلك المقام، وأرضـيتَ من يعرف حـقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعـدو، فإنه لا يرضيهما شىء، وأما الجاهلُ فَلَسْتَ منه، وليس منك وقد كان يقال: «رِضاء الناس شىء لا يُنَال».

٧ ـ ولابن المعتز: أبلغُ الكلام: ما حَسُنَ إيجازُه، وقَلَّ مجَازُهُ، وكثر إعجازه، وتناسبت صدورُه وأعجازه.

٨ ـ وسمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم، ويكثر الكلام.

فقال: اعلم ـ رحمـك الله ـ أن البلاغة ليست بخفة اللسـان، وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى، والقصد إلى الحجة.

٩ ـ ولبشر بن الْمُعْتَمِرِ فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب: رسالة من أنفس الرَّسائل الأدبية البليغة، جمعت حدود البلاغة وصورتها أحْسَن تصوير.

وسنذكر مع شىء من الإيجاز ما يتصل منها بموضوعنا ـ قال:

خذ من نفسك سـاعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتـها إياك، فإن قليلَ تلك الساعة أكـرَمُ جَوْهراً، وأشرفُ حسباً، وأَحْسَنُ فى الأسـماع وأحْلى فى الصدور، وأسلمُ من فاحش الخطأ، وأجلَبُ لكل عين وغُرَّة من لفظ شريف، ومعنى بديع.

واعلـم أن ذلك أجْدَى علـيك: مما يعـطيك يَوْمُكَ الأطْوَلُ بـالكَدِّ والمطـاولة والمجاهَدة، وبالتكلف والمعاودة.

وإيَّاك والتوعُّرَ، فإن التوعر يُسْلِمكَ إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يَسْتهلك معانيك، ويَشِين ألفاظك، ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدهما ويُهَجِّنُهما . . .

وكن فى ثلاث منازل: فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً.

إمَّا عند الخاصة: إن كنت للخاصة قصدْت، وإما عند العامة: إن كنت للعامة أردْت، والمعنى ليس يَشرُفُ بأن يكون من معانى الخاصة، وكذلك ليس يَتَّضعُ بأن يكون من معانى العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللفظُ العامِّى والخاصى؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك . . . على أن تُفْهِم العامة معانى الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسعة التى لا تلطفُ عن الدّهْماء، ولا تجفُو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فإن كانت المنزلة الأولى لا تُواتيك ولا تعتريك، ولا تسنح لك عند أوّل نظرِك، وفى أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصل إلى قرارها وإلى حقِّها: من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحلَّ فى مركزها وفى نصابها، ولم تصل بشكلها، وكانت قلقة فى مكانها، نافرة من موضعها، فلا تُكْرِهها على اغتصاب الأماكن، والنزول فى غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يَعِبْكَ بترك ذلك أحد. وإن أنت تكلفته، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا محكماً لسانك. بصيراً بما عليك أو مالك، عابك من أنت أقلُّ عيباً منه ورأى من هو دونك أنه فوقك.

فإن ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة، وتعصى عليك بعد إحالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك، أو سواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة، أو جريت من الصناعة على عرق.

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلة الثـالثة أن تتحـول من هذه الصناعة إلى أشـهى الصناعات إليك، وأخفـها عليك. . .، لأن النفـوس تجـود بمكنونها مع الـرغبـة، ولا تسمـح بمخزونهـا مع الرهبة؛ كما تجود به مع المحبة والشهوة. فهكذا هذا.

وينبغى للمتكلم: أن يعرف أقدار المعانى؛ ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحـالات؛ فيجـعل لكل طبقـة من ذلك كلاماً، ولكـل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقـدار المعانى، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.

وبعد، فأنت ترى فيما قالوه: أن **حد البلاغة** ـ هو أن تجعل لكل مقام مقالاً؛ فتـوجز: حـيث يحسن الإيجاز، وتطـنب: حيث يجمل الإطنـاب، وتؤكد: فى موضع التوكـيد، وتقدم أو تؤخر، إذا رأيت ذلك أنسب لقـولك وأوفى بعرضك، وتخاطـب الذكى بغيـر ما تخاطـب به الغبى، وتجـعل لكل حال مـا يناسبـها من القول، فى عبارة فصيحة، ومعنى مختار.

ومن هنا عَرَّفَ العلماء **البلاغة بأنهـا مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فـصاحة عباراته.**

واعلم: أن الفرق بين الفصـاحة والبلاغة: أن الفصاحة مـقصورةٌ على وصف الألفاظ، والبـلاغة لا تكون إلا وصـفاً للألفاظ مع المعـانى؛ وأن الفصـاحة تكون وصفاً للكلمـة والكلام، والبلاغة لا تكون وصفـاً للكلمة، بل تكون للكلام؛ وأن فصاحة الكلام شرط فى بلاغته.

فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً، كالذى يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز.

تمرين

بين الحال ومقتضاه فيما يلى:

١ ـ هَنَاءٌ محا ذاك العزاء المُقَدَّما فما عبس المحزونُ حتى تبسما[١]

[الطويل]

(١) الحال : الإسراع فى إدخال المسرة . والمقتضى : تقديم ما دل عليه لفظة (هناء) .

٢ ـ تقول للراضى عن إثارة الحروب إن الحرب متلفةٌ للعِبَادِ، ذهَّابةٌ بالطارف والتلاد[١] .

٣ ـ يقول الناس إذا رأوا لصا أو حريقاً: لصٌّ، حريقٌ[٢] .

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ[٣] بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ[٤] رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

٥ ـ يقول راثى البرَامِكةَ:

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عيوناً   بهم نُسْقَى إذا انقطَع الغَمَامُ[٥]

[الوافر]

ملاحظات :

١ ـ **التَّنافر:** يُعرف بالذَّوْق السليم، والحسِّ الصادق.

٢ ـ **مخالفة القياس:** تُعرف بعلم الصَّرف.

٣ ـ **ضعف التَّأليف والتَّعقيد اللفظيين:** يُعرفان بعلم النحو.

٤ ـ **الغرَابة:** تُعرف بكثرة الاطّلاع على العرب، والإحاطة بالمفردات المأنوسة.

٥ ـ **التَّعقيد المعنوى:** يُعرف بعلم البيان.

٦ ـ **الأحوال ومقتضياتها:** تُعرف بعلم المعانى.

٧ ـ **خُلوٌّ الكلام من أوجه التَّحسين:** التى تكسوه رقة ولطافةً بَعْدَ رعَايَةِ مُطابقته: يعرف بعلم البديع.

فإذًا وجب علَى طالب البلاغة: معرفة اللغة. والصَّرف. والنَّحو، والمعانى والبيان، والبديع، مع كونه سليمَ الذّوق، كثير الاطّلاع على كلام العرب، وصاحبَ خبرة وافرة بكُتُب الأدب، ودرَايَة تامَّة بعاداتهم وأحوالهم، واستظهار للجيّد الفاخر مِن نَثرهم ونظمهم، وعلم كامل بالنابغين من شُعراء وخطباء وكُتَّاب

(١) الحال: التحذير من ويلات الحرب، والمقتضى: التوكيد.

(٢) الحال: ضيق المقام وخوف الإفلات: والمقتضى: الايجاز والاختصار بالحذف.

(٣) الحال: التحرز والتأدب من نسبة الشر إلى الله. والمقتضى: حذف الفاعل الأصل: أشر أراده الله.

(٤) الحال: الاعتزاز بنسبة الخير إلى الله. والمقتضى ذكر الفاعل.

(٥) الحال: الخوف من الحاكم والمقتضى: البناء للمجهول. فحذف الفاعل للخوف منه.

ممَّن لَهم الأثر البيِّن فى اللُّغة والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربى المبين.

أسباب ونتائج

يحسُن أيضاً بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئاً عن الأسلوب الذى هو المعنى المَصُوغُ فى ألفاظ مُؤَلّفة على صورة تكونُ أقرب لنيْل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ فى نفوس سامعيه.

وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ ـ الأسلوب العلمى:

وهو أَهْدَأُ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطقِ السَّليم، والفكرِ المستقيم، وأبعدُها عن الخيال الشِّعْرى؛ لأنه يخاطب العقل، ويُناجى الفكر، ويَشْرحُ الحقائق العلميَّة التى لا تخلو من غموض وخفاء، وأظْهَرُ ميزات هذا الأسلوب: الوُضُوح. ولابدَّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال؛ وقوَّته فى سطوع بيانه، ورصانة حُججه. وجماله فى سُهُولَة عباراته، وسلامة الذوق فى اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى فى الأفهام، من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة فى معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤَلّف هذه الألفاظ فى سُهولة وجلاء، حتى تكون ثَوْباً شَفّافاً للمعنى المقصود، وحتى لا تصبح مَثَارا للظّنون، ومجالاً للتَّوْجيه والتأويل.

ويحسُن التَّنَحّى عن المجاز، ومُحَسِّنَات البديع فى هذا الأسلوب، إلا ما يجىء من ذلك عفواً، من غير أن يَمَسَّ أصلاً من أصوله أو ميزَةً من ميزاته.

أمَّا التشبيه الذى يقْصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو فى هذا الأسلوب مقبول.

٢ ـ الأسلوب الأدبى:

والجمال أبرزُ صفاته، وأظهر مُميِّزاته ومَنْشَأ جماله، لما فيه من خيال رائع، وتَصْوير دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشَّبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنَوِىِّ ثوبَ المحسوس، وإظهار المحسوس فى المعنوىِّ.

هذا، ومن السَّهْل عليك: أن تَعْرِف أنَّ الشِّعر والنَّثر الفنى هُما مَوْطِنا هذا الأسلوب، ففيهما يَزْدَهِر، وفيهما قنَّة الفَنِّ والجمال.

٣ـ الأسلوب الخطابى:

هنا تَبْرُزُ قوَّة المعانى والألفاظ، وقوة الحجَّة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعية لإثارة عزائمهم، واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه، شأنٌ كبير فى تأثيره، ووصوله إلى قرارة النفوس، ومِمَّا يزيد فى تأثير هذا الأسلوب، منزلة الخطيب فى نفوس سامعيه، وقوة عارضته، وسطوعُ حُجَّته، ونَبراتُ صوته، وحسنُ إلقائه، ومُحْكَمُ إشاراته.

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب: التَّكرارُ واستعمال المترادفات وضربُ الأمثال، واختيارُ الكلمات الجزلة ذات الرَّنين.

ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التَّعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجُّب، إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحة قَوِيةً.

ويظنّ النَّاشئون فى صناعة الأدب أنه كلما كَثُرَ المجاز وكثُرت التشبيهات، والأخيلة، فى هذا الأسلوب زاد حُسنه.

وهذا خطأ بيِّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التَّكلّف، ولا يفْسِده شَرٌّ من تَعَمُّدِ الصَّناعة.

علم المعانى

إن الكلام البليغ: هو الذى يصوِّره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين، وإذاً لا بد لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال، ويعرف ما يجب أن يصوِّر به كلامه فى كل حالة، فيجعل لكل مقام مقالاً.

وقد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذى تُعْرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يُطابقُ اقتضاء الحال: باسم: **علم المعانى**[1] .

تعريف علم المعانى، وموضوعه، وواضعه

١ـ علم المعانى أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربى التى يكون بها مطابقاً لُمقْتَضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذى سِيقَ له.

---

(١) سيأتى تعريفه فى اصطلاح البيانيين ص ٢٩.

فذكـاء المُخاطب: حال تقتـضى إيجاز القول، فإذا أوجـزت فى خطابه وكان كلامك مطابقاً لُمقْتَضى الحـال، وغباوته حال تقتـضى الإطناب والإطالة ـ فإذا جاء كلامك فى مخاطبته مطنباً: فـهو مطابق لمقتضى الحال، ويكون كلامك فى الحالين بليغاً، ولو أنك عكستَ لانْتفتْ من كلامك صفة البلاغة.

٢ـ وموضوعه:

اللفظ العربى من حيث إفـادته المعانى الثوانى[١] التى هى الأغراض المقصودة للمتكلم : من جعل الكلام مـشتملاً على تلك اللطائف والخصوصـيات، التى بها يطابق مقتضى الحال.

٣ـ وفائدته:

أـ معرفـة إعجاز القرآن الكريم، من جهة مـا خَصَّه الله به من جودة السبك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكـيب، ولُطف الإيجاز وما اشتمل علـيه من سُهولة التركيب، وجـزَالة كلماته، وعُذوبة ألفاظه وسلامَتِهَا، إلى غيـر ذلك من محاسنه التى أقعدت العرَبَ عن مناهضته، وحارت عقولُهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب ـ والوقـوفُ على أسرار الـبلاغـة والفـصاحـة: فى مَنثـور كلام العـرب ومنظومه، كى تحتذىَ حذوه، وتَنْسُجَ على منواله، وتَفرقَ بين جَيِّد الكلام ورديئه.

٤ـ وواضعه: الشيخ عبد القادر الجُرجانى المتوفَّى سنة ٤٧١ هـ[٢].

٥ ـ واستمداده: من الكتاب الشريف، والحديث النَّبوى، وكلام العرب.

واعلم أنَّ المعانى جمعُ معنًى؛ وهو فى اللغة المقصود.

وفى اصطلاح البيانيِّين: **هو التَّعبير باللفظ عما يَتصوَّره الذِّهن، أو هو الصورة الذِّهْنيَّة: من حيث تُقصد من اللفظ.**

واعلم أنَّ لكل جملة ركنين:

مسنَدا[٣]: ويسمى محكوماً به، أو مُخبراً به.

مسنداً إليه[٤]: ويسمى محكوماً عليه، أو مُخبراً عنه.

---

(١) المعانى الأول: فـهناك ألفاظ ومعـان ثوان. فالمعانى الأول: مـدلولات التركيب: وتسـمي فى علم النحو أصل المعنى والمعانى الثوانى والأغراض التى يساق لها الكلام (مقتضى الحال) كرد الأفكار ودفع الشك.

(٢) صاحب: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وقرن فيهما بين العلم والتطبيق.

(٣) الخبر ـ الفعل. (٤) المبتدأ ـ الفاعل.

وأمّا النِّسبة التى بينهما فَتُدْعَى إسْنَاداً.

وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول، وحال، وتمييز، ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها، إلا صلَةَ الموصول، والمضاف إليه.

والإسناد انضـمام كلمة المسـند إلى أخرى المسند إليـه على وجه يقـيد الحكم بإحداهما على الأخرى: ثبوتاً ـ أو نفياً.

نحو: الله واحدٌ لا شريك له.

ومواضع المسند ثمانية:

١ـ خبر المبتدأ: نحو قادر من قولك: الله قادر.

٢ـ والفعل التام: نحو حضر من قولك: حضر الأمير.

٣ـ واسم الفعل: نحو هيهات وَوَىْ وآمين.

٤ـ والمبتدأ الوصفُ المستغنى عن الخبر بمرفوعه: نحو عارف من قولك: أعارف أخوك قدر الإنصاف.

٥ـ وأخبار النَّواسخ: كان ونظائرها، وإن ونظائرها.

٦ـ والمفعول الثانى لظنّ وأخواتها.

٧ـ والمفعول الثالث لأَرَى وأخواتها.

٨ـ والمصدر النائب عن فعل الأمر: نحو سعياً فى الخير.

ومواضع المسند إليه ستة:

١ـ الفاعل للفعل التام أو شبهه: نحو فؤاد وأبوه من قولك: حضر فؤادٌ العالم أبوه.

٢ـ وأسماء النواسخ: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، نحو: المطر من قولك: كان المطر غزيراً، ونحو: إنَّ المطر غزير.

٣ـ والمبتدأ الذى له خبر: نحو العلم من قولك: العلم نافع.

٤ـ والمفعول الأول لظن وأخواتها.

٥ـ والمفعول الثانى لأرى وأخواتها.

٦ـ ونائب الفاعل: كقوله تعالى: **﴿ووُضع الكتاب﴾**.

ثم إن المسند والمسند إليه يتنوَّعان إلى أربعة أقسام:

١ـ إما أن يكونا كلمتين حقيقة: كما ترى فى الأمثلة السالفة.

٢ـ وإما أن يكونا كلمتين حكماً، نحـو: لاَ إله إلا الله ينجو قائلها من النّار، أى: توحيدُ الإلـــه نجاةٌ من النار.

٣ـ وإما أن يكون المسند إليه كلمـة حكماً، والمسند كلمة حقيـقة نحو: تَسْمعُ بالُمعيدِىٍّ خير من أن تراه، أى: سماعك بالمعيدى خير من رؤيته.

٤ـ وإمـا بالعكس. نحو: الأمـيـر قَرُبَ قُدُومه، أى الأمـير: قـريب قدومـه

ويسمى المسند والمسند إليه: ركنى الجملة.

وكل ماعداهما يعتبر قيداً زائداً عليها كما سبق الكلام عليه .

وينحصر علم المعانى فى ثمانية أبواب وخاتمة.

●●●●●



الباب الأول

فى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

المبحث الأول فى حقيقة الخبر

الخبرُ: كلامٌ يَحتمِلُ الصدق والكذب لذاته[1] .

وإن شئت فقل: الخبرُ هو ما يتحقق مدلوله فى الخارج بدون النطق به. نحو: العلم نافـع، فقد أثبتنا صفـة النفع للعلم، وتلـك الصفة ثابتة له، سـواء تلفظت بالجملة السابقة أمْ لم تتلفظ؛ لأن نفع العلم أمر حاصل فى الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكى ما أنفق عـليه الناس قاطبة، وقضَتْ به الشرائـع، وهدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر.

والمراد بكذبه عدم مُطابقته له.

فجمـلة: «العلم نافـع»، إن كانت نسبتـه الكلامية وهى ثـبوت النفع للـعلم المفهومة من ترك الجملة مطابقة للنسبة الخارجية، أى موافقة لما فى الخارج والواقع فصدقٌ! وإلا فكـذب نحو: الجهل نافع فـنسبته الكلاميـة ليست مطابقـة وموافقة للنسبة الخارجية[2] .

المقاصد والأغراض التى من أجلها يلقى الخبر

الأصل فى الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين:

أ ـ إما إفادة المخاطب الحُكم الذى تَضمَّنته الجملة، إذا كان جاهلاً له، ويسمى هذا النوع: **فائدة الخبر** نحو: الدِّينُ المعاملة.

ب ـ وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضاً بأنه يعلم الخبر كما تقولُ لتلميذ أخفى عليـك نجاحه فى الامتحان وعلـمتَه من طريق آخر: نجحـت فى الامتحان، ويسمى هذا النوع.

---

(١) احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله .

(٢) مطابقة النسبة الكلامية : تفهم من الخبر : ثبوتا ونفيا صدق وعدم المطابقة كذب، والنسبة التى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية .

لازَم الفائدة: لأنه يَلزمُ فى كل خبر أن يكون المخبر به عنده عِلم أو ظنٌّ به.

وقد يخرج الخبـر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تُستـفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام: أهمُّها:

١ـ الاسترحامُ والاستعطافُ، نحو: إنى فقير إلى عفو ربى[1] .

٢ـ وتحريكُ الهمة إلى ما يلزم تحصيلهُ، نحو: ليس سَواء عالم وجهولٌ.

٣ـ وإظهار الضّعف والخُشوع. نحو: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

٤ـ وإظهار التحسُّر على شىء محبوب. نحوه: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾[آلعمران: ٣٦].

٥ـ وإظهار الفرَح بمُقبلٍ، والشـماتة بُمدْبِر: نحو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء: ٨١].

٦ـ والتوبيخ كقولِكَ للعاثر: الشمس طالعةٌ

٧ـ والتذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو: لا يستوى كسلان ونشيط.

٨ـ والتحذير. نحو: أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق.

٩ـ والفخر. نحو: إن الله اصطفانى من قريش.

١٠ـ والمدح كقوله: [الطويل].

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقـد يجىء لأغراض أخـرى، والمرجع فى مـعرفـة ذلك إلى الذوق والعـقل السليم.

---

(١) فليس الغرض : إفـادة الحكم أو لازم الفائدة . لأن الله عليم ولكنه طلبَ العـفو. ولهذا فقـد خرج عن معناه الأصلى إلى أغراض أخرى : هذه والتالية .

تمرين

عيِّن الأغراض المستفادة من الخبر فى الأمثلة الآتية:

١ـ قال تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

٢ـ وقال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ**﴾ [عبس: ١ـ ١٠].

٣ـ وقال ﷺ: «**عَدْلُ سَاعَةٍ فى حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ ستين سَنَة**»

٤ـ وقال: «**إن أشدَّ الناسِ عَذَاباً يوم القِيَامَةِ رجلٌ أشْرَكَهُ الله فى حكمه، فأدخلَ عليه الجَوْرَ فى عدله**».

٥ـ ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام: «**إنَّ الرَّائدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَه، والله لو كذبتُ الناس مَاكَذَبْتُكُم ولو غررت الناسَ ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم حقا، وإلى الناس كافة**».

٦ـ وقال الشريف الرضى: [الكامل]:

جار الزمانُ فلا جواد يُرْتَجَى ... للنائبات ولا صديقٌ يشفقُ

وإذا الحليم رمى بسرٍّ صديقه ... عمداً فأَوْلَى بالوداد الأحمقُ

٧ـ وقال المعرى: [الطويل]:

عرفتُ سجايا الدهر، أما شرورُهُ ... فنقْدٌ، وأما خيرُه فَوُعُودُ

٨ ـ وقال: [الطويل]:

رأيت سكوتى مَتْجراً فلزمتُهُ ... إذا لم يُفِدْ ربحاً فلستُ بخاسر

٩ـ وقال أيضاً: [الوافر]

أرَى ولَد الفتى عبئاً عليه ... لقد سعد الذى أمسى عقيما

فإما أن يربِّيَهُ عدواً ... وإما أن يُخَلِّفَهُ يتيما

١٠- قال ابن حيوس مادحاً: {الطويل}

بنـى صالح أقـصَدْتُـم من رميـتُم — وأحييـتُم من أم معروفكـم قصدا
وَذَلَّـلْتُـمُ صعـب الزمـان لأهلـه — فَذَلَّ وقـد كان الجـماح لـه وكدا
منـاقب لو أن الليـالى توشـحت — بأذيالـها لابيضَّ منهـن ما اسودّا

١١- وقال أبو فراس: {الطويل}:

صبرت على اللأْوَاءِ[1] صبر ابن حُرَّةٍ — كثيـر العدا فيهـا قليل الْمُـسَاعِد
مَنَعْت حِمَى قومـى وسُدْت عشيرتى — وقَلّدْتُ أهـلى غُرَّ هذى الـقلائدَ

المبحث الثانى

فى كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظـهار، يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطَّبيب مع المريض، يشخِّص حالتَه، ويعطيه ما يناسبها.

فحق الكـلام: أن يكون بقدر الحاجة، لا زائـدًا عنها، لِئلاً يكـون عبثاً، ولا ناقصاً عنها، لئلا يُخِلَّ بالغرض، وهو: الإفصاح والبيان.

لهذا تخـتلف صُور الخبر فى أساليب اللغة باختلاف أحـوال المخاطب الذى يعتريه ثلاث أحوال:

أولاً: أن يكون المخاطب خالىَ الذهن من الخبر. غير مُتردد فيه ولا منكر له، وفى هذه الحال لا يؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد.

نحو قوله تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ {الكهف: ٤٦}.

(ويسمى هذا الضرب مـن الخبر: ابتدائيا) ويُستعمل هـذا الضرب حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إيَّاه خاليا[2].

ثانياً: أن يكون المُخَاطب مُـترددًا فى الخبر، طالباً الوصول لمـعرفته، والوقوف على حقيقته فيُستحسنُ تأكيد[3] الكلام المُلْقَى إليه تقوية للحُكم، ليتمكّنَ من نفسه

---

(١) الشدة والمحنة. (٢) عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى - فصادق قلبا خاليا فتمكنا.

(٣) الخطاب بالجملة الإسمية وحـدها أكثر من الجملة الفعلية فإن أراد التوكيد فـبالإسمية وحدها أو باللام أو باللام وإن أو بهما والقسم، والـفعلية مضارعية تؤكد بنون التوكيد والماضـى ب قد أو لقد . . كما سيأتى فى ٣٩ .

ويَطرحَ الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأميرَ مُنتصرٌ.

(ويُسَمَّى هذا الضرب من الخبر: طَلَبيا) ويؤتى بالخبر من هذا الضَّرب حين يكون المخاطب شاكا فى مدلول الخبر، طالبا التثبُّت من صدقه.

ثالثًا: أن يكون المخاطب منكرًا للخبر الذى يُرَاد إلقاؤه إليه، معتقدًا خلافه، فيجب تأكيدُ الكلام له بمؤكد. أو مؤكدين أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار، قوةً وضعفًا.

نحو: إنّ أخاك قادمٌ، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم.

أو لعمرى: إنّ الحقَّ يَعلو ولا يُعلَى عليه.

(ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر: إنكاريا) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب منكرًا.

واعلم أنه كما يكون التأكيد فى الإثبات، يكون فى النفى أيضًا، نحو: ما المُقتَصد بمُفتقر، ونحو: والله ما المستشير بنادم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة، وأشهرها إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداء وأحرف التنبيه، والقسمُ، ونونا التوكيد، والحروفُ الزائدة: كـتفَعَّل واستفعل والتكرار، وقد، وأمَّا الشَّرطيَّة، وإنَّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوى.

الثانى: يسمى إخراج الكلام على الأضرُب الثلاثة السابقة إخراجًا على مقتضى ظاهر الحال[1].

الثالث: وقد تَقتضى الأحوالُ العدُولَ عن مقتضى الظاهر ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم، وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة.

١ ـ منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها أو بهما معًا، منزلة الجاهل بذلك لعدم جَريِه على مُوجب علمه فيُلقَى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يَعلم وجوبَ الصلاة، وهو لا يصلى: الصلاةُ واجبة توبيخًا على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك، لمن يُؤذِى أباه: هذا أبوك.

---

(١) حال المخاطب والحال: هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية ما سواءاً أكان ذلك الأمر الداعي ثابتا فى الواقع وكان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم لتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل.

٢ - ومنها تنزيل خالى الذّهن مَنزلة السائل المتردّد، إذا تقدمّ فى الكلام ما يشير إلى حُكم الخبر كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، فمدخول إنّ مؤكدٌ لمضمون ما تقدمه، لإشعاره بالتردّد فيما تضمنه مدخولها، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤].

لما أمر المولى نوحًا أوّلاً بصنع الفلك، ونهاه ثانيًا عن مُخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل فى مقام السائل المتردد.

هل حكم الله عليهم بالإغراق؟؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

٣ - ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار؛ كقول حَجَل بن نَضْلة القيسى «من أولاد عمّ شَقيق» . [السريع].

جاءَ شَقِيقٌ عارضًا رُمحَهُ   إنَّ بَنى عَمّك فيهم رِماحُ

فشقيقٌ رجلٌ لا ينكرُ رماحَ بَنِى عمه. ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعًا رُمحَه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملاً له عرضًا على كتفه فى جهة العدُوِّ بدون اكتراثه به، بمنزلة إنكاره أن لبنى عمه رماحًا، ولم يَجِد منهم مُقاومًا له كلّهم فى نظره عُزْلٌ، ليس مع أحد منهمَ رمحٌ.

فأكد له الكلام استهزاءً به، خوطب خطاب التفاتٍ بعد غيبةٍ تهكمًا به، ورميًا له بالنزَق وخرق الرأى.

٤ - ومنها تنزيل المتردد[1] منزلة الخالى، كقول للمتردد فى قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير.

٥ - ومنها تنزيل المتردد منزلة المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إن الفرج لقريب.

٦ - ومنها تنزيل المنكر منزلة الخالى، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارْتَدَع وزال إنكاره كقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وكقولك لمن يُنكر منفعة الطب: الطّب نافعٌ.

---

(١) ٤، ٥، ٦، ٧ يعطى حكمة حينئذ فى ٤ قدم الخبر غير مؤكد وفي ٥ حقه التوكيد وفى ٦ غير مؤكد لوجود الدلائل لو تأملها زال إنكاره وفى ٧ أكد بمؤكد واحد .

٧ - ومنهـا تنزيل المنكر منزلة المتـردد، كقـولك لمن يُنكر شـرف الأدب إنكارًا ضعيفـاً «إنَّ الجاه بالمال إنَّما يصحبك ما صحبك المال، وأمَّا الجـاه بالأدب فإنه غير زائل عنك».

الرابع: قد يؤكـد الخبـر لشرف الحكم وتقـويته، مع أنه ليس فـيه تردّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: إنَّ أفضل ما نطق به اللسان[1] كذا.

تدريب

بيِّن أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتى:

١ - قـومى هُمُ قـتلوا أُمَيْمَ أَخى … فـإذا رَمَيْتُ يُصيـبُنِى سَهـمى[2]
[الكامل]

٢ - قـد كنتَ عُدَّتى التى أسطو بها … ويدى إذا اشتـدّ الزمان وسـاعدى[3]
[الكامل]

٣ - أبا المسك أرجوا منك نصرًا على العدى … وآمل عـزًا يخـضب البـيض بالدم[4]
[الطويل]

٤ - كـفى بجسـمى نحُولاً أننى رجل … لولا مُخـاطبـتى إيـاك لـم ترنى[5]
[البسيط]

٥ - وأنت الذى ربَّيت ذا الملـك مـرضـعًا … وليس لـه أمٌّ سـواك ولا أب[6]
[الطويل]

٦ - ذهب الذيـن يُعَاش فى أكنافـهم … وبقيتُ فى خـلفِ كجلد الأجرب[7]
[الكامل]

٧ - إن كـان لا يرجـوك إلا مـحـسن … فبـمَنْ يلوذُ ويستجـيـرُ المجـرم[8]
[الكامل]

أدعـوك ربٍّ كمـا أمـرت تَضرُّعًا … فـإذار رَدَدْتَ يـدى فـمن ذا يرحم[9]
[الكامل]

٨ - ظمـئتُ وفى فمى الأدب المصـفى … وضعْتُ وفـى يـدى الكنز الثمين[10]
[الوافر]

---

(١) دقة التصرف فى التعبير من مزايا اللغة العربية - فالكلام على قدر الحاجة من الإفصاح والبيان لا تزيد وإلا كان عبثا ولا تنقص وإلا أخل بالغرض.

(٢) إظهار الحسرة والأسى. (٣) إظهار الضعف. (٤) الاسترحام وطلب العون.

(٥) إظهار الضعف (٦) العلم بحاله. (٧) التحسر والخوف.

(٨) إظهار السماحة والعفو. (٩) الدعاء والتضرع. (١٠) الفخر المشوب بالحسرة.

كانَ مُعَاويةُ رَضى الله عَنْهُ حَسَنَ السِّياسَةِ والتَّدْبِيـرِ يحْلُم فِى مَوَاضِعِ الْحِلْمِ، ويَشْتَدُّ فى مَوضعِ الشّدَة.

لقدْ أدبت بَينك باللِّين والرِّفق، لا بالقَسوةِ والعِقاب.

ولَمَّا دَعَوْتُ الصَّبـر بعـدك والأسى أجـاب الأسَى طوعًا ولم يـجب الصَّبـرُ [الطويل]

فـإن يَنْقـطعْ منك الرجـاء فـإنَّه سَيـبقى عليك الحُزنُ مـا بَقِى الدَّهْرُ [الطويل]

٣ ـ تُوفِّىَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِىَ الله عَنْهُ سَنَةَ ثَلاَثٍ وعِشْرِينَ مِنَ الهِجْرَة.

٤ـ قال أبو فراس الحَمدَانىّ: [الطويل].

ومكـارمِـى عَـدَدُ النجـومِ ومَنْزِلـى مـأوَى الـكـرامِ ومـنْزِلُ الأضيـافِ

٥ـ وقال أبو الطيب: [الطويل].

ومَـا كـل للْجَمِيـل بـفَاعِـلٍ ولاَ كـل فعَّال لَـهُ بِمـتَمَـمِ

٦ـ وقال أيضاً يَرْثِى أُختَ سَيفِ الدَّولة: [البسيط]:

غَدَرْتَ يامَوْتُ كَمْ أفْنَيْتَ مِنْ عَـدَدٍ بمَنْ أصبْتَ وكَمْ أسْكَتَّ من لَجَبِ[1] [البسيط]

٧ـ وقال أبو العتاهية يَرْثِى وَلَدَه عليا: [الوافر].

بَكَـيْتُـكَ يا عَلِىّ بـدَمْع عَيْنِـى فَمَـا أغْنَـى الْبُكَـاءُ عَـلَيْكَ شيَّا
وكـانَتْ فى حَيَـاتِـكَ لِى عِظَاتٌ وأنْتَ اليـومَ أوْعَظ مِـنْكَ حَيًّا[2]

٨ـ إنَّ الـثَّمـانِـينَ وَبـلِّغْتَـهـا قد أحوجتْ سمعى إلى تَرْجمانِ[3] [السريع]

٩ـ قال أبو العلاء المعرِّى: [الطويل]:

وَلِى مَنْطقٌ لَمْ يَرْضَ لى كُنْهَ[4] مُنْزِلى عَلَـى أنَّنى بَيْنَ السِّماكينِ[5] نازِلُ[6]

١٠ـ قال إبراهيم بنُ المَهدىّ يخاطب المأمون: [المجتث].

أتيـتُ جُـرمـاً شَنِيَعـاً وأنْـتَ للعَـفو أهْـلُ
فَـإن عَفَـوْتَ فَمَـنٌّ وإن قَتَلْـتَ فَعَـدْلُ[7]

---

(١) إظهار الأسى والحزن ـ لجب: كثرة الأصوات واضطرابها.
(٢) إظهار التحسر والأسى. (٣) إظهار الضعف والعجز. (٤) جوهر الشىء وأصله وحقيقته.
(٥) كوكبان نيران. (٦) إظهار الفخر والتعظيم. (٧) الاستعطاف والترحم.

تطبيق (أ)

أحص المؤكدات فى العبارات التالية، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة:

١ـ ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلُ عَفَافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونَائِلُ

[الطويل]

٢ـ وإنَّ امرأً قد سار خمسين حجَّة إلى مَنْهلٍ من ورده لَقريب

[الطويل]

٣ـ ليس الصَّديق بمن يعيرك [ظاهرًا] مُتَبسِّماً عن باطن مُتجهم

[الكامل]

٤ـ قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

٥ـ قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ٩ـ ١١].

٦ـ أمَّا الفِراق فإنه ما أعهدُ هو تَوْأَمِى، لو أنَّ بيناً يُولد

[الكامل]

٧ـ وإنَّ الذى بَينى وبين بنى أَبى وبين بَنِى عمِّى لمختلفٌ جداً

[الطويل]

٨ـ ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٤].

٩ـ وإِنِّى لصبَّار على ما ينُوبُنى وحسبك أن الله أثنى على الصبر

[الطويل]

١٠ـ وإنِّى لقوَّال لذى البثَّ مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرصد

[الطويل]

وإنى لحلوٌ تَعترينى مرارةٌ وإنى لتراَّك لِمَا لم أعوَّد

٤	لام القسم، لام التوكيد، نون التوكيد	إنكارى
٥	تكرار جعلنا	طلبى
٦	أما، إن، أن	طلبى لأن كل مؤكدة فى جملة
٧	أن، لام الابتداء	إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد

٨ـ لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم قال لهم الرسل: ﴿**إنا إليكم مرسلون**﴾ فألقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين، فكذبوا فقالوا لهم: ﴿**إنا إليكم لمرسلون**﴾ مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث، فجحدوا، فقالوا لهم: ﴿**ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون**﴾ فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٩	وإنى لصبار	إن ولام الابتداء	إنكارى
١٠	وإنى لقوال	إن ولام الابتداء	إنكارى
	وإنى لحلو	إن ولام الابتداء	إنكارى
	وإنى لتراك	إن ولام الابتداء	إنكارى

١١ـ ولقد نصحتك إن قبلتَ نصيحتى … والنصح أغلى ما يُباع ويُوهب [الكامل]

٤ـ إن الغنىَّ من الرجال مُكرَّمٌ … وتراه يُرجى ما لديه ويرغب [الكامل]

٥ـ فما الحداثة عن حلْمٍ بمانِعةٍ … قد يوجد الحلم فى الشبان والشِّيب [البسيط]

تمرين

اذكر أضرب الخبر وأدوات التوكيد:

١ـ قال تعالى: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**

إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

٢ـ وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ـ وقال ﷺ: «شرُّ النّاسِ الَّذينَ يُكْرَمونَ اتّقاءَ أَلْسنَتِهِمْ».

٤ـ وقال عليّ كرَّم الله وجهه: «مارَسْتُ كلَّ شيءٍ فَغَلَبْتُه، ومارسنى الفقر فَغَلبنى، إنْ سَتَرْتُه أهلكنى، وإنْ، أَذَعْتُهُ فَضحنى».

٥ـ وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام يصف الأنصار: «إنكم لَتَقِلّون عِندَ الطّمع، وتكثُرُون عند الفَزَع».

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١١	ولقد نصحتك	القسم وقد	إنكارى
	والنصح أغلى	الجملة الاسمية	ابتدائى
٤	إن الغنى	إن، والجملة الاسمية	طلبى
	وتراه يرجى		ابتدائى
٥	فما الحداثة إلخ	الباء الزائدة «بمانعة»	طلبى
	قد يوجد الحلم	قد	طلبى

٦ـ وقال بشار بن بُرد: [الطويل]:

خَلِيلَيَّ إنَّ المالَ ليسَ بدافعٍ ... إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديق

٧ـ وقال أبو العتاهية: [البسيط].

قد يُدْرِكُ الراقد الهادى برَقْدَتِه ... وقد يَخِيبُ أخو الرَّوحاتِ والدُّلَجِ[1]

٨ـ وقال: [الكامل]:

إن البخيل وإن أفاد غِنًى ... لَتُرَى عليه مَخايلُ الْفَقْر

ما فاتنى خير امرئ وَضَعَتْ ... عنّى يداهُ مَثُوبَةَ الشكر

٩ـ وقال آخر: [الوافر].

وما لُبُّ اللَّبِيبِ بغير حَظ ... بأغنى فى المعيشة من فَتِيلِ[2]

(١) الدُّلج: جمع «دلجة» السير فى الليل كله.

(٢) فتيل: القليل: ما فتلته بين أصابعك من الوسخ، أى شيئا بقدر الفتيل.

١٠- وقال آخر: [الطويل]:

وَلَلْحِلْمُ خَيْر فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً ... من الجهل إلا أن تُشَمَّسَ من ظُلم

١١- وقال حسان بن ثابت: [البسيط]:

أصون عِرْضى بمالى لا أُدَنِّسُه ... لا بارك الله بعد الْعِرْضِ فى المال

أحتالُ للمالِ إن أودَى فأكسِبُهُ ... ولستُ للعرض إن أوْدَى[1] بمحتالِ

١٢- وقال الشاعر: [الطويل]:

ولم أرَ كالمعروف: أمَّا مَذَاقُهُ ... فحلو، وأما وجهُهُ فجميلُ

١٣- وقال صردُر: [المتقارب]:

تَذلُّ الرجالُ لأطماعها ... كذُلِّ العبيد لأربابها[2]

وأعْلَمُ أن ثيابَ العَفَا ... ف أجملُ زِىٍّ لُمجْتَابِهَا[3]

١٤- وقال آخر: [الطويل]:

لعَمْرُكَ ما يَدْرِى امرؤ كيف يَتَّقِى ... إذا هو لم يَجْعَلْ لَهُ الله وَاقيا

١٥- وقال سعيد بن حميد فى العتاب: [الكامل]:

أقْلِلْ عتابَكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدهر يَعْدل تارةً ويميلُ

ولعل أحدَاثَ المنيةِ والرَّدَى[4] ... يومًا ستَصْدَعُ بيننا وتَحُولُ

فَلَئِنْ سَبَقْتُ لتبكينَّ بحسرةٍ ... ولَيَكْثُرَنَّ علىَّ منك عويلُ

ولئن سَبَقتَ - ولا سَبَقتَ - ليمضين ... من لا يشاكلُهُ لدىَّ خليلُ

وليذهبنَّ بهاء كلِّ مُرُوءَة ... ولَيُفْقَدَنَّ جمالُهَا المأهول[5]

١٦ إنَّ الحياة لثَوْبٌ سوف نخلعهُ ... وكل ثوبٍ إذا ما رثَّ ينخلع

[البسيط]

١٧- ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

***

---

(١) المجهود والمشقة.

(٢) جمع «رب» السيد.

(٣) لابسها.

(٤) المنية: الموت، الردَّى: الهلاك.

(٥) الطبيعى الكثير.

تطبيق (ب)

اذكر أضْرُبَ الخبر وبيِّن المؤكدات فيما يأتى:

١ـ وعاد فى طَلَب المترُوك تاركهُ   إنَّا لنَغْفلُ والأيام فى الطّلب

{البسيط}

٢ـ **﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾**
{النبأ: ٩ ـ ١١}.

٣ـ أمَا دون مصر للغنى مُتطـلب   بلى إِنَّ أسباب الغنى لكثيرُ

{الطويل}

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١٦	إن الحياة لثوب	إن ولام الابتداء	إنكارى
١٧	وكل ثوب الخ		ابتدائى
	غفلتهم عن الموت تعد من أمارات الإنكار		إنكارى
			ابتدائى
١	وعاد فى طلب المتروك		
١	إنا لنغفل	إن ولام الابتداء	إنكارى
٢	وجعلنا نومكم الخ	(تكرير جعل)	طلبى
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبى
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	إنكارى

٤ـ فـيـومٌ لـنـا ويـومٌ عـلـينـا   ويــــومٌ نُـسَـاءُ ويـومٌ نُسَرُّ

{المتقارب}

٥ـ إِنَّ من البيان لَسِحراً وإِنَّ من الشعر لَحِكمةً.

٦ـ قد يُدْرِك الشرفَ الفتى ورِدَاؤه خلقٌ[1]

---

(١) بالٍ .

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبى
٥	إن من البيان لسحراً	إن ولام الابتداء	إنكارى
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	إنكارى
٦	قد يدرك		طلبى

المبحث الثالث

فى تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ ـ **الجملة الفعلية:** ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل؛ وهى: موضوعة لإفادة التّجدّد والحدوث فى زمن مُعيَّن مع الاختصار نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء، ويُحاسَب فى الآخرة حسابَ الأغنياء.

ونحو: أشرَقتِ الشمسُ وقد ولى الظّلام هارباً.

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الإشراق للشمس، وذهاب الظّلام فى الزّمان الماضى.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدى شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع، بشرط أن يكون الفعلُ مضارعاً نحو قول المتنبى: [الطويل].

تُدَبِّر شرقَ الأرض والغرب كفه   وليس لها يوماً عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنُه، وشأنُه المستمر الذى لا يحيد عنه. ويتجدد آنا، فآنا.

ب ـ **والجملة الاسمية:** هى ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهى تفيد بأصل وضعها ثبوت شىء لشىء ليس[1] غيرُ بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار، نحو: الأرض متحركة، فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حُدُوثِه.

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتُفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن: إذا لم يكن فى خبرها فِعْلٌ مضارعٌ: وذلك بأن يكون الحديث فى مقام المدح، أو معرض الذّمّ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فسياق

---

(١) الجملة الاسمية : موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه ـ الخبر للمبتدأ من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث.

الكلام فى معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، ومنه قول النضر بن جُؤبة يتمدح بالغنى والكرم: [البسيط].

لايألف الدرهمُ المضروب صرَّتنا　　لكن يمر عليها وهو منطلق

يريد أن دراهمه لا ثبات لها فى الصرة ولا بقاء، فهى دائما تنطلق منها، وتمرق مروق السهام من قسيتها[1] ، لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات.

واعلم أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفردا نحو: الوطن عزيز.

أو كان خبرها جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتى.

أما إذا كان خبرها فعلا فإنها تكون كالجملة الفعلية فى إفادة التجدد والحدوث فى زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه، ونحو: [الوافر].

تعيبُ الغانياتُ علــى شيبى　　ومــــن لــــى أن أمتع بالمشيب

وكقول الآخر: [المتقارب].

نروح ونغـــــدو لحاجاتنا　　وحـــاجة من عـــاش لا تنقضى

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هــو علم المعاني؟ مــا هو الإسناد؟ ما هي مــواضع المسند والمسند إليــه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟ مــا الفرق بين النسبة الكلامية والنسبــة الخارجية؟ ما هو الأصل فى إلقاء الخــبر؟ ما هى الأغراض الأخــرى التى يلقى إليها الخبــر؟ ما هى أضرب الخــبر؟ ما هى أدوات التــوكيد؟ لماذا يعــدل عن مقتــضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأى شيء وضعت الجملة الاسميــة والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية فى التراكيب الآتية:

(١) جمع مفرده: قَوْس.

١ـ قال تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

٢ـ نـــــروح ونغدو لحاجـاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

[المتقارب]

٣ـ وعلى إثرهم تساقط نفسى حســراتٍ وذكرهُـمُ لى سِقام

[الخفيف]

يأتى على الناس زمانٌ لا يبالى المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام؟.

٥ـ أو كلما وردتْ عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا إلىَّ عَريفهـــم يتوســـم

[الكامل]

الباب الثانى
فى حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغةً: الإيجاد، **واصطلاحاً**: كلامٌ لا يحتملُ صدقاً ولا كذباً لذاته، نحو اغفر ـ وارحم، فلا يُنسَبُ إلى صِدق أو كذب.

وإن شئت فقل فى تعريف الإنشاء: هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظتَ به. فطلبُ الفعل فى: افعل، وطلب الكف فى: لا تفْعَلْ، وطلب المحبوب فى: التمنى، وطلب الفهم فى: الاستفهام، وطلب الإقبال فى النداء، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبى، وإنشاء غير طلبى.

فالإنشاء غير الطلبى: ما لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتَّعجُّب والرَّجاء، ويكون برُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

١ـ أما المدح والذم فيكونان: بِنعْمَ وبِئْسَ، وما جري مجراهما.

نحو حبَّذا ولا حبَّذا؛ والأفعال المحوَّلة إلى فعُل نحو طاب علىٌّ نفساً وخبث بكر أصلا.

٢ـ وأما العقود: فتكون بالماضى كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ، وأعتقتُ، وبغيره قليلاً، نحو أنا بائع، وعبدى حرٌّ لوجه الله تعالى.

٣ـ وأما القسم: فيكون بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

٤ـ وأما التعجب: فيكون قياسًا بصيغَتَين، ما أفعله، وأفعل به وسماعاً بغيرهما، نحو: لله دَرُّه عالما، **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم﴾** [البقرة: ٢٨].

٥- **وأما الرَّجاء**: فيكون: بعسى، وحري، واخْلَوْلَق، نحو: عسى الله أن يأتى بالفتح.

واعلم أن الإنشاء غير الطلبى لا تبحث عنه علماء البلاغة لأن أكثر صيغه فى الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

وإنما المبحوث عنه فى علم المعانى هو: **الإنشاء الطَّلبى**: لما يَمْتَازُ به من لَطائف بلاغيَّة.

إذن يتضح أن **الإنشاء الطَّلبى هو الذى يَسْتَدْعِى مَطلوباً غير حاصلٍ فى اعتقاد المتكلم وقت الطلب.**

وأنواعه خمسة: الأمر، والنَّهى، والاستفهام، والتَّمنى، والنداء.

وفى هذا الباب خمسة مباحث.

المبحث الأول فى الأمر

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المُخاطب: على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله أربع صيغ:

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ [مريم: ١٢].

٢- والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله سبحانه وتعالي: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** ﴾[الطلاق: ٧].

٣- واسم فعل الأمر نحو: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥].

٤- والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعيا فى سبيل الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلى وهو «الإيجاب والإلزام» إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

١- **كالدعاء** فى قوله تعالى: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**﴾ [النمل: ١٩، والأحقاف: ١٥].

٢ـ والالتماس: كقولك لمن يساويك: أعطني القلم أيها الأخ.

٣ـ والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ـ والتهديد: كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ـ والتعجيز: كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

٦ـ والإباحة: كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ونحو: اجلس كما تشاء.

٧ـ والتسوية: نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].

٨ـ والإكرام: كقوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

٩ـ والامتنان: كقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [النحل: ١١٤].

١٠ ـ والإهانة: كقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].

١١ـ والدَّوام: كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦]

١٢ـ والتمني: كقول امرئ القيس: [البحرالطويل]

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انْجلِ   بصُبْحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

١٣ـ والاعتبار: كقوله تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

١٤ـ والإذن: كقولك لِمَنْ طَرَقَ البابَ: ادخل.

١٥ـ والتكوين: كقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ٧٣، النحل: ٤٠].

١٦ـ والتخيير: نحو: تَزَوَّجْ هندًا أو أُخْتَها.

١٧ـ **والتأديب**: نحو: كُلْ مِمَّا يَليك.

١٨ـ **والتَّعجب**: كقوله تعالى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ** ﴾ [الإسراء: ٤٨].

تمرين

بيِّن ما يُراد من صيغ الأمر فى التراكيب الآتية:

فصبراً فى مَجال المـوتِ صَبْراً ... فمـا نيلُ الخـلود بمُستطاعِ
[الوافر]

فغضَّ الطـرفَ إنك مـن نُمير ... فلا كـعبـاً بلغت ولا كـلاباً
[الوافر]

فيا مـوت زر إنّ الحـيـاة ذميمةٌ ... ويا نـفسُ جِدِّى إنَّ دهـرك هازل
[الطويل]

١ـ ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢ـ أسيئى بنا أو أحْسِنى لا مَلُومَةٌ ... لديْنَـا لا مَقـلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ
[الكامل]

٣ـ يـا لَيلُ طُـلْ يـا نَوْمُ زُلْ ... يـا صُبحُ قِـفْ لا تَطْلـع
[الكامل]

٤ـ عِشْ مـا بَدَاَ لَكَ سالِماً ... فى ظِـلّ شـاهـقَة القـصُور
[مجزوء الكامل]

٥ـ ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [الملك: ١٣]

٦ـ ترفَّقْ أيُّهـا المولى عـليـهم ... فـإنَّ الرِّفق بالجـانى عـتـابُ
[الوافر]

٧ـ أرى العنقـاءَ تكبُرُ أن تصـادا فـــعـــــانِدْ مَنْ تُطيق لـه عِنادا

[الوافر]

٨ـ خليليَّ هُبَّا طالما قـد رقدْتُمـا أجِـدَّكمـا لا تقضـيان كـراكمـا

[الطويل]

٩ـ أريني جواداً مات هُزلا لعلني أرى مـا ترينَ أو بخـيــلاً مُخلَّدا

[الطويل]

١٠ـ قال تعـالى: ﴿قُلْ هاتوا بُرهـانكم إنْ كنـتُم صـــادقين﴾ [البقرة: ١١١].

١١ ـ قدْ رشَّحُوك لأمْر إن فطنْت لهُ فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

[البسيط]

١٢ـ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥].

١٣ـ ليسَ هذا بعشك فادرُجى.

١٤ـ اعمل لدُنْيَاك كأنكَ تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

١٥ـ فمن شاء فليبخل ومن شاءَ فليجُدْ كَفَانى نَدَاكم عن جميع المطالب

[الطويل]

يَاربِّ لا تَسلبَنِّى حُبَّهـــا أبداً ويرحم الله عــبـداً قـــال آمـينا

[البسيط]

١٦ـ أُولئك آبائى فجـئنى بمثلهم إذا جـمعـتنا يا جـرير المجـامع

[الطويل]

أرونى بخيــلاً طال عُمراً ببُخلِه وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

[الطويل]

وحُسن ظنك بالأيام مُعـجزة فظنَّ شـراً وكن منها على حـذر

نموذج

بين نوعَ الإنشاء وصيغته فى الأمثلة الآتية:

١- يَا أيهَا المتَحلى غــيْرَ شِيــمَتِهِ ... ومــن شَمَائلــهِ التَّبـــديل والمـلَقُ

[البسيط]

ارجع إلى خُلـقك المعَروف دَيْدنُه ... إنَّ الـتَّخَلّقَ يــأتــى دُونَهُ الخُلُق

٢- يَا ابـنــتـى إنْ أردْتِ آيَةَ حُسْـنٍ ... وجَمَالاً يَزِينُ جِسْمــاً وعــقــلا

[الخفيف]

فــانـبُذِى عَادةَ التـبــرجِ نَبْذاً ... فَجــمــالُ النـفُوس أسـمى وأعْلَى

يَصْنَعُ الصــانعُون وَرْداً ولـكنْ ... وردَةُ الرَّوضِ لا تـضــارَعُ شكـلا

٣- يَا ليتَ مـن يمنع المعــروف يمنعهُ ... حـتى يَذُوقَ رجـال غبَّ مـا صنعـوا

[البسيط]

٤- لعَمركَ مـا بالعقل يكتـسب الغِنى ... ولا باكـتسـابِ المال يكتـسب العـقل

[الطويل]

أسئلة على الإنشاء يطلب أجوبتها

ما هو الإنشاء لغة واصطلاحاً؟ إلى كم ينقـسم الإنشاء؟. ما هو الإنشاء الغير الطلبى؟. كم أقسـام الإنشاء الطلبى؟. ما هو الأمـر؟. كم صيغة للأمـر؟ ما هى المعانى التى تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها.

*****

المبحث الثانى

فى النهى

النَّهى: هو طلب الكـفِّ عن الشيء على وجـه الاستـعـلاء مع الإلزام، وله صيغـةٌ واحدةٌ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية: كـقوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ الأعـراف: ٨٥] ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد تخرج هـذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى مـعانٍ أُخَرَ، تستفـاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ـ **كالـدُّعاء**: نحـو قـوله تعـالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ـ **والالتماسُ**: كقولك لِمَنْ يساويك: أيها الأخ لا تتوانَ.

٣ـ **والإرشاد**: كـقوله تعـالى: ﴿ لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم﴾ [المائدة: ١٠١].

٤ـ **والـدوام**: كـقوله تعـالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُون﴾ [ابراهيم: ٤٢].

٥ـ **وبيان العاقبة**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٦ـ **والتيئيس**: نحـو قوله تعـالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم﴾ [التوبة: ٦٦].

٧ـ **والتمني**: نحو: ياليلةَ الأنس لا تنقضى.

وكقوله: [الكامل]

ياليلُ طـُـلْ يا نـوُم زُلْ ... يا صبحُ قِفْ لاَ تطلع

٨ـ **والتهديد**: كقولك لخادمك: لا تُطِعْ أَمْرِى.

٩ـ **والكراهة**: نحو: لا تَلْتَفِتْ وأَنْتَ فى الصلاةِ

١٠ـ **والتَّوبيخ**: نحو: لا تَنْه عن خُلق وتأتِىَ مِثْلَه.

١١ـ **والائتناس**: نحو: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

١٢ـ **والتَّحقير**: كقوله: [البسيط]:

لا تَطْلُبِ المجدَ إنَّ المجْدَ سُلَّمهُ ... صَعبٌ، وعِشْ مُستريحاً ناعمَ البالِ

وكقوله: [البسيط]:

دَعِ المكارِمَ لا ترحل لبُغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسى

*****

تطبيق

اذكر ما يُراد من صيغ النهى الآتية:

١ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

٢ـ فلا تلزمنَّ الناس غير طباعهم ... فتتعبَ من طول العتاب ويتعبوا
ولا تغترر منهم بحسن بشاشة ... فأكثر إيماض البوارق خُلَّبُ
[الكامل]

٣ـ فلا تهجْ إنْ كنت ذَا إربَةٍ ... حَرْبَ أخِى التَّجْرِبَةِ العَاقِل
[السريع]

٤ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]

٥ـ لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنْتَ آكلهُ ... لَنْ تَبْلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا
[البسيط]

٦ـ لا تَحتَجِب عن العيون أيها القَمرُ

٧ـ لا تَعْرِضَنَّ لجعفرٍ مُتَشبِّهاً ... بِندَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِن أنْدَادِه
[الكامل]

٨ـ لا تيأسُوا أن تَسْتَرِدُّوا مجدَكم ... فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمَّ ارْتَقَى
[الكامل]

ولا تجلس إلى أهل الدَّنايا ... فإنَّ خلائق السُّفهاء تُعْدى
[الوافر]

المبحث الثالث

فى الاستفهام

الاستفهام: هو طلب العلم بشىء لم يكن معلوماً من قبل.

وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية؛ وهى:

الهمزةُ، وهلْ، وما، ومتى، وأيَّان، وكيفَ، وأيْنَ، وأنَّى، وكم، وأىّ.

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يُطلبُ به التَّصَوُّر تارة، .والتصديق تارة أخرى، وهو: الهمزة.

ب - وما يُطلبُ به التصديق فقط، وهو: هل.

جـ - وما يُطلبُ به التَّصَوُّر فقط، و هو بقيَّة ألفاظ الاستفهام الآتية:

١- الهمزة

يُطلب بالهمزة أحد أمرين: تَصَوُّرٌ، أو تصديقٌ.

١- فالتصور: هو إدراك المفرد، نحو: أعلىٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ تعتقدُ أنَّ السَّفر حصل من أحدهما، ولكن تطلُبُ تعيينَه.

ولذا يُجَاب فيه بالتَّعيين، فيقال سعيد مثلا.

وحكم الهمزة التى لِطلبِ التَّصور؛ أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

١- مُسندا إليه، نحو: أأنت فعلت هذا أم يوسف؟

٢- أم مُسنداً، نحو: أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه؟

٣- أم مفعولاً، نحو: إياىَ تقصد أم سعيداً؟

٤ـ أم حالاً، نحو: أراكباً حضرت أم ماشياً؟

٥ـ أم ظرفاً، نحو: أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة؟

ويذكر المسؤول عنه فى التَّصور بعد الهمزة: ويكون له مُعادلٌ يذكر بعد أم غالباً: وتُسمى مُتَّصلة.

وقد يُستغنى عن ذكر المعادل نحو: ﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

ب ـ والتصديق: هو إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها، بحيث يكون المتكلم خاليَ الذهن مما استُفْهِم عنه فى جملته مصدقا للجواب إثباتًا بنعم أو نفيًا بلا.

وهمزة الاستفهام تدلُّ على التصديق إذا أريد بها النسبة.

ويكثر التصديق فى الجُمل الفعلية كقولك: أحضر الأميرُ؟

تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها وفى هذه الحالة يجاب بلفظة: نعم أو لا.

ويقل التصديق فى الجمل الاسمية نحو: أعلى مسافر؟

ويمتنع أن يذكر مع همزة التصديق معادل كما مَثَّلَ.

فإن جادت أم بعدها قُدرتُ مُنقطعة وتكون بمعنى(بل):

ولست أُبالِي بعد فقدى مالكاً ... أموتِيَ ناء أم هُو الآن واقعُ
[الطويل]

ونحو: [الكامل]
هل يسمعنَّ النَّضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق؟

٢ـ هــــل

يطلب بها التصديق فـقط، أى معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقـوعها لا غير، نحو هل حافظ المصريون علي مجد أسلافهم؟

ولأجل اختـصاصها بطلب التـصديق لا يذكر مـعها المعادل بعـد أم المتصلة، فلذا.

أ ـ امتنع هل سعد قـام أم سعيد؟ لأنَّ وقوع المفرد وهو سعيـد بعد أم الواقعة فى حيز الاستفهام دليل على أنَّ أم متصلة.

وهى لطلب تعيين أحد الأمرين، ولابد حينئذ أن يعلم بها أولاً أصل الحكم.

وهل لا يناسبـها ذلك، لأنها لطلب الحكم فقط، فـالحكم فيها غـير معلوم، وإلا لم يستفهم عنه بها، وحينئذ يُؤَدِّى الجمع بين هل ـ وأم إلى التناقض.

لأنَّ هل تفيد أن السَّائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه.

وأم المتصلة: تفـيد أنَّ السَّائل عالم به، وإنما يطلب تعيين أحـد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كـذلك، كانت مُنقطعـة بمعني بل التى تفيـد الإضراب نحـو: هلْ جاء صديقك أم عدوك.

ب ـ وقبح اسـتعمالُ هل فى تركـيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النِّسـبة، وهو ما يتقدم فيه المعمولُ علي الفعل، نحو: هل خليلاً أكرمت؟، فتقديم المعمول على الفعل يقتضى غالباً حصولَ العلم للمُتكلم.

وتكون هلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ.

تنبيهات

* **الأول**: هَلْ: كالسين وسوف تُخلص المضارعَ للاستقبال.

فلا يُقال: هل تصدق؟ جواباً لمن قال أُحبك الآن، بل تقول له: أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال قوى اتصالها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو هل يَجيءُ علىٌّ أو هل علىٌّ يجى؟

فإن عُدِل عن الفعل إلى الاسم لإبراز ما يحصل فى صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كان هذا العدولُ أبلغ فى إفادة المقصود كقوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٠] فهذا التَّركيب أدل على طلب الشكر من قولك، هل تشكرون؟؛ وذلك لأنَّ الفعل لازمٌ بعد هل والعدول عنه يدل على قوَّة الداعى لذلك لما ذكر.

* **الثانى**: هل: نوعان: بسيطة ومُركبة.

أ - فالبسيطة: هى التى يُستفهم بها عن وجود شىء فى نفسه، أو عدم وجوده، نحو هل العنقاء موجودة؟ ونحو: هل الخِلُّ الوفىُّ موجودٌ؟.

ب - والمُركبة: هى التي يُستفهم بها عن وجود شىء لشىء وعدم وجوده له نحو هل المريخ مسكون؟ هل النَّبات حساس؟

* **الثالث**: (هل) لا تدخل على:

١ - المنفى — فلا يقال: هل لم يفهم علىٌّ؟ .

٢- ولا على المضارع الذى هو الحال — فلا يقال: هل تحتقر علياً وهو شجاع؟

٣- ولا على إنَّ — فلا يقال: هل إنَّ الأمير مسافر؟ .

٤- ولا على الشَّرط — فلا يقال: هل إذا زرتك تكرمنى؟ .

٥- ولا على حرف العطف — فلا يقال: هل فيتقدَّم أو هل ثُمّ يتقدم؟[1]

---

(١) أى لاتقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائما .

٦ـ ولا على اسم بعده فعل فلا يقال: هل بَشراً مِنَّا واحداً نتَّبِعُه؟ .

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

واعلم: أنَّ (الهمزة وهل) يُسأل بهـما عما بعدهما، لأنهما حـرفان ليس لهما معنى مُستقلٌ.

الرابـع: بقيـة أدوات الاستفهام مـوضوعة (للتصـور) فقط، فيسـأل بها عن معناها وهى: ما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأى.

ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسؤول عنه.

ما ومن

ما: موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العُقلاء، ويُطلبُ بها:

أ ـ إيضاحُ الاسم: نحو ما العَسْجَدُ؟ فيقال فى الجواب إنه ذهبٌ.

ب ـ أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى: نحو: ما الشمس؟

فيجاب بأنه: كوكب نهارى.

جـ ـ أو يطلبُ بها بيـان الصفة نحـو: ما خليلٌ؟ وجوابه: طويل أو قصـير. مثلا.

وتقع (هل البسـيطةُ) فى الترتيب العقلى بين (ما) التي لـشرح الاسم، (وما) التى للحقيقة.

فمن يجهل معني البشر مثلا يَسـأل أولا بـ «ما» عن شرحه: فيجاب بإنسان، ثم بـ «هل» البسيطة عن وجوده، فيجاب: بنعم.

ثم بـ «ما» عن حقيقته، فيجاب: بحيوان ناطق.

و«مَنْ» موضوعة للاستفهام، ويطلب بهـا تعيين أفراد العقلاء، نحو: مَنْ فتح مصر؟

ونحو: مَنْ شيَّدَ الهرم الأكبر؟ ونحو: مَنْ شَيَّدَ القناطر الخيرية؟

متى وأيان

متي: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ الزَّمان، سواء أكان ماضياً أو مستقبلا، نحو: متى تولى الخلافة عُمر؟ ومتى نحظى بالحرية؟.

وأيان: موضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة وتكون فى موضع التهويل والتفخيم دون غيره، كقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: ٦].

كيف وأين وأنى وكم وأى

كيف: موضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيينُ الحال: كقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: ٤١]. وكقوله: [الطويل]

وكيف أخاف الفقر أو أُحرم الغنى ورأىُ أميرِ المُؤمنين جميل

وأين: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيين المكان نحو: أَيْنَ شُرَكَاؤُكم.

وأنى: موضوعة للاستفهام - وتأتى لمعان كثيرة.

١- فتكون بمعنى: (كيف)، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٢- وتكون بمعنى: (مِنْ أين)، كقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧].

٣- وتكون بمعنى (متى)، كقولك: زُرنى أنى شئت؟.

وكم: موضوعة للاستفهام: ويُطلب بها تعيين عدد مُبهم، كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُم﴾ [الكهف: ١٩].

وأى: موضوعة للاستفهام: ويُطلب بها تمييزُ أحد المتشاركين فى أمر يعمُّهما، كقوله تعالى: ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣] ويُسأل بها عن: الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره على حسب ما تُضاف إليه أى.

ولذا تأخذ أىٌّ معناها: ممَّا تُضاف إليه.

فإن أضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت حكمها.

وإن أضيفت إلى ما تفيده: متى، أو: كيف أو: غيرهما من الأدوات السابقة أخذت معناها.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي وهو طلب العلم بمجهول، فيستفهم بها عن الشيء، مع العلم به لأغراض أخرى: تفهم من سياق الكلام ودلالته - ومن أهم ذلك.

١ـ الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أي: انتهوا.

٢ـ والنهي، كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣].

٣ـ والتسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

٤ـ والنفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]

٥ـ والإنكار، كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

٦ـ والتشويق، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٧ـ والاستئناس كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

٨ ـ والتقرير، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]

٩ـ والتهويل، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣].

١٠ـ والاستبعاد، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣].

ونحو قول الشاعر: [الكامل]:

مَن لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلمُ ردَّ جوابه؟

١١ـ والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٢ـ والتحقير، نحو: أهذا الذى مدحته كثيراً؟؟

١٣ـ والتعجب، كقوله تعالى: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وكقول الشاعر: [الطويل]

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى؟

١٤ـ والتهكم، نحو: أعقلك يُسوغُ لك أن تفعل كذا؟.

١٥ـ والوعيد، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]

١٦ـ والاستبطاء، كقوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] ونحو: كم دعوتك؟.

١٧ـ والتنبيه على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

١٨ـ والتنبيه على الباطل، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: ٤٠].

١٩ـ والتحسُّر، كقول شمس الدين الكوفي: [الكامل]

ما للمنازل أصبحت لا أهلهــا أهلى، ولا جيرانها جيرانى؟

٢٠ـ والتنبيه على ضلال الطريق، كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]

والتكثير، كقول أبى العلاء المعرى: [الخفيف]

صاح، هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القُبورُ من عهد عاد؟؟

واعلم أن كل ما وضع مـن الأخبار فى صورة الاستفهام فى الأمثـلة السابقة، والآتية تجدَّدتْ له مزية بلاغية، زادت المعني روعة وجمالا.

إذا عرفـت هذا، فاعرف أيـضا أنه يستعمل كـل من: الأمـر، والنـهى،

والاستفهام فى أغراض أخرى، يُرجع فى إدراكها إلى الذوق الأدبى، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له؛ إلا لطريقة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية، يترقى بها الكلام فى درجات البلاغة.

***

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلى؟؟

١ـ أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ ركبَ المطايا وأَنْدَى العالمين بُطون راح[1]
[الوافر]

٢ـ أَنَلْهو وأَيّامُنا تذهب ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ[2]
[المتقارب]

٣ـ متى يبلغُ البنيانُ يوما تمامه إذا كنتَ تَبْنِيه وغَيْرُك يَهْدِمُ[3]
[الطويل]

٤ـ فَعَلامَ يَلْتَمِسُ العدوُّ مساءتى من بعد ما عرفَ الخلائقُ شانِى[4]
[الكامل]

٥ـ وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرم الغنى ورأىُ أميرِ المؤمنين جميل[5]
[الطويل]

٦ـ وهل نافعى أن تُرفع الحُجبُ بيننا ودُون الذى أملتُ منك حِجاب[6]
[الطويل]

---

(١) التقرير . (٢) التهكم والسخرية . (٣) الإنكار.
(٤) التعجب والإنكار. (٥) المدح والتعظيم . (٦) الندم.

٧ـ أضَاعُونِى وأى فـتًى أضــاعـوا ليومِ كريهـــــةِ وسِــداد ثغر[١]

[الكامل]

٨ـ ومَن مثلُ كافور إذا الخيلُ أحجمتْ وكان قليــلاً من يقول لهــا أقدمى[٢]

[الطويل]

٩ـ أفى الحق أنْ يُعطى ثلاثون شاعرا ويحرمَ ما دون الرضا شاعرٌ مثلى[٣]

[الطويل]

١٠ـ أعندى وقد مارســتُ كلَّ خفيِّةٍ يُصــدقَّ واش أو يُخـــيَّب ســائل[٤]

[الطويل]

١١ـ فدعِ الوعيدَ فما وعيدك ضائرى أطنينُ أجنحةِ الذُّبابِ يَضـــيرُ[٥]

[الكامل]

١٢ـ ومَن ذا الذي يدلى [illegible] [illegible] المنايا [illegible]

[illegible]

١٣ـ إذا مـحاسنى اللاتى أُدِلُّ بهـا [illegible]

[illegible]

١٤ـ إلام وفــيمَ تنقـلنا ركــ[illegible] [illegible] لـنــا [illegible]

[الوافر]

١٥ـ فـهل لـى أن أراكِ [illegible] [illegible] يـا بنت الكـرام[٨]

[الوافر]

---

(١) الفخر والاعتزاز.
(٢) الا[illegible] بسجاعته
(٣، ٤) الانكار.
(٥) السخرية والتحقير والتهكم.
(٦) التعظيم والحث على الإقدام
(٧) النفى والإنكار.
(٨) الاستعطاف

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟ ما هى أدواته؟. ما الذى يُطلب بالهمزة؟ ما هو التصور؟ ما هو التصديق؟ ما الفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق وهل؟. ماذا يطلب بكم؟ ما الذى يطلب بأين؟ ما الذى يطلب بمن؟ ما الذى يطلب بما؟ ما الذى يطلب بمتى؟. ما الذى يطلب بكيف؟ ما الذى يطلب بكم؟ ما الذى يطلب بأيان؟ ما الذى يطلب بأنَّى؟ ما الذى يطلب بأىّ؟.

ما هى المعانى التى تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية؟

*****

تمرين

ما هى المعانى التى استعمل فيها الاستفهام فى الأمثلة الآتية:

قال تعالى:

١ـ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد: ١٦].

٢ـ ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾ [فاطر: ٣]

٣ـ ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

٤ـ ﴿ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣]

٥ـ ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]

٦ ـ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

٧ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦]

٨ ـ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[الإسراء: ٤٠]

٩ـ ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩]

١٠ـ ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١].

١١ـ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

١٢ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦ ـ٨].

١٣ـ قال أبو نواس: [الخفيف]

أنا في ذمَّة الخَصيب مقيمٌ ... حيث لا تهتدى صُروف الزمان
كيف أخشى علىَّ غولَ الليالى ... ومكانى من الخصيب مكانى

١٤ـ وقال أبو تمام يمدح عبد الله بن طاهر: [البسيط]

يقول في قَوْمَس[1] قومي وقد أخذت ... منَّا السُّرى وخطى المهرية القود
أمَطلعَ الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا، ولكن مطلع الجود

(١) الملك، الشريف السيد

١٥ـ وقال يفخر بقومه: [الطويل]

مضوا وكأنَّ المَكرماتِ لديهمُ [illegible] لكثرة [illegible] أو [illegible] [illegible]رائع

فأيٌّ يد فى المحل مُدّتْ فلم تكن لها راحةٌ من جُودِهم وأ[illegible]ابعُ؟

١٦ـ وقال رجل من الخوارج كان الحجاج قد عفا عنه: [الكامل]

أأقاتل الحجاجَ عن سُلْطَانه بِيَدٍ تُقرُّ بأنها مولاتُه؟

١٧ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

أَإلى بنى عبد الكريم تشاوسَتْ عيناك، وَيْحَكَ، خلفك من تتفوَّقُ

ما أُنشِئَتْ للمكرمات سحابةٌ إلا ومن أيديهم تتدفَّقُ

[illegible] لمرحوم أحمد شوقى [illegible]

[illegible] الخلف [illegible]

[illegible] بعضكم [illegible]

[illegible] رمى [illegible]

[illegible] في فضلاءِ النَّاس لى أمَلٌ فكيف أمّلْتُ خيراً فى المجانين؟

[illegible] قال العباس بن الأحنف [السريع].

[illegible] صيّرنى داعى [illegible] سقامى وأوجاعى

[illegible] من عَدُوِّى إذا كان عدُوِّى بين أضلاعى؟

٢١ وقال زُفر بن الحارث: [الطويل]

أيذهب يومٌ واحدٌ إن أسأته بصالح أيامى وحُسْن بلائيا

٢٢ - وقال زياد الأعجم: [الطويل].

فـمَن أنتم إنَّا نـسـينا مَـن أنتم ... وريحُكم مـن أىِّ ريـح الأعـاصر

٢٣ - وقال إبراهيم الموصِلِي: [الطويل].

وآمـرةٍ بالبـخـل قُلْتُ لهـا اقْصِرِى ... فليـس إلى مـا تأمُرِين سَبِيل

وكـيف أخافُ الفـقر أو أُحـرمُ الغنى ... ورأْىُ أمـيرِ المؤمـنين جـمـيل

٢٤ - وقال جميل بن معمر: [الطويل].

ألا ليتَ شِعْـرِى هـل أبِيتَنَّ ليلة ... بوادى الـقُرَى إنى إذاً لَسَعـيـد

وهل ألقَيَن سُعْدَى مـن الـدهْر مرة ... وما رَثَّ من حَبْلِ الصـفـاء جـديدُ

٢٥ - وقال شمس الدين الكوفى: [الكامل].

مــ[illegible] والأيام شتَّتَ خَطْبُها ... شـمْلِى وخَلاَّنى بِـلا خِلاّنِ

تمرين

وضِّح الأغراض التى خرج إليها: الأمر، والنهى، والاستفهام فى الأمثلة الآتية:

١ - قال أبو الطيب يعاتب رجلاً ظنه أنه هجاه، وكان غيره هو الذى هجاه: [الوافر].

أتُنْكِرُ يا بن إسـحـاقَ إخـائى ... وتحْسَبُ مـاءَ غـيـرى مـن إنائى؟

[illegible] فيك هُجْراً بَعْدَ عِلْمـى ... بأنك خَيـرُ مَن تَحْتَ السـمـاء؟

[illegible] هذا الـصـبحُ لـيلٌ ... أَيَعْمَى العـالَمُونَ عـن الضـيـاء؟

٢ - وقال يخاطب سيف الدولة: [الطويل].

أجِزْنى إذا أنشِدْتَ شـعـراً فـإنما ... بِشِعـرى أتاك المادحـون مُرَدَّدا

ودَعْ كلَّ صـوتٍ غيـر صوتى فـإننى ... أنا الصـائـحُ المحكىُّ والآخَرُ الصَّدَى

٣ ـ وقال: [الخفيف].

عِشْ عـــزيزاً أوْ مُتْ وأنتَ كــريمٌ ... بــين طَعْنِ الــقَنــا وخَفْقِ الــبُنُودِ
واطلــبِ العـــزّ فى لظــى وذَر الذ ... لّ ولــو كـــان فى جِنـان الخلــود

٤ ـ وقال: [الطويل].

لِمَن تَطلُبُ الدنـيـا إذا لم تُرِدْ بهـا ... ســرور مُحِبٌ أوْ إســاءة مُجْرم

٥ ـ وقال أبو فراس: [الطويل].

بمن يثـقُ الإنســانُ فـيـمــا يَنوبُهُ ... وَمِنْ أينَ لـلحُر الـكريم صحــاب
وقــد صــار هذا الـناسُ إلا أقَلَّهم ... ذئابـاً على أجــسَادهنَّ ثــيــاب

٦ ـ وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن مِعن بن زائدة: [الهزج].

فَصُغْ مـــا كنتَ حَـــليتَ ... بـــه سيفــك خَــلخَــالا
ومـــا تَصْنَعُ بالســيف ... إذا لـــم تـــكُ قــتَّالا

٧ ـ ولابن رشيق: [الخفيف].

أيهــا الليلُ طُـــلْ بغيــر جُناحِ ... لَيْسَ للعــين راحــةٌ فـــى الصَّبَاح
كـيف لا أُبْغِـضُ الصبـاح وفـيـه ... بانَ عنّى نـــورُ الــوُجــوه الملاحِ

٨ ـ وقال كثير: [الطويل].

أَسيــئى بنـا أو أَحْسِنِى لا ملُومَةً ... لَدَيْـهـنــا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ
فــلا يَبْعَدَنْ وَصلٌ لعــزّة أصبـحت ... بعـاقـبـة أسْبـابُهُ قــد تولّتِ

٩ ـ وقال البحترى: [البسيط].

إسْلَمْ أبا الـصَّقْر للمــعـــرو تَصنَعُهُ ... والمجـــد تَبنيــه في ذُهْلى بْنِ شَيْبَان

١٠ ـ وقال الفرزدق: [الطويل].

أَتَرْجُــو رَبيعٌ أن يجـــىء صِغارُهَا ... بخيــرٍ وقــد أعــيا رَبيعاً كــبارُها

١١ - وقال جرير: [الكامل].

قُلْ للجبانِ إذا تأخّر سَرْجُهُ هل أنتَ مِن شَرَكِ المنية ناجي؟

١٢ - وقال المعرّي: [الكامل].

افهم عن الأيامِ فهي نَوَاطِقٌ ما زال يَضربُ صَرْفُها الأمثالا

لم يمضِ في دنياكَ أمرٌ مُعجبٌ إلاَّ أرَتْكَ لما مضى تمثالا

١٣ - وقال: [الخفيف].

ما افتخارُ الفتى بثوبٍ جديدٍ وهو مِن تحته بعِرْضٍ لبيس[1]

والفتى ليس باللُّجَيْن وبالتِّبر[2] ولكن بعزَّةٍ في النفوس

١٤ - وقال المرحوم إسماعيل صبري باشا يرثي طفلاً صغيراً: [البسيط].

يا مالئ العينِ نوراً والفؤادِ هَوى والبيتِ أُنساً، تمهّل أيُّها القمرُ

لا تُخلِ أُفقَكَ يَخلُفكَ الظلامُ به والزم مكانَكَ لا يخلُلْ به الكدرُ

المبحث الرابع
في التمني

التمني: هو طَلَبُ الشيء المحبوب الذي لا يُرْجَى، ولا يُتوقَّع حصولُه.

١ - إمَّا لكونه مستحيلاً كقوله: [الوافر].

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبره بما فَعَلَ المشيبُ

٢ - وإما لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله، كقوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [القصص: ٧٩].

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممَّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه تَرَجِّياً.

ويُعبَّر فيه بعسى، ولعلَّ كقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١] و﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقد تُستعملُ في الترجّي لَيْت لغرض بلاغيٍّ.

---

(١) التدليس والتخليط وبستر الحقيقة وإظهارها بغير ما هي عليه.

(٢) اللجين: الفضة، والتبر: الذهب.

وللتَّمنِّى أربع أدوات واحدةٌ أصليةٌ وهى: لَيْتَ.

وثلاثٌ غيرُ أصليَّة نائبةٌ عنها، ويُتَمَنَّى بها لغرض بلاغى: وهى:

١ - هل: كقوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ (١) فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].

٢ - ولو: كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً (٢) فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

٣ - ولَعلَّ: كقوله: [الطويل].

أسربَ القطا هلْ مَنْ يُعيرُ جناحهُ؟ لعلّى(٣) إلى مَنْ قَد هَويتُ أطيرُ؟

ولأجل استعمال هذه الأدوات فى التَّمَنِّى يُنصبُ المضارع الواقع فى جوابها.

*****

تمرين

بين المعَانى المُستفادةَ من صيغ التمنى فيما يأتى:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

عَلَّ اللَّيالى التى أضْنت بفُرْقتنا جسمى سَتَجمعُنِى يوماً وتَجمعُهُ

[البسيط]

لو يأتينا فَيُحَدِّثُنا، لعلى أَحجُّ فأزورَكَ، «ياليتنى اتَّخَذتُ مع الرسـول سبيلا»، «هل إلى مردٍ من سبـيل»، «ياليت لنا مثل ما أوتى قارون»، «لعلـى أبلغُ الأسباب»، لو تتلو الآيات فتشقَّ سمعى.

كُلُّ مَنْ فـى الـكونِ يـشـكُو دَهـرَهُ ليتَ شـعـرى هذه الدنيـا لِمَن؟؟

[الرمل]

فليت الـلَّيلَ فـيـه كـان شـهـراً ومـرَّ نهـارُه مَرَّ السَّحـاب

[الوافر]

فلَيـتَ هَوى الأحِبَّة كـان عَدْلاً فـحـمَّلَ كـلَّ قَلبٍ مَا أطاقـا

[الوافر]

---

(١) عدم الشفاعة معلوم لهم. (٢) ندرة متمناه وعدم تحققه، ولو أصل وضعها: امتناع لامتناع.

(٣) الاستبعاد والاستحالة - استحالة أن يطير الإنسان فى الهواء بنفسه.

المبحث الخامس

فى النداء

النِّداء: هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب أُنادِى المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمان:

الهمزة، وأيّ [1]، ويَا[2]، وآيْ، وأيَا، وهيَا، ووا.

وهى فى كيفيَّة الاستعمال نوعان.

١ ـ الهمزة وأى: لنداء القريب.

٢ ـ وباقى الأدوات لنداء البعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ منزلة القريب، فينادَى بالهمزة وأيّ، إشارةً إلى أنه لشدَّة استحضاره فى ذهن المتكلِّم صار كالحاضر معه. لا يغيبُ عن القلب، وكأنه ماثِلٌ أمام العين. كقول الشاعر: [الطويل].

أَسُكانَ نَعْمانَ الأراكِ تيقَّنوا   بأنكم فى رَبع قلبى سُكّانُ

وقد نُزِّل القريب مَنْزلة البعيد، فينادَى بغير الهمزة. وأى.

١ ـ إشارةً إلى عُلوِّ مرتبته، فيُجعل بُعدُ المنزلة كأنه بُعْد فى المكان كقوله « أيا مولاى» وأنتَ معه للدلالةِ على أن المنادىَ عظيمُ القدر، رفيع الشأن.

ب ـ أو إشارة إلى انحطاط مَنْزلته ودرجته، كقولك: «أيا هذا» لَمن هو معك.

جـ ـ أو إشارة إلى أن السامع لغفلته وشُرود ذهنه كأنه غيرُ حاضر كقولك للساهى: أيا فلانُ، وكقول البارودى: [البسيط].

يا أيُّها السَّادرُ المزْوَرُّ من صَلَفٍ   مَهْلاَ، فإنك بالأيام مُنْخَدِعُ

وقد تخرج ألفاظ النَداء عن معناها الأصلى إلى معان أخرى، تُفهم من السِّياق بمعونة القرائن ومن أهمِّ ذلك:

١ ـ الإغراء، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلومُ.

---

(١) لنداء المعرف بال: أيُّها للمذكر، وأيتها للمؤنث.

(٢) لا ينادى بها المعرف: ب«آل» إلا لفظ الجلالة « اللّه». وقد يحذف النداء: يا : ويعوض عنها ب«هم» فى قولك: اللهم ارحمنا وقد يجمع بينهما: يا اللهم .

٢ ـ والإستغاثة، نحوَ يالله للمؤمنين.

٣ ـ والنُّدبة، نحو قول الشاعر: [الطويل].

فـواعجبـا كم يدَّعى الفـضلَ نَاقصٌ ... وواأسـفـا كم يُظهـرُ النَّقصَ فـاضلُ

٤ ـ والتّعجب ، كقول الشاعر: [الرجز].

يـــا لـــــكِ مـــــن قُبَّرَة بِمَعْمَرِ ... خـلاَ لكِ الجـوُّ فبِيضِى واصـفـرى

٥ ـ والزجر، كقول الشاعر: [الخفيف].

أفــؤادى متَى المـتـاب ألَمَّا ... تَصحُ والـشيـبُ فَوْقَ رأسـى ألَمَّا

٦ ـ والتحسرُ والتَّوجُّع، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وكقول الشاعر: [الطويل].

أيَا قبـرَ مَعْن كـيف واريْتَ جُودَهُ ... وقـد كـانَ منهُ البـرُّ والبحر مُتْرعَا

٧ ـ والتذكر، كقوله: [الطويل].

أيا منـزِلَىْ سَلمى سـلامٌ عليـكمـا ... هـل الأزمـنُ اللاّتـى مَضَيْنَ رواجـع

٨ ـ والتَّحير والتَّضجُّر، نحو قول الشاعر: [البسيط].

أَيَا مَنَازلَ سَلـمى أيـنَ سَلمـاكِ ... مـنْ أجل هـذا بـكيـناهَا بـكينـاكِ

ويكثر هذا فى نداء الأطلال والمطايا، ونحوها.

والاختصاص[1] : هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه، نحو قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ونحو: «نحن العلماء ورثة الأنبياء».

---

(١) أسلوب الاختصاص: ذكر اسم ظاهر منصوب يوضح ضميراً عاما مبهما قبلة يخصصه ويوضحه: نحن: مبتدأ ضمير متكلم عام مبهم ـ العلماء اسم ظاهر مختص أزال الإبهام فى الضمير «نحن» وخصصه: منصوب بفعل محذوف تقديره أخص. ورثة: خبر المبتدأ، والأنبياء: مضاف إليه.

أ - إمَّا للتَّفاخُر، نحو: أنا أُكرمُ الضيف أيها الرَّجُلُ.

ب - وإمَّا للتَّواضُع، نحو: أنا الفقيرُ المسكينُ أيُّها الرَّجلُ.

ونحو: اللهم[1] اغفر لنا أيَّتُها العصابة.

تمرين

بين المعانى الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النِّداء، والمعانى المجازية المستفادة من القرائن:

صاحِ شمر ولاَ تزلْ ذاكرَ الموت ... فنسيانُهُ ضلالٌ مُبين
[الخفيف]

يا لقَومى ويا لأمثال قَومى ... لأناس عُتُوُّهُمْ فى ازْدياد
[الخفيف]

يَا للرِّجال ذَوى الألباب منْ نَفَر ... لايَبْرَحُ السَّفه المرْدِى لهم دِينَا
[البسيط]

أيها القلبُ قد قَضيَت مَرَاماً ... فإلامَ الولوع بالشَّهَوَات
[الخفيف]

أيا شَجَرَ الخابورِ مَالك مُورقاً ... كأنكَ لم تجزَع على ابن طَريف
[الطويل]

يا أيها الظالمُ فى فعله ... الظلمُ مَرْدُودٌ على مَنْ ظلَم
[السريع]

أرْيحانة العينين والأنف والحشا ... ألا ليت شعرى هل تغيّرتِ من بعدى
[الطويل]

يَا ناق سِيرى عَنقاً فسيحاً ... إلى سُليمان فنستريحا
[الرجز]

حَجبوه عن الرِّياح لأنى ... قلتُ ياريحُ بلِّغيه السَّلاَمَا
[الخفيف]

(١) «هم» عوض عن أداة النداء «ياء» وقد يجمع بينهما: يا اللهم..

يا ليتنى كنْتُ صبياً مُرضعـــا	تحملنى الذّلفاء حولاً أكتعا [الرجز]
ياليلة لستُ أنسى طيبها أبداً	كأنَّ كلّ سرور حاضرٌ فيها [البسيط]
ياليلة كالمسك مَخْبرُها	وكذاك فى التشبيه منظرها [الكامل]
أحييتها والبدرُ يخدمنى	والشَّمس أنهاها وآمرهُا [الكامل]
يامن تذكِّرُنى شمائله	ريح الشَّمال تنفَّسَتْ سَحَرَا [الكامل]
وإذا امتطى قلمٌ أناملَه	سحر العقول به وما سحرا
ياقلب ويحك ما سمعت لناصحٍ	لما ارتميتَ ولا اتَّقيت ملاما [الكامل]
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى	فيك الخِصَام وأنت الخصم والحكم [البسيط]
يا رحمة الله حلِّى فى منازلنا	وجَاوِرِينا فَدَتْكِ النفس من جَار [البسيط]

***

تنبيهات

الأول: يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة أهمها:

١ـ التفاؤل: نحو هداك الله لصالح الأعمال.

كأنَّ الهداية حصلت بالفعل فأخبرَ عنها، ونحو: وفقك الله.

٢ـ لاحتراز عن صورة الأمر: تأدّباً واحتراماً، نحو رحم الله فلاناً ونحو: يَنظر مولايَ فى أمرى ويقضى حاجتى.

٣ـ **والتنبيه على تيسير المطلوب** لقوة الأسباب.

كقول الأمير لجنده: «تأخذونَ بنواصيهم وتنزلونهم من صيَاصيهم».

٤ـ **والمبالغة فى الطلب** للتّنبيه على سرعة الامتثَال.

نَحْوَ ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ** ﴾ [البقرة: ٨٤].

لم يقل لا تَسفكوا، قصداً للمبُالغة فى النهى، حتى كَأنهم نُهوا فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال.

٥ـ **إظهار الرَّغبة:** نحو قولك فى غائب: رَزَقَنى الله لِقاءَهُ.

الثانى: يُوضع الإنشاءُ موضع الخبر لأغراض كثيرة.

١ـ منها: إظهار العناية بالشىء: والاهتمام بشأنه كقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٢٩].

لم يقل: وإقامة وجوهكم، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاةِ لعظيم خَطَرِها، وجَليل قَدرها فى الدِّين.

ب ـ ومنها: التَّحاشى والاحتراز عن مُساواة اللاحق بالسابق.

كقوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ**﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] لم يقل وأُشهدكم تحَاشياً وفراراً مِنْ مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر فى كثيرٍ ممّا ذُكر فيه، ومما سيُذكر فى الأبواب التالية من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى.

الرابع: يستعملُ كلّ من الأمر والنهى والاستفهام فى أغراض أُخَرَ يُرْجع فى إدراكها إلى الذَّوق الأدبى، ولا يكون استعمالها فى غير ما وُضِعَت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزيَة يتقى بها الكلام فى درجات البلاغة، كما سبق القول.

تطبيق

بيِّن المعانى المستفادة من النِّداء، وسبب استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلى:

١ـ أيا مَنَازِلَ سَلْمى أَيْنَ سَلْمَاكِ ... مِنْ أجْلِ هَذا بكيناهَا بكيناك[1]
[البسيط]

٢ـ صادحَ[2] الشّرق قد سكتَّ طَوِيلا ... وعزيزٌ علينا ألاّ تقولا
[الخفيف]

٣ـ أيا قبر مَعْنٍ كيف واريتَ جُوده ... وقد كان منه البَرُّ والبحر مُترعا[3]
[الطويل]

٤ـ يا دُرَّةً نُزِعَتْ من تاج والدها ... فأصبحت حِلْيَةً فى تاجِ رِضوانِ
[البسيط]

٥ـ فيا لائمى دعنى أُغالى بقيمتى ... فقيمةُ كلّ النَّاسِ ما يحسنونه
[الطويل]

تطبيق آخر

وضح الاعتبار الدَّاعى لوضع كلّ من الخبر والإنشاء موضع الآخر:

رقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١	أيا	التضجر والتحير معاً	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه.
٢	يا الملحوظة	التضجر والتحير معاً	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة .
٣	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعة شأنه.
٤	أيا	التحسر	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويهاً بعظم الأمر ورفعة القدر.
٥	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

١ـ قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها، وبكينا المنازل، فواو العطف محذوفة.
(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغناء والمقصود هنا إنشاد الشعر وقوله: أى لم تقل شعراً منذ فترة طويلا.
(٣) مملوءً.

٢ـ وقال تعـالى: ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾ [آل عمـران: ٩٧] وقال الشـاعر:

[الطويل].

٣ـ أتانى أبيتَ اللَّعنَ أنك لُمْتَنى وتلك التى أهتمُّ منهـا وأنْصَبُ[(١)]

٤ـ إذاً فعَاقِبنى يا ربِّـــى مُعاقبة قرَّت بها عَينُ مَنْ يأتيكَ بالحسد

[البسيط]

تدريب

بيِّن فيما يلى الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس

١ـ كـــلُّ خـليلٍ كنت خـاللتُه لا تـــرك اللهُ لـــه واضحَـــه

[السريع]

٢ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاها﴾ [هود: ٤١]

٣ـ تقول لصديقك: رزقنى الله لقاءك، ويقول الشاعر: [الطويل]

٤ـ ولائمة لامتك يا فضلُ فى النَّدَى

فقلـتُ لها: هـل أثَّرَ اللَـومُ فى البحـر

أتَنْهَيْنَ فـضلاً عـن عـطـايـاه للورى

ومَن ذا الذى يَنْهَى الغَمَام عن القَطر

***

تمرين

عيِّن الجُمل الخبرية والإنشائية فيما يأتى: قال الله تعالى:

١ـ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢ـ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

(١) «أبيت اللعن» تحية الملوك، ومعناها: أبيت أن تفعل شيئا تلعن به، أهتم: أصيرذاهم، وأنصب: اتعب.

٣ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

قال رسول الله ﷺ:

٤ـ **«استَعينُوا عَلَى قَضاء حَوائِجكمْ بالكتْمان فَإنَّ كلَّ ذى نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»**.

٥ـ ومن وصية عبد المَلك بن مَرْوَانَ لأولاده:

«يَابَنِيَّ، كـفـوا أذَاكمْ، وابْذُلوا معـروفكمْ، واعفـوا إذا قَدَرْتم وَلا تَبْخَلوا إذَا سُئِلتُمْ، ولا تُلْحِفوا إذا سَأَلْتُمْ، فإن من ضَيَّقَ ضَيَّقَ الله عَلَيْهِ ومن أعْطى أخْلَفَ اللهُ له».

٦ـ وقال أبو العلاء المعرى: [البسيط].

لا تَحْلفَنَّ على صِدْق ولا كَذب ... فما يُفيدكَ إلا المَأْثَمَ الحَلِفُ

٧ـ وقال: [الكامل]

لا تَفْرَحَنَّ بما بلغتَ من العلا ... وإذا سَبَقْتَ فعن قليل تُسْبَق

ولْيَحذر الدَّعْوَى اللبيبُ فإنها ... للفضل مَهْلَكَةٌ وخَطْبٌ مُوبِقُ

٨ـ وقال أبو العتاهية: [الوافر]:

بكيتُ على الشباب بدَمْع عَيْنى ... فلم يُغن البكاء ولا النَّحِيبُ

ألا ليتَ الشبابَ يَعودُ يَوْماً ... فأخْبرهُ بما فَعلَ المَشيب

٩ـ وقال: [السريع]

ياصاحبَ الدنيا المحبَّ لها ... أنت الذى لا يَنْقَضى تَعَبُهْ

١٠ـ وقال: [السريع]

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها ... إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نَالها

من لم يُؤَاس الناسَ من فَضْلها ... عَرَّضَ للإدبار إقْبالَها

١١- وقال الشاعر: [المتقارب]

أراك تُؤَمِّلُ حُسْنَ الثناء ... ولم يرزقِ اللهُ ذاكَ البخيلا

وكيف يسودُ أخو فطنةٍ ... يَمُنُّ كثيراً ويُعْطى قليلا

١٢- وقال سعيد بن حُمَيْد: [الكامل]

وأراك تكْلَفُ بالعتاب وَوُدُّنا ... صَافٍ عليه من الوفاء دليل

ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة ... فعلام يكثر عتْبُنَا ويَطولُ؟

*****

أسئلة يطلب أجوبتها

١- عرِّف التَّمنى، واذكر ألفاظه.

٢- بيّن الفرق بين التَّمنِّى والتَّرجى، واذكر ألفاظ ثانيهما .

٣- بيّن النّداء، واذكر أدواته، وقَسِّمها من حيث الاستعمال.

٤- مَتَى يُنَزَّل القريب منزلة البعيد، وبالعكس؟

٥- بيّن المعانى المجازية التى تستفاد من ألفاظ النداء.

٦- بيّن الأغراض الداعية لإيثار الخبر فى مقام الإنشاء.

٧- لِمَ يُوضع الإنشاء موضع الخبر؟؟

*****

تطبيق عام على الباب الثانى

أنا الذائد الحامى الذمار وإنَّما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

[الطويل]

الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائى، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة، المسند إليه أنا، والمسند الذائد، والجملة الثانية: خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بإنما، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضاً. المسند يدافع، والمسند إليه أنا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ، المسند إليه رب، والمسند ظلاَّم.

أنت خرجت عن حدك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ، المسند إليه أنت، والمسند جملة خرجت.

﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾[الشعراء: ١١٧] جملة رب: إنشائية ندائية، والمراد بها الدعاء. المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة، وجملة: إن قومى كذبون، خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد إظهار التحسر، المسند إليه قومى، والمسند جملة كذبون.

زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، والمراد بها إظهار الفرح، المسند إليه: الغيث والمسند: زار، وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار.

ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر، المسند ذهب، والمسند إليه الحزن، وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار.

قابلت الأمير: جملة خبرية فعلية الضرب الابتدائى، والمراد بها إظهار السرور، المسند قابل، والمسند إليه التاء.

أنا ممتثل لأمرك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها إظهار التواضع، المسند إليه أنا، والمسند ممتثل، وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس، المسند إليه لفظ الجلالة، والمسند جملة لا يظلم.

وأتى: بالمسند جملة لتقوية الحكم، بتكرار الإسناد، والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

ماجاءنا من أحد: جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث، والمراد بها فائدة الخبر المسند جاء، والمسند إليه أحد، وأتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، والمراد بها لازم الفائدة، المسند إليه أنت، والمسند جملة نجحت.

حضر الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، والمراد بها أصل الفائدة، المسند: حضر المسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر: خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الذم. المسند سيرحم، والمسند إليه المقصر، وهى تفيد الاستمرار التجددى بقرينة الذم.

مابرح المقصر نادماً: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى، والمراد بها الذم، المسند إليه المقصر، والمسند نادما، وهى مفيدة للاستمرار بقرينة ما برح.

كلما جئتنى أكرمتك: جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائى. وهى الجملة، وما قبلها قيد لها؛ لأن الشرطية لاتعتبر إلا بجوابها، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهى مفيدة للاستمرار التجددى: بقرينة كلما.

ما مجتهد صاحباك: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل، ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم، المسند مجتهد، والمسند إليه صاحباك، وقس عليها.

نحو ما مبغوض أنت، وما حسن فعل أعدائك، وأقائم أخواك؟، وهل منصف أصحابك؟.

كلما ذاكر المجتهد استفاد: جملة استفاد: فعلية خبرية من الضرب الابتدائى المسند استفاد، والمسند إليه هو، وهى مفيدة للاستمرار التجددى بقرينة كلما.

الشمس طالعة: تقولها للعاثر، جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى.

المسند إليه الشمس، والمسند طالعة، والمراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى، المسند إليه الكريم والمسند محبوب، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.

من يسافر؟ جملة إنشائية استفهامية، المسند إليه من، والمسند جملة يسافر
التفتوا، جملة إنشائية أمرية، المسند التفت، والمسند إليه الواو.

لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهيية، المسند تترك، والمسند إليه الواو.

ليت البخيل يجود: جملة إنشائية تمنية اسمية المسند إليه البخيل، والمسند جملة يجود.

هل فهمتم؟ جملة إنشائية استفهامية، المسند فهم، والمسند إليه التاء.

ياتلاميذ: جملة إنشائية ندائية، والمسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو نابت عنهما يا.

﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الهمزة الداخلة على لفظ أغير ليست للاستفهام الحقيقى، بل هى للإنكار الذى لم يقع على أنه يبغى رباً، ولكنه رفع على أن يكون المبغى رباً غير الله.

*****

الباب الثالث

فى أحوال المسند إليه

المسند إليه: هو المبتدأ الذى له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماؤه، وأحواله هى النواسخ: الذكر، والحذف، والتَّعريف، والتَّنكير، والتَّقديم، والتّأخير وغيرها، وفى هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول

فى ذكر المُسْنَد إليه

كلّ لفظ يدلّ على مَعنى فى الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المراد به؛ فلهذا يُذكر المسندُ إليه وجوباً، حيث إنَّ ذكرهُ هو الأصل، ولا مُقْتَضِيَ للحذف، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه.

وإلاّ كان الكلام مُعمَّى مبُهماً، لا يستبينُ المرادُ منه.

وقد يَتَرَجَّحُ الذكر[1] مع وجود قَرينة تمكِّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع؛ فمن مُرجّحات الذّكر.

١ـ زيادةُ التقرير والإيضاح للسَّامع: كقوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [2] [البقرة: ٥]، وكقول الشاعر: [الطويل]

هو الشمس فى العَلْيَا هو الدَّهر فى السَّطا ... هو البدرُ فى النَّادى هو البحر فى النَّدى

٢ـ قلة الثقة بالقرينة: لضعفها أو ضعف فهم السَّامع.

نحو سعدٌ نِعْمَ الزَّعيمُ: تقول ذلك إذا سبقَ لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام فى شأن غيره.

٣ـ الرَّد على المُخاطَب: نحو: الله واحدٌ، رداً على من قال: الله ثَالثُ ثَلاَثة.

٤ ـ التَّلذُّذ: نحو: الله ربى، الله حسبى.

٥ـ التعريضُ بغباوة السَّامع: نحو سعيدٌ قال كذا، فى جواب: ماذا قال سعيد؟

(١) إذا لم يكن فى الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلابد من الذكر جريا. على الأصل، إذا دعت الظروف والمناسبات إلى ذلك.

(٢) الشاهد «أولئك هم المفلحون» كرر الإشارة تنبيها على أنهم كما لهم الأثرة والميزة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح.

التَّسْجيل على السَّامع[1]، حتَّى لا يَتأتَّى له الإنكار ـ كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيد هذا بأنَّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد: نَعمْ[2] زيد هذا أقَرَّ بأن عليه كذا.

٧ـ التَّعَجُّب: إذا كان الحكم غَرِيباً، نحو: عليٌّ يُقَاوم الأسدَ فى جواب من قال: هل عليٌّ يُقاوم الأسدَ؟

٨ـ التعظيم: نحو حضر سيفُ الدّولة. فى جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩ـ الإهانة: نحو السَّارق قادم. فى جواب من قال: هل حضر السَّارق؟

*****

(١) كتابة الحكم عليه بين يدى الحاكم.
(٢) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للإنكار عند التسجيل.

المبحث الثانى
فى حذف المسند إليه

خلاف الأصل ويكون لمجرَّد الاختصار والاحتِرَازِ عن العبث بناء على وجود قرينة تدُلّ على المحذوف ، وهو قسمان:

أ ـ قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب: كقولهم: أهلاً وسهلاً فإنَّ نصبهَما يَدُلّ على ناصب محذوف يُقدَّر: جئتَ أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً، وليس هذا القسم من البلاغة فى شىء.

ب ـ وقسم لا يَظهر فيه المحذوفُ عند الإعراب: وإنما تَعلَمُ مكانه إذا أنتَ تصفَّحْتَ المعنى ووجدتَه لا يتمّ إلا بمُراعاته، نحو يُعطى ويمنع، أى يُعطى من يَشَاء، ويَمْنَعُ من يَشاء. ولكن لا سبيلَ إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرْته زالت البهجة، وضاع ذلك الرَّونَق[1].

ومَن دواعى الحذف: إذا دلتْ عليه قرينة، وتعلق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

١ـ ظهوره بدَلالة القرائن عليه: نحوه: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾ [الذاريات: ٢٩] أى أنا عجوز.

٢ـ إخفاء الأمر عن غير المُخَاطب: نحو أقبلَ، تُريد عليًا مثلاً.

٣ـ تَيَسُّر الإنكار إن مَسَّت إليه الحاجة: نحو لئيم خسيس، بعد ذكرِ شخص لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردتُه ولا قصدتُه.

٤ـ الحَذر من فوات فرصة سانحة: كقول مُنَبِّه الصَّياد: «غَزَالٌ»، أى هذا غزال.

٥ـ اختبار تَنبُّه السامع له عند القرينة، أو مقدارَ تَنبُّهه: نحو نُورهُ مُسْتفادٌ من نور الشمس، أو هو واسطة عِقد الكواكب، أى القمر فى كلّ من المثالين.

٦ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام بِسبب تَضجّر وتَوَجع: كقوله [الخفيف].

---

(١) فى هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها ورائع أساليبها. يقول الجرجانى : فى باب الحذف إنه دقيق المسلك لطيف المأخذ شبيه بالسحر . ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والأصل فى جميع المحذوفات أن يكون فى الكلام ما يدل عليها وإلا كان ألغازا . ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما فى الكلم من البهة والطلاوة والحسن.

قالَ لى كَيْفَ أنتَ قلْتُ عَليلٌ　　　سَهَرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طَويلِ [١]

٧- المحافظة على السَّجع نحو:

من طابَتْ سريرتُهُ، حُمِدَتْ سيرتُهُ [٢].

٨- المحافظة على قافية كقوله: [الطويل]

وما المالُ والأهْلُونَ إلا ودَائعٌ　　　ولابُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائع[٣]

٩- المُحافظة على وزن كقوله: [الطويل].

على أنَّنى راضٍ بأنْ أحملَ الهوَى　　　وأخلصَ منه لا علىَّ ولاَ لِيَا[٤]

١٠- كون المسند إليه مُعيّناً معلوماً حقيقة نحو: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ [الأنعام: ٧٣، التوبة ٩٤]، أى الله، أو معلوماً ادّعاءً نحو وهَّابُ الألوف أى فلان.

١١- اتباع الاستعمال الوارد على تركه[٥]: نحو: رمية من غير رام، أى هذه رمية. ونحو: نِعْم الزعيم سعدٌ: أى هو سعدٌ.

١٢- إشعار أن فى تركه تَطهيراً له عن لسانك، أو تطهيراً للسانك عنه، مثال الأول: (مُقَرِّرٌ للشرائع مَوْضعٌ للدلائل) ترى صاحب الشريعة ومثال الثانى: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ** ﴾ [البقرة: ١٨، ١٧١].

١٣- تكثير الفائدة: نحو ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣]، أى: فأمرى صَبرٌ جميل.

١٤- تَعيُّنه بالعهديّة: نحو: ﴿ **وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ** ﴾ [هو: ٤٤]، أى السّفينة ونحو: ﴿ **تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾ [ص: ٣٢] أى الشمس.

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبى: فهو الذى يوحى إليك بما فى القول من البلاغة وحسن بيان.

*****

---

(١) لم يقل: أنا عليل: للضجر.　　　(٢) لم يقل: حمد الناس سيرته محافظة على السجع.

(٣) فلو قال: أن يرد الناس الودائع لاختلفت القافية: فتصير مرفعة فى الأول منصوبة فى الثانى.

(٤) أى لا على شيء، ولا لى شئ.

(٥) وكذا نظائره مثل الرفع على المدح: نحو مررت بزيد الهمام، وعلى الذم: رأيت إبليس اللعين، وعلى الترم: ترفق بالكريم الفقير.

تدريب

بيِّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه فى الأمثلة الآتية:

﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

الرَّئيس كلمنى فى أمرك، والرئيس أمرنى بمُقابلتك(١)، الأمير نشر المعارف، وأمَّن المخاوف(٢)، مُحتالٌ مُراوغ(٣)، مُنضِجةٌ للزرع. مُصْلِحَةٌ للهواء(٤).

فعباسٌ يصُدُّ الخطب عنا وعباسٌ يجيرُ مَن استجارا [الوافر]

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢] مقرر للشرائع مُوضِّحٌ للدلائل، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]

وإنى من القـــوم الذين همُ همُ إذ مات منهم سيدٌ قام صاحبـــه [الطويل]

أنا صـــدْرُ الكلمِ البوادى بين المحاضـــر والنوَادى [مجزوء الكامل]

أنا فارسٌ أنا شاعـــرٌ فى كلِّ ملحمـــة ونادى

إن حلَّ فى رُومٍ ففيها قيْصَـــرٌ أو حـــلَّ فى عُرْبٍ ففيها تُبَّعُ [الكامل]

تُسَائلنى ما الحـــبُّ؟ قلتُ: عواطفٌ منوّعـــةُ الأجْنَاسِ مَوْطِنُها القلبُ [الطويل]

تطبيق

وضح دَواعى الحذف فى التراكيب الآتية:

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مـــدحتُهم أُحـــكَّمُ فى أموالهم وأُقرَّبُ(٥) [الطويل]

---

(١) تخاطب غبيا.
(٢) جوابا لمن سأل ما فعل الأمير؟
(٣) بعد ذكر إنسان.
(٤) تعنى الشمس.
(٥) البيت للنابغة الذبيانى يمدح الغساسنة.

أمَا والـذى أبـكـى وأضْحَكَ والـذى 		أمـــات وأحْيَا والذى أمـــرُه أمــــرُ
[الطويل]

١ـ لَسِنٌ إذَا صَعَدَ المنـابر أو نضـــــا 		فَلَمـــــاً شـــأى الخُطَبــــاء والكـتَّابا
[الكامل]

٢ـ عَليلُ الجـسم مُمـتَنِعُ القيـــام 		شـــديدُ السُّكْرِ مــن غـــيــــر المُدَامِ

٣ـ أحـجـاجُ لا يفـلل سـلاحُكَ إنما 		المنـايا بـكفّ الله حـــــيـثُ تراهـا

٤ـ حَريصٌ على الدنيـا مُضـيعٌ لدينه 		وليـس لما فى بَيــــتـــه بمُضـــيع
[الطويل]

٥ـ وإنى رأيـتُ البُخْل يُزْرِى بـأهلـه 		فـأكــرمْتُ نفـسى أن يقـــال بَخـيل
[الطويل]

٦ـ لو شِئتَ لم تُفسـد سماحـة حاتمٍ 		كَرَمـــاً ولم تـهــدم مــآثر خـــالد
[الكامل]

٧ـ بَرِّدْ حَشَاىَ[1] إن استطَعتَ بِلَفظَةٍ 		فَلقــــــد تضــــــرُّ إذا تَشَاءُ وتَنْفَعُ
[الكامل]

٨ـ نجـومُ سـمـاءٍ كلّمـا غـازَ كَوكَب 		بَدَا كَوْكبٌ تـأوى إليــــه الكـواكب
[الطويل]

الرق	المحذوف	السـبـب
١	المسند إليه	ادعاء العلم به فى مقام المدح
٢	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
٣	المسند إليه	العلم به
٤	المسند إليه	ادعاء العلم به فى مقام الذم
٥	المسند إليه	العلم به
٦	المفعول	البيان بعد الإبهام
٧	المفعول	عدم تعلق الغرض به بتنزيل المتعدى منزلة اللازم
٨	المسند إليه	ادعاء تعينه فى مقام المدح

(١) ما حوته البطن. والمراد هنا: ما انطوت عليه الضلوع ـ القلب.

وقد عَلِمَ القبائل من معدّ ... إذا قببٌ بأبطحها بنينا
{الوافر}

بأنّا المطعمونَ إذا قدرنا ... وأنّا المُهلِكونَ إذا ابتُلينا

وأنّا المانعونَ لما أردنَا ... وأنّا النّازِلون بحيثُ شِينا

وأنّا التاركون إذَا سخطنا ... وأنّا الآخذُون إذَا رضينا

«أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، خلاق لما يشاء، الحمد لله الحميدُ، لا تخاطب السَّفيه اللئيمُ، وأحسن إلى الفقير المسكين.

حَيُّوا العُروبةَ فى عُلْيَا مراتبها ... وخيرِ فرسانها شيباً وشُبَّانَا
{البسيط}

*****

المبحث الثالث

فى تعريف المسند إليه

حقُّ المسند إليه: أن يكون معرفة؛ لأنَّه المحكوم عليه الذى ينبغى أن يكون معلوماً. ليكون الحكم مُفيداً.

وتعريفه[١] إمّا: بالإضمار، وإمّا بالعلَميَّة، وإما بالإشارة، وإما بالموصولية، وإما بأل، وإما بالإضافة، وإما بالنداء.

---

(١) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين وإلا امتنع الفهم، إلا أن الفرق بينهما أن النكرة يفهم منها ذات المعين فقط، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع - وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير حاجة إلى قرينة خارجية كما فى العلم، وإما بقرينة تكلم خطاب أو غيبة كما فى الضمائر وأما بقرينة الإشارة وأما بالنسبة المعهودة كما فى الموصول، وإما بحرف :آل - والنداء وأما بالإضافة.
وأعرف المعارف الإضمار ولذا قدم فى الذكر.. وأصل الخطاب : أن يكون لمعين وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطبا معينا كقول المتنبى: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردَا
أخرج الكلام هنا فى صورة الخطاب ليفيد العموم.

المبحث الرابع

فى تعريف المسند إليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:

١ـ لكون الحديث فى مقام «التَّكلم» كقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا النبىّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب**».

٢ـ أو لكون الحديث فى مقام «الخطاب» كقول الشاعر: [الطويل].

وأنتَ الذى أخلَفْتَنى ما وعدتَنى وأشْمَتَّ بِى مَن كان فيك يَلومُ

٣ـ أو لكون الحديث فى مقام «الغيبة» لكون المسند إليه مذكوراً ـ أو فى حكم المذكور لقرينة نحو: هو الله تبارك وتعالى.

ولابُدَّ من تقدُّم ذكره:

أ ـ إمَّا لفظاً: كقوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ [يونس: ١٠٩].

ب ـ وإمَّا معنًى: نحو: ﴿**وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ**﴾ [النور: ٢٨] أى الرجوع

ونحو: ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨]، أى العدل.

جـ ـ أو دلتْ عليه قرينة حال كقوله تعالى: ﴿ **فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**﴾ [النساء: ١١] أى الميت.

تنبيهات

الأوَّل: الأصل فى الخطاب أن يكون لِمُشَاهد مُعَين.

نحو: أنت استرقَقْتنى بإحسانك.

وقد يُخاطب:

أ- غيرُ المشَاهد إذا كان مُستحضراً فى القلب نحو: ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ونحو: [البسيط].

جودى بقرْبك أبْلُغْ كلَّ أُمنيتى أَنتِ الحياة وأنت الكون أجمعُهُ

ب - وغير المُعين: إذا قُصدَ تَعميمُ الخطاب لكلِّ من يُمكن خطابه على سبيل البدل، لا التَّناوُل دَفعة واحدة كقول المُتنبِّى: [الطويل].

إذَا أنتَ أكْرَمتَ الكريمَ مَلكْتَهُ وإنْ أنتَ أكْرَمْتَ اللئيم تَمرَّدَا

الثانى: الأصلُ فى وضع الضَّمير عدمُ ذكره إلا بعد تَقدُّم ما يفَسِّرُهُ وقد يُعدلُ عن هذا الأصل: فيقدمُ الضَّمير على مرجعه لأغراضٍ كثيرة.

أ- منها تمكين ما بعد الضَّمير فى نفس السَّامع لتشوقهِ إليه كقوله: [الطويل].

وهى النفس ما حَمَلتهَا تَتَحَمَّل

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ ﴾ [الحج: ٤٦]، ونعم رجلاً علىٌّ، فالفاعل ضمير يفسِّره التَّمييز، ويطَّرد ذلك فى بابى نِعمَ وبئس، وفى باب ضمير الشأن نحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

ب - ومنها ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور فى الذهن، نحو: أقبل وعليه الهيبة والوقار: ونحو قول الشاعر: [الكامل]

أَبَتِ الوِصالَ مخافة الرُّقباء وأتَتْكَ تَحتَ مَدَارع الظُّلَماء

ويُسمى هذا العدولُ بالإضمار فى مقام الإظهار.

الثالث: يُوضع الظاهر سواء أكان علماً، أم صفة، أم اسم إشارة موضع الضمير، لأغراض كثيرة:

١- منها إلقاء المهَابة فى نفس السامع، كقول الخليفة: أميرُ المؤمنين يأمر بكذا.

٢- وتمكين المعنى فى نفس المخاطب، نحو: الله ربى ولا أُشْرِك بربى أحَداً.

٣ـ ومنها التلذذ كقول الشاعر: [الطويل].

سَقَى الله نجداً والسَّلام على نجد ... وَياحَبذَا نجدٌ على القُرْب وَالبعد

٤ـ ومنها الاستعطاف، نحو: اللَّهم عبدك يَسألك المغفرة.

أى: أنا أسألك، ويسمى هذا العدول بالإظهار فى مقام الإضمار.

*****

المبحث الخامس

فى تعريف المسند إليه بالعلمية

يُؤتى بالمسند إليه علماً: لإحضار معناه فى ذهن السَّامع، ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمَّا عداه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تُناسب المقام:

١ـ كالمدح فى الألقاب التى تُشعِر بذلك، نحو: جاء نصر، وحضر صلاح الدين.

٢ـ والذَّم والإهانة، نحو: جاء صَخر، وذهب تأبَّط شراً.

٣ـ والتَّفاؤل نحو: جاء سُرور.

٤ـ والتشاؤم، نحو: حربٌ فى البلد.

٥ـ والتبرُّك، نحو: الله أكرمنى، فى جواب: هل أكرمك الله؟

٦ـ والتلذُّذ، كقول الشاعر: [البسيط].

بالله ياظَبَيات القَاعِ قُلْنَ لنا لَيلاىَ منكُنَ أم لَيلَى من البشَرِ

٧ـ والكناية عن معنى يَصْلح العلمُ لذلك المعنى: بحسب معناه الأصلى قبل العلميَّة، نحو: أبو لهب فعل كذا... كناية عن كونه جُهَنَّمياً.

لأن اللهَب الحقيقى هو لَهبُ جهنم، فيصح أن يُلاحظ فيه ذلك.

*****

المبحث السادس

فى تعريف المسند إليه بالإشارة

يُؤْتى بالمسند إليـه اسم إشارة: إذا تعيَّن طريقـاً لإحضار المشـار إليه فى ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً مـحسوساً، ولا يَعرفُ المـتكلمُ والسَّامعُ اسمَه الخاص، ولا مُعَيَّناً آخر، كقـولك: أتبيع لى هذا؟، مُشيراً إلى شىء لا تعـرف له اسماً ولا وصفاً.

أمَّا إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى.

أـ بيان حاله فى القُرْب، نحو: هذه بضاعتنا.

ب ـ بيان حاله فى التَّوسط، نحو: ذاك ولدى.

جـ ـ بيان حاله فى البُعد، نحو: ذلك يوم عيد.

١ـ تعظيم درجـته بالقُرْب، نحـوه: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩].

أو تعظيم درجـته بالـبُعد، كـقوله تعـالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيـــــه**﴾ [البقرة: ٢].

٢ـ أو التَّحْقير بالقُرْب، نحو: ﴿ **هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُم**﴾ [الأنبياء: ٣].

أو التَّحقير بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿ **فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم**﴾ [الماعون: ٢].

٣ـ وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر: [البسيط].

كَـمْ عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مَذاهـــبُهُ ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوقا

هــــذا الذى تركَ الأوهامَ حائرةً ... وصيَّر العالـمَ النِّحرير زنديقا

٤ـ وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق: [البسيط].

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأتَه   والبيتُ يعرفهُ والحِـلُّ والحرَمُ

ونحو قوله: هذا أبو الصَّقر فَرداً فى مَحَاسِنه.

٥ـ والتَّعريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، نحو: [الطويل].

أولئك آبائى فجئْنى بمثلهم   إذَا جَمَعَتْنَا يا جَريرُ المجامعُ [١]

٦ـ والتَّنبيه على أن المشار إليه الْمُعَقَّبَ بأوصاف، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [لقمان: ٥][٢] .

وكثيراً ما يُشَار إلى القريب غير الْمُشَاهَد بإشارة البعيد، تنزيلاً للبُعد عن العيان، منزلة البعد عن المكان، نحو ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٢].

*****

(١) البيت للفرزدق ويفخر بأصل آبائه على جرير والبيت من قصائد النقائض.

(٢) فالمشار إليه بـ« أولئك هم المتقون» وقد ذكر عقبه أوصافًا هي: الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة و ما بعدهما، ثم أتى بالمسند إليه (أولئك) تنبيهًا على أن المشار إليهم جديرون من أجل تلك الخصال بأن يفوزوا بالهداية عاجلا والفوز بالفلاح آجلا.

المبحث السابع

فى تعريف المسند إليه بالموصوليَّة

يُؤْتى بالمسند إليه اسمَ موصول: تعيّنَ طريقاً لإحضار معناه.

كقولك: الذى كان معناً أمس سافر، إذا لم تكن تَعرف اسمه.

أمَّا إذا لم يَتَعَيَّن طريقاً لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى.

١- منها التّشـويق: وذلك فيما إذا كـان مضمـون الصِّلة حُكماً غريباً كـقوله: [الخفيف]

والذى حارَت البريَّة فيه   حَيَوَانٌ مُستحدَثٌ من جَماد

٢- ومنها إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب كقول الشاعر: [الكامل]

وأخذتُ ما جاد الأميرُ به   وقضيتُ حاجاتى كما أهوَى.

٣- ومنها التنبيـه على خطأ المخاطَب، نحو: ﴿ **إنَّ الَّذيـنَ تَدْعُونَ من دُون اللَّه عبَادٌ أَمْثَالُكُم**﴾[الأعراف: ١٩٤]، وكقول الشاعر: [الكامل].

إنَّ الذين تُرَوْنَهـــم إخوانكـــم   يَشفى غَليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا

٤- ومنها التنبيه على خطأ غير المُخاطب كقوله: [الكامل].

إنَّ التى زَعمتْ فؤادك ملهـــا   خلقتْ هواك كما خلقتَ هَوًى لَها

٥- ومنها تعظيم شأن المحكوم به كقول الشاعر: [الكامل].

إن الذى سمك السَّماءَ بَنــى لنا   بيتاً دَعائمهُ أعـــزُّ وأطـــوَلُ[١]

٦- ومنها التهـويل: تعظيماً أو تحقـيراً نحو: ﴿ **فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ﴾ [طه: ٧٨] [٢].

---

(١) البيت للفرزدق من قـصائض بينه وبين جرير. «إن من سمك السمـاء ـ الله ـ بنى لنا بيت عز وشرق هو أقوى وأعز من دعائم كل بيت.

(٢) غطاهم من البحر موج هائل تقصر العبارة عن وصف أهواله وعظيم انتشاره واحاطته بهم.

ونحو: مَنْ لَمْ يَدْر حقيقة الحال قال ما قال.

٧ـ ومنها استهجان التصريح بالاسم نحو: الذى ربَانى أبى[١] .

٨ـ ومنها الإشارة إلى الوجـه الذى يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقـاب كقوله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الحج: ٥٠].

٩ـ ومنها التَّوبيخ نحو: الذى أحسن إليك قد أسأتَ إليه.

١٠ـ ومنها الاستغراق نحو: الذين يأتونك أكْرِمْهم.

١١ـ ومنها الإبهام نحو: لكلّ نفس مَا قدَّمتْ.

واعلم أنَّ التعريفَ بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك، غريب النزعة يُوقِفكَ على دقائـقَ مِن البلاغـة تؤنسُكَ إذا أنتَ نظرتَ إليهـا بثاقبِ فكرك، وتُثلـجُ صدرك إذا تأمَّلتهـا بصادق رأيك، فـأسرارُ ولطائف التـعريف بالموصـولية لا يمكن ضـبطها، واعتبر فى كل مقام ما تراه مناسباً.

*****

(١) أى بأن كان اسمه دالا على خسة وقبح وضعة.

المبحث الثامن

فى تعريف المسند إليه بأل

يُؤْتى بالمسند إليه مُعَرَّفاً بألْ العَهْدِيَّة أو أل الجنسية لأغراضٍ آتية:

*****

أل العهدية

أل العهدية: تدخل على المُسند إليه للإشارة إلى فرد مَعهُود خَارجاً بين المتخاطبين وعهده يكون.

أ- إمَّا بتقدُّم ذكره «صريحا» كقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]: ويسمَّى عهداً صريحيًّا.

ب - وإما بتقدُّم ذكره (تلويحاً) كقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾

[آل عمران: ٣٦].

فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى مافى الآية قبله: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[١].

فإنهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنى بـ «ما» ويسمى كنائياً.

جـ - وإما بحضُوره بذاته نحو: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] أو بمعرفة السامع له نحو: هل انعقد المجلس، ويسمّى عهداً حضورياً.

*****

أل الجنسية

أل الجنسية: وتسمَّى لامَ الحقيقة تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١- للإشارة إلى الحقيقة: من حيث هى بقطع النظر عن عمومها وخصوصها،

---

(١) التحرير هو العتق ونذره لخدمة بيت المقدس ولا يكون إلا ذكرا حيث كان الطلب بطريق الكناية لقصر الخدمة على الذكور و(أل) فى «الأنثى» عائدة إلى مذكور صريحا فى قولها (رب إنى وضعتها أنثى).

نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق.

وتُسمَّى (لام الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد نحو: الذهب أثمن من الفضَّة.

٢ـ أو للإشارة إلى الحقيقة فى ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ [يوسف: ١٣].

ومدخولها فى المعنى كالنكرة فيُعامل مُعاملتها.

وتُسمَّى (**لامَ العهد الذِّهنى**).

٣ـ أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة.

أ ـ بمعونة قرينة حالية نحو: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ [الأنعام: ٧٣، التو : ٩٤].

أى كل غائب وشاهد.

ب ـ أو بمعونة قرينة لفظية نحو: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ [العصر: ٢].

أى كل إنسان بدليل الاستثناء بعده.

ويُسمَّى (**استغراقاً حقيقياً**).

٤ـ أوْ للإشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً نحو: جمع الأميرُ التُّجار وألقى عليهم نصائحه، أى جمع الأمير (تجَّار مملكته) لاتجَّار العالَم أجمعَ.

ويُسمَّى (**استغراقاً عرفياً**).

*****

تنبيهات

التنبيه الأول: علم مما تقدم أن أل التعريفية قسمان:

القسم الأول: لام العهد الخارجى، وتحته أنواع ثلاثة: صريحى، وكنائى، وحضورى.

والقسم الثانى: لام الجنس: وتحته أنواع أربعة: لام الحقيقة من حيث هى، ولام الحقيقة فى ضمن فرد مبهم، ولام الاستغراق الحقيقى، ولام الاستغراق العرفى[1].

التنبيه الثانى: استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى، والجمع، واسم الجمع.

لأن المفرد: يتناول كل واحد واحد من الأفراد. والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين.

والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة بدليل صحة: لا رجل فى الدار، إذا كان فيها رجل أو رجلان، بخلاف قولك: لا رجل، فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها، وإنما تصح فى النكرة المنفية، دون الجمع المعرف باللام؛ لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ [النساء: ٣٤] بل هو فى المفرد أقوى، كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير فى كل ما وقع فى القرآن العزيز نحو: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: ٣١] إلى غير ذلك مما لا يُعدُّ ولا يحصى من آى الذكر الحكيم كما فى المطولات.

التنبيه الثالث: قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرف وعكسه حقيقة نحو: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾[البروج: ١٤]. ونحو: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة: ١٩٧]، أو ادعاء «للتنبيه» على كمال ذلك الجنس فى المسند إليه نحو: محمد العالم، أى الكامل فى العلم، أوكمال فى المسند، نحو: الكرم التقوى، أى: لاكرم إلا هى.

---

(١) مجموع أقسام «أل» من حيث هى سبعة.

المبحث التاسع

فى تعريف المسند إليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمسند إليه مُعرَّفاً بالإضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة.

١- منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع نحو: جاء غلامى فإنه أخصر من قولك: جاء الغلام الذى لى.

٢- ومنها تعذُّر التَّعَدُّد: أو تعسُّره نحو: أجمع أهل الحقِّ على كذا، وأهلُ مصرَ كرامٌ.

٣- ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقديم البعض على البعض نحو: حضر أمراء الجند.

٤- ومنها التَّعظيم للمضاف نحو: كتاب السُّلطان حضر.

أو التعظيم للمضاف إليه نحو: الأمير تلميذى أو غيرهما، نحو: أخو الوزير عندى.

٥- ومنها التَّحقير للمضاف نحو: ولدُ اللص قادم، أو التحقير للمضاف إليه نحو: رفيقُ زيد لص أو غيرهما نحو: أخو اللص عند عمرو.

٦- ومنها الاختصار لضيق المقام: لفرط الضجر والسآمة كقول جعفر بن عُلبة، وهو فى السجن بمكة: [الطويل].

هوايَ مع الرّكب اليمانيين مُصعدٌ جَنيبٌ وجُثمانى بمكّة مُوثَق[١]

واعلم أنَّ هيئة التركيب الإضافى: موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال المضاف للمضاف إليه فإذا استعملت فى غير ذلك كانت مجازاً كما فى الإضافة لأدنى ملابسة نحو: مكرُ الليل وكقوله: [الطويل].

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ «سُهَيلٌ» أذاعت غزلَهَا فى القَرَائِب[٢].

---

(١) من أحبه وأهواه ذاهب مع الركب القاصد إلى اليمن منضم إليهم مقود معهم، وجسمى مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم. فلفظ (هواى) أو يقصر المسافة فهى كلمة واحدة (أوجز) من (أهواه).

(٢) أضاق الكوكب إلى الخرقاء - المرأة الحمقاء. لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقف طلوع سهيل سحراً فى الشتاء، فكانت تضيع وقتها فى الصيف فإذا طلع سهيل فى السحر أحست ببرد الشتاء واحتاجت إلى كسوة ففرقت غزلها فى أقاربها ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل.

المبحث العاشر

فى تعريف المسند إليه بالنداء[1]

يُؤْتى بالمسند إليه مُعرفاً بالنداء: لأغراض كثيرة.

١ـ منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاص: نحو يا رجُل.

٢ـ ومنها الإشارة إلى علة ما يُطلب منه نحو: ياتلميذ اكتب الدَّرس.

المبحث الحادى عشر

فى تنكير المسند إليه

يُؤْتى بالمسند إليه نكرة: لعدم علِم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يُعيّنه من علم أو صلة أو نحوهم، وقد يكون لأغراض أخرى.

١ـ كالتكثير[2] نحو: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِك﴾ [فاطر: ٤] أى رسلٌ كثيرون.

٢ـ والتقليل نحو: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ونحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

٣ـ والتعظيم والتحقير كقول ابن أبى السمط: [الطويل].

لهُ حاجبٌ عنْ كل أمْر يشينهُ ... وليس لَهُ عنْ طالب العرْف حاجب

أى له مانع عظيم، وكثير عن كل عيب وليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان، فيحتمل التّعظيم والتكثير والتّقليل والتّحقير.

٤ـ وإخفاء الأمر نحو: قال رجل: إنك انحرفت عن الصَّواب تخفى اسمه، حتى لا يلحقه أذى.

٥ـ وقصد الإفراد نحو: ويلٌ أهْونُ من ويْلين.

«أى ويل واحد أهون من ويلين».

٦ـ وقصد النوعية نحو: لكلّ داء دواءٌ.

«أى لكل نوع من الدَّاء نوع من الدَّواء».

---

(١) أغلب البيانيين لم يثبت التعريف بالنداء فى تعريف المسند إليه، وتحقيق ذلك يطلب من المطولات.

(٢) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير: التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة، وأن التكثير باعتبار المقادير والكميات ويلاحظ ذلك الفرق فى التحقير والتقليل أيضاً.

المبحث الثانى عشر

فى تقديم المسند إليه[1]

مرتبة المسند إليه: التقديمُ؛ وذلك لأنَّ مدلولَه هو الذى يخطر أولاً فى الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً.

فاستحقَّ التقديم وضعاً، ولتقديمه دواع شتى.

١ـ منها تعجيل المسَرَّة نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

٢ـ ومنها تعجيل المساءَة نحو: القصَاصُ حكم به القاضى.

٣ـ ومنها التشْويق إلى المتأخر إذا كان المتقدَّمُ مشعراً بغرابة كقول أبى العلاء المعرى: [الخفيف].

والذى حارت البريّة فيه ... حَيوانٌ مُسْتَحْدثٌ من جماد

٤ـ ومنها التلذذ نحو: ليلى وصلت، وسلمى هجرت.

٥ـ ومنها التبرك: نحو: اسم الله اهتديت به.

٦ـ ومنها النص على عموم السلب أو النص على سلب العموم.

فعموم السلب: يكون بتقديم أداة العموم ككُل، وجميع على أداة النفى نحو: كل ظالم لا يفلح، المعنى: لا يفلح أحد من الظلمة.

ونحو: كل ذلك لم يكن: أى لم يقع هذا ولا ذاك.

ونحو: كل تلميذ لم يقصر فى واجبه، ويسمى شمول النفى.

واعلم: أن عموم السلب يكون النفى فيه لكل فرد.

وتوضيح ذلك: أنك إذا بدأت بلفظة كلّ، كنت قد سلطت الكلية على النفى، وأعملتها فيه وذلك يقضى ألا يشذ عنه شىء.

---

(١) معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى حسب ترتيبها الطبيعى حسب قواعد النحو الأصل، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمها وإن كان حقها التأخير فيكون من الحسن تغيير هذا الأصل. ولا يخلو التقديم من أحوال أربع . الأول: ما يفيد زيادة فى المعنى مع تحسين فى اللفظ وهذا الغاية فى فنون البلاغة: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» تقدم الجار فأفاد التخصيص . الثانى : ما يفيد زيادة فى المعنى مثل«بل اللّه فاعبد وكن من الشاكرين» قدم المغعول الله لتخصصة بالعبادة الثالث : ما يتساوى فيه التقديم والتأخير. وليس له نوع من الملامة . الرابع : ما يختل به المعنى ويضطرب وهذا هر التعقيد اللفظى. كتقديم الصلة على الموصول والصفة على الموصوف.

وسلب العموم: يكون بتقديم أداة النفى على أداة العموم.

نحو: لم يكن كلّ ذلك، لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفى كل فرد لأن النفى يوجه إلى الشمول خاصة، دون أصل الفعل.

ويُسمى (نفى الشمول):

واعلم: أن سلب العموم يكون النفى فيه للمجموع غالباً كقول المتنبى: [البسيط]

ما كلُّ رأى الفتى يدعُو إلى رَشد

وقد جاء لعموم النفى قليلاً: قوله تعالى: **﴿ إنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [لقمان : ١٨] ودليل ذلك: الذوق والاستعمال.

٧- ومنها إفادة التخصيص قطعا إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفى، والمسند فعلاً نحو: ما أنا قلت هذا ولا غيرى، أى: لم أقله، وهو مقول لغيرى.

ولذا لا يصحّ أن يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيرى؛ لأن مفهوم: ما أنا قلت، أنّه مقول للغير، ومنطوق: ولا غيرى كونه غير مقول للغير فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً.

وإذا لم يسبق المسند إليه نفىٌ كان تقديمه محتملاً لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند فعلاً [1] نحو: أنتَ لا تَبخل.

ونحو: هو يهبُ الألوف، فإنَّ فيه الإسناد مرتين. إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب: فى المثال الأول. وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب: فى المثال الثانى.

٨- ومنها كون المُتقدِّم محطّ الإنكار والغرابة كقوله: [الطويل].

أَبْعَدَ المشيب المُنْقضى فى الذَّوائب ... تُحَاوِل وصل الغانيات الكَوَاعِبِ.

٩- ومنها سُلوك سبيل الرُّقى نحو: هذا الكلام صحيح، فَصيح، بليغ، فإذا قلت: فصيح بليغ. لا يحتاج إلى ذكر صحيح. وإذا قلت بليغ لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

---

(١) فإن اعترض: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا وهل إذا كان المسند وصفا مشتملاً على ضمير، نحو: «أنت بخيل» لم يكن كالفعل فى إفادة التقوية؟

الرد: لما كان ضمير الوصف لا يتغير مع المتكلم والخطاب والغيبة فهو شبيه بالجوامد وكانت تقويته قريبة من الفعل لامثلها تماما.

١٠- ومنها مُراعاة الترتيب الوُجودى: نحو ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تمريـــن

مانوع المقدم؟، وما فائدة التّقديم فى الأمثلة الآتية؟:

١- قال الله تعالى: ﴿**لِلَّهِ الأَمْرُ من قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾ [الروم: ٤].

٢- وقال تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً**﴾ [نوح: ٢٥].

٣- وقال أبو فراس: [الطويل].

إلـــى الله أشـــكـــو أنَّنا بِمـــنَازِلٍ تَحكّمُ فـــــــــى آسَادِهِنَّ كِلاب

٤- وقال ابن نباتة يخاطب الحسن بن المهلبى: [الطويل].

وَلِى هِمَّةٌ لاَ تَطْلُبُ المَالَ للْغِـــنـــى ولَـكِنّهـــــــا مِنْك المَوَدَة تَطْلُبْ

٥- وقال أبو نواس: [المنسرح].

إنى انْتَجَـــعـــتُ العَبَّاسَ مُمْتَدِحـــاً وَسِيــــلـــتـــى جُودُهُ وأَشْعَارِى

عَنْ خِبْرَةٍ جِئْتُ لا مُخَاطَرة وبِالـدَّلالاتِ يَهْتَدى الســــــارى

٦- وقال الأبيوردى: [الطويل].

وَمِنْ نَكَدِ الأيـام أن يـبـلـــغ المـنـى أخُو اللؤْم فـــيـــهـا والـكريم يَخِيبُ

٧- وقال أبو الطيب المتنبى يهجو كافوراً: [البسيط].

مِنْ أيّةِ الطّرْقِ يـأتى مـــثلك الـكرَمُ أين المَحَاجمُ يا كـــافـــورُ والجلمُ (١)

٨- وقال المعرى: [الطويل]:

أعندى وقـد مـارسـتُ كلَّ خـفـيـة يصـــدق واش أو يُخَيَّبُ ســـائلُ

---

(١) المحاجم: جمع مفردها آلة الحجم: شئ كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيجا ويجذب الدم. الجلم: جمع مفردها جلمة: اللحم.

٩ـ وقال أيضاً" [الطويل]:

إلى الله أشكو أننى كل ليلة ... إذا نمتُ لم أعدمْ خواطرَ أوهامِ
فإن كانَ شراً فهو لا شك واقعٌ ... وإن كان خيراً فهو أضغَاثُ أحلامِ

١٠ ـ وقال أيضاً: [الوافر]:

وكالنارِ الحياة فمن رماد ... أواخرها وأولها دخان

١١ـ وقال بعض الشعراء فى الحث على المعروف: [الوافر]:

يد المعروف غُنْمٌ حيث كانت ... تحملها شكورٌ أو كفُور
ففى شكر الشكور لهَا جزاء ... وعند الله مَا جحدَ الكفور

١٢ ـ وقال لآخر: [المتقارب]:

أنلهو وأيامنا تذهبُ ... ونلعب والدهرُ لا يلعبُ

١٣ـ وقال محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم وكنيته أبو إسحاق: [البسيط]

ثلاثة تشرق الدنيَا ببهجتها ... شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

١٤ـ وقال آخر [السريع].

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمنُ والصحةُ والقوتُ
فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه درٌّ وياقوتُ

١٥ـ وقال آخر يهجو بخيلاً: [الوافر]

أأنت تجود إن الجود طبعٌ ... وما لك منه يا هذا نصيب

١٦ـ وقال آخر يستنكر أن يشرب الخمر حين دعى لشربها: [البسيط]

أبعد ستين قد ناهزتها حججًا ... أحكم الرَّاح فى عقلى وجسمانى(١)

(١) ناهزها: قاربها . حججا : برهان . الراح: الخمر: يستنكر النشاط لشرب الخمر والارتياح إليها وسنه قد قاربت الستين وهى برهان على رجاحة عقله وإتزان حركته فكيف به مع ما وصل إليه أن ينشط لشرب الخمر التى تفقده سلامة تفكيره ورجاحة عقله واتزان حركته وثبات جسمه.

١٧ - وقال الآخر : [الخفيف]

غـــافـلٌ أنت والليـــــالى حُبـــــالى بصـنوفِ الـردى تروح وتـغـــــــــدو

١٨ - وقال ابن المعتز : [الطويل]

ومِنْ عَجَبِ الأيام بغـىُ مـعــاشــــرٍ غـضاب على سـبقى إذا أنا جـاريتُ
يغـيظهم فـضلـى عليـهم ونقـصُهُمْ كـــأنى قَسَّمْتُ الحظوظَ فــحـــابَيتُ

*****

المبحث الثالث عشر

فى تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه: إن اقتضى المقامُ تقديم المسند كما سيجىء ولا نلتمس دواعى التقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

أمير المومنين يأمرك بكذا: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخير بيان سبب داعى الامتثال. المسند إليه أمير المومنين. ذكر للتعظيم. وقدم لذلك. والمسند جملةيأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال، والذكر والتقديم ،والتأخير مقتضيات، والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

أنت الذى أعاننى. وأنت الذى سرنى، ذكر أنت ثانيًا لزيادة التقرير والإيضاح، فزيادة التقرير والإيضاح حال، والتقرير مقتضى والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

سعيد يقتحم الأخطار: بعد مدحه ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحال.

حضر الكريم سعد بعد: أحضر سعد؟: ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه.

فالتعظيم حال، والذكر مقتضى والإِتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحال.

علىٌّ كتب الدّرس: «جواب ما الذى عمل عَلىّ»، ذكر على للتعريض بغباوة السامع.

وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان. والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين.

محمود نعم التلميذ: بعد مدح كثير له، ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] حذف المسند وهو خلقنا للعلم به.

﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به.

معطى الوسامات والرتب: حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء كالسلطان مثلاً.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦] حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة.

«صاحبك يدعو إلى وليمة العرس»: حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.

«لا يعطى ولا يمنع إلا الله تعالى»: حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما.

«أهين الأمر»: حذف الفاعل للخوف عليه.

«لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده»: قدم نصف الثانى للمحافظة الوزن.

«ما كل ما يتمنى المرء يدركه»: قدمت أداة النفى على أداة العموم لإفادة عموم السلب ونفى الشمول.

«جميع العقلاء لا يسعون فى الشر»: قدمت أداة العموم على أداة النفى لإفادة عموم السلب وشمول النفى.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]: قدم الجار والمجرور للتخصيص.

ونحن التاركون لما سخطنا   ونحن الآخذون لما رضينا

[الوافر]

الجملة الأولى خبرية اسمية، من الضرب الابتدائى، والمراد بالخبر إظهار الفخر

والشجاعة. المسند إليه نحن، ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم للتعظيم، وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار. والمسند **التاركون**. ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتَّ بى من كان فيك يلوم

[الطويل]

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى. والمراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه: أنت ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار والمسند لفظة: الذى، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك وعرف بالموصولية للتعليل.

يعنى أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم. وأما جملة أشمتَّ فمعطوفة على جملة أخلفت ووصلت بها لما تقدم. وعرف المسند إليه وهو الفاعل فى يلوم بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

«أبو لهب فعل كذا»: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك. المسند إليه: أبو لهب. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية عن كونه جهنميًا.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ وما هى أحواله؟ متى يجب ذكره؟ وما هى الوجوه التى ترجح ذكره عند وجود القرينة؟، متى يحذف؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة؟. لم يعرف المسند إليه بالعلمية؟ لم يعرّف بالإشارة؟ لم يعرّف بالموصولية؟ لم يعرّف بالنداء؟ لأى شىء ينكر المسند إليه؟ لم يقدّم المسند إليه؟ ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم، لم يؤخر المسند إليه؟؟.

*****

الباب الرابع

فى المسند وأحواله[1]

المُسْنَد: هو: الخبر، والفعل التام؛ واسم الفعل، والمبتدأ، الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر وأخبار النواسخ، والمصدر النَّائب عن الفعل.

وأحواله: هى الذكر، والحذف، والتَّعريف، والتَّنكير، والتَّقديم، والتأخير، وغيرها وفى هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

فى ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المسند للأغراض التى سبقت فى ذكر المسند إليه، وذلك:

١ـ ككون ذكره هو الأصل، ولا مُقتضَى للعُدول عنه، نحو: العلم خيرٌ من المال.

٢ـ وكضَعف التَّعويل على دلالة القرينة، نحو: حالى مستقيم ورزقى ميسور، إذ لو حُذف ميسور لا يدلُّ عليه المذكور.

٣ ـ وكضعف تَنبُّه السَّامع، نحو ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [إبراهيم: ٢٤].

إذ لو حُذف ثابت لايتنبه السامع لضعف فهمه.

٤ـ وكالرَّد على المخاطب، نحو: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [يس: ٧٩] جواباً لقوله تعالى: ﴿**مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [يس: ٧٨]؟؟

٥ ـ وكإفادة أنه: فِعْلٌ فيفيد التَّجَدّد والحدوث، ومُقَيَّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

أو كإفادة أنه اسم فيفيد الثبوت مطلقاً، نحو: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١) ذكر المسند بعد المسند إليه لأنه محكوم به والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه ففعل ذلك وضعا.

فإنَّ «يخادعون» تُفيد التَّجَدُّد مرَّة بعد أخرى، مُقَيَّداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدلّ عليه كذكر الآن أو الغد.

وقوله: «وهو خادعهم» تُفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان، ويُحذف المسند لأغراض كثيرة.

١ـ منها إذا دلت عليه قرينة، وتعلَّق بتركه غرض مِمَّا مرَّ فى حذف المسند إليه.

والقرينة: أـ إمَّا مذكورة، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] أى: خَلَقَهُنَّ الله.

ب ـ وإمَّا مُقَدَّرة، كقوله تعالى: ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ**﴾ [النور: ٣٦] أى: يُسَبحهُ رِجالٌ، كأنَّه قيل: من يُسَبِّحُه؟

٢ـ ومنها الاحتراز عن العَبث، نحو: ﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[التوبة: ٣] أى: ورسوله برىء منهم أيضاً.

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٣ـ ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عنـ ـدك راضٍ والرَّأىُ مُخْتَلِف

أى: نحن بما عندنا راضُون، فحذف لضيق المقام.

٤ـ ومنها اتباع ومجاراة ما جاء فى استعمالاتهم الواردة عن العرب نحو: ﴿**لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾ [سبأ: ٣١].

أى: لولا أنتم موجودون.

وقولهم فى المثل: «رمية من غير رام» أى: هذه رمية.

تمرين

عين أسباب الحذف ونوع المحذوف فى الأمثلة الآتية:

١- نحو: ﴿**ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٣٢].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: «عَلاَمَةُ المؤمن ثَلاَثٌ: إذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وإذَا وَعَدَ وفى، وإذا اؤتمنَ لم يخنْ».

٣- وقال: «**يقول ابن آدم: مَالى مَالى، وإنَّما لك من مالك ما أكلتَ فأفْنَيْتَ، أو ليستَ فأبليتَ، أو تصدَّقت فأبقيت**».

٤- وقال: «إن أحبّكم إلىَّ وأقربَكم منى مجَالس يَوْم القيَامة، أحَاسِنكم أخلاقاً، الموطئونَ أكْنَافاً، الذين يَألَفونَ ويُؤْلفونَ».

٥- وقال أبو العتاهية: [الطويل]:

جزَى الله عَنى صالحاً بوفائه ... وأضعفَ أضعافاً له فى جزائه

صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً ... رَجعتُ بمَا أبغى، ووجْهى بمائه

٦- وقال أبو نواس: [الطويل]:

إذا لم تزُرْ أرض الخصيب ركابنا ... فأىَّ فتى بعد الخصيب تزُورُ

فتى يشترى حسنَ الثنَاء بماله ... ويَعْلَمُ أنَّ الدَّائرات تدُورُ

فإنْ تولنى منك الجميلَ فأهلهُ ... وإلا فإنى عاذرٌ وشكورُ

٧- وقال البحترى يمدحَ الفَتح بن خاقان: [الطويل]

رزينٌ إذا القوْمُ خفَّتْ حُلومُهم ... وقورٌ إذا ما حادثُ الدهر أجلَبَا

فتى لم يُضيَّع وجه حزم ولم يَبتْ ... يلاحظُ أعجَاز الأُمور تَعقُّبا

٨ - وقال الشاعر: [المجتث]

من قــاس جـــدْوَاك يومـــاً ... بـالسُّحْب أخْطـأ مـــدحـكْ

الــسُّحْبُ تُعـطــى وتَبْكــى ... وأنــت تُعْطـى وتـضــحـكْ

٩ـ وقال المتنبى: [الوافر]

ولما صـــار ودُّ النـاس خــبّاً ... جــزَيْتُ على ابتــسـام بابتَسـام

وصـرت أشُكُّ فـيـمن أصطفـيـه ... لـعــلْمـى أنـه بـعـضُ الأنَام

١٠ـ وقال: [البسيط]

لولا المشـقَّةُ ســادَ الناسَ كـلّهمُ ... الْجُودُ يفْقِرُ والإقـــدامُ قـــتّالُ

١١ـ وقال أبو فراس: [مجزوء الكامل]

لا تــطْلــبنَّ دنــوَّ دَار ... من خـليـل أو مـعــاشـرْ

أبـقَى لأســبـــاب الْمَودَّ ... ةِ أن تـزورَ ولا تعــاشــرْ

تدريب

عين أسباب الذكر فى الأمثلة الآتية:

١ـ قال الله تعالى: **﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾** [البقرة: ٧٩].

٢ـ وقال مروانُ بنُ أبى حفصةَ يمدح معنَ بن زائدة: [الطويل]

بَنو مَطَر يَوْمَ الـلقـــاء كــأنـهم ... أُسُودٌ لهـا فى بطن خـفـان أشْبُلُ

هم يَمْنعــونَ الجــارَ حــتى كـأنما ... لِجَارِهِمُ بَيْنَ الـسِّمــاكَين منـزلُ

٣ـ وقال السموألُ بن عادياء: [الطويل]

إذا المرءُ لم يدنس مـن اللؤْم عـرضـه ... فَكلُّ رداءٍ يـرْتديـه جـمــيل

وإن هو لم يحملْ على النفس ضميها ... فَلَيْسَ إلى حـسنِ الـثناء سـبـيل

٤ـ وقال أبو العتاهية : [الطويل]

إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى ظمئْتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

٥ـ وقال الشاعر : [الكامل]

الجِدّ يُدْنِى كلَّ أمرٍ شَاسعٍ والجِدّ يفتحُ كلَّ باب مغلق

*****

تمرين

١ـ قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : ١٠].

٢ـ وقال : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى : ٦ـ٨].

٣ـ وقال : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل : ٥].

٤ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠].

*****

المبحث الثانى
فى تعريف المسند أو تنكيره

* تعريف المسند:

١- لإفادة السامع حُكمـاً على أمر معلوم عنده بأمر آخـر مثله: بإحدى طُرق التعريف، نحو: هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف.

٢- ولإفادة قصره على المسند إليه حقيـقة نحو: سعد الزعيم إذا لـم يكن زعيم سواه أو إدعاءً مبالغة لكمال مـعناه فى المسند إليه، نحو: سعدٌ الوطنىٌّ أى الكامل الوطنيـة، فيخـرج الكلام فى صورة تُوهـم أن الوطنية لم توجـد إلا فيـه، لعدم الاعتداد بوطنية غيره.

وذلك: إذا كان المسند معرفاً بلام الجنس[1].

ينكر المسند: لعدم الموجب لتعريفه، وذلك:

١- لقصد إرادة العهد أو الحصر نحو: أنت أمير وهو وزير.

٢- ولاتباع المسند إليه فى التنكير نحو: تلميذ واقفٌ بالباب:

٣- ولافادة التفخيم نحو: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٤- ولقصد التحقير نحو: ما خالد رجلاً يذكر.

*****

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانا القصر . كقول الخنساء

إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بكاءك الحسن الجميل

فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلهـا، ولكنها تريد أن تثبته له، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى. وعليه فهو ليس من القصر فى شىء .

المبحث الثالث

فى تقديم المسند، أو تأخيره

يقدم المسند: إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو: قام على، أو مما له الصدارة فى الكلام، نحو: أين الطريق؟

أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

١ـ منها التخصيص بالمسند إليه نحـــو: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠].

٢ـ ومنها التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله: [الطويل]

له هممٌ لا منتهى لكبارهـــا | وهمته الصغرى أجلّ من الدهـــر

له راحةٌ لو أن معشار جودها | على البر كان البر أندى من البحر

فلو قيل: (همم له) لتوهم ابتداء كون «له» صفة لما قبله.

٣ ـ ومنها التشويق للمتأخر، إذا كان فى المتقدِّم ما يشوق لذكره.

كتقديم المسند فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وكقوله: [الكامل].

خير الصنائع فى الأنام صنيعةٌ | تنبو بحاملها عن الإذلال.

٤ ـ ومنها التفاؤل: كما تقول للمريض: فى عافية أنت.

وكقوله: [الكامل]

سَعِدتْ بغُرَّة وجـهك الأيامُ | وَتَزَيَّنَتْ بلقائك الأعوامُ

٥ـ ومنها: إفادة قصر المسند إليه على المسند، نحو: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، أى دينكم مقصورٌ عليكم، ودينى مقصورٌ علىّ.

٦ـ ومنها: المساءة نكاية بالمخاطب: كقول المتنبى: [الطويل]

وَمِنْ نَكِدِ الدنيا على الحُرّ أن يرى | عـــدُوًّا له ما من صداقته بُدُّ

٧ـ ومنها: تعجيل المسرة للمخاطب، أو التعجب، أو التعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم، أو الدعاء.

نحو: لله دَرُّك وَعظيمُ أنتَ يا أللهُ، ونِعْمَ الزعيمُ سعدٌ، وهلم جرا.

وبئس الرجلُ خليلُ، وفقير أبوك، ومباركٌ وصولك بالسلامة.

ويؤخر المسندُ لأنَّ تأخيره هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهم، نحو: الوطن عزيز.

وينقسم المسند من حيث الإفراد وعدمه إلى قسمين ـ مفرد ـ وجملة، فالمسند المفرد قسمان: فعل ـ نحو: قدم سعد ـ واسم: نحو: سعدٌ قادمٌ. والمسند الجملة ثلاثة أنواع.

١ـ أن يكون سببياً نحو: خليل أبوه منتصر، أو أبوه انتصر، أو انتصر أبوه.

٢ـ وأن يقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه، نحو: أنا سعيت فى حاجتك أى الساعى فيها أنا لا غيرى.

٣ـ وأن يقصد تأكيد الحكم نحو: سعد حضر.

وذلك: لما فى الجملة: من تكرار الإسناد مرتين.

ويؤتى بالمسند: ظرفاً للاختصار، نحو: خليل عندك.

وجاراً ومجروراً، نحو: محمود فى المدرسة.

*****

تمرين

بين أسباب التقديم والتأخير فيما يأتى:

١ـ ماكلّ ما فوق البسيطة كافياً   فإذا قنعت فبعض شىء كافى
[الكامل]

٢ـ وما أنا وحدى قلت ذا الشِّعر كلَّه   ولكن شعرى فيه من نفسه شعر
[الطويل]

٣ـ إذا شئْتَ يوماً أَنْ تسودَ عشيرةً   فبالحِلْمِ سُدْ لا بالتَّسرُّع والشَّتم
[الطويل]

٤ـ ثلاثةُ تَشْرُق الدنيا بِبهْجَتِهَا   شمسُ الضَّحى وأبو إسحاق والقمرُ
[البسيط]

٥- أفى الحق أن يعطى ثلاثون شـاعراً ويحـرم مادون الرّضـا شـاعرٌ مـثلى

[البسيط]

٦- فكيف وكلٌ ليس يـعدو حِمـامـه وما لامرىء عمـا قضى الله مزحل[1]

[الطويل]

٧- وقال الله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦].

٨- بك اقـتـدت الأيام فى حـسناتهـا وشـيـمـتـهـا لولاك هـمٌّ وتكريبُ

[الطويل]

تطبيق عام على أحوال المسند

«لما صدأت مرآة الجنان، قـصدت لجلائها بعض الجنان»، الجـملة الشرطية لا تعتبر إلا بجـوابها وهو قصدت. وهى خبرية فعلـية من الضرب الابتدائى، والمراد بها أصل الفائدة المسند «قصد». ذكر: لأن ذكره الأصل. وقدم لإفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار. والمسند إليه «التاء» ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، وعرف بالإضمار لكون المقام للمتكلم مع الاختصار.

«كأنه الكوثر الفياض»: جملة خبريـة إسمية من الضرب الابتدائى، والمراد بها المدح، فهى تفـيد الاستـمرار بقرينة المـدح ، المسند إليه «الهاء»، ذكـر وقدم لأن الأصل فيـه ذلك، وعرف بالإضمـار لكون المقام للغيـبة مع الاختـصار، والمسند «الكوثر» ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهنى.

«كتاب فى صحائفه حكم»: التنكير فى هذه الجملة للتعظيم.

«ما هذا الرجل إنساناً»: نكر المسند إنساناً للتحقير.

«له همم لا منتهى لكبارها»: المسند له قدم لإفـادة أنه خبر من أول الأمر لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة المسند إليه لأنه نكرة.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] : قدم المسند «كـفواً» على المسند إليه «أحد» للمحافظة على الفاصلة، عـلى رأى بعضهم والمنصوص عليه فى كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفى المثل.

---

(١) مَزْحَل: مصدر ميمى : يقال إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ - أى متندحُ.

«زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة»: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح، المسند إليه «زهرة العلم» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه، والمسند «أنضر». ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، ونكر لتعظيمه.

غلامى سافر، أخى ذهبت جاريته، أنا أحب المطالعة، الحق ظهر، الغضب آخره ندم: أتى بالمسند فى هذه الأمثلة جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ماهو المسند؟ ماهى أحواله؟ لأى شىء يذكر المسند؟ لأى شىء يحذف؟ لم يقدّم؟ لم يؤخر؟ لم يعرّف؟ لم ينكّر؟ لم يؤتى به جملة؟

*****

الباب الخامس

فى الإطلاق[1] والتقييد

إذا اقتصر فى الجملة على ذكر جزأيها المسند إليه والمسند فالحكم مطلق وذلك: حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما. فالحكم مقيد وذلك: حيث يراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل، ولو حذف القيد لكان الكلام كذباً أو غير مقصود نحو. قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٦].

فلو حذف الحال وهو «لاعبين» لكان الكلام كذباً. بدليل المشاهدة والواقع.

ونحو: قوله تعالى﴿ **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ** ﴾ [النور ٣٥] إذ لو خذف (يكاد) لفات الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة.

واعلم: أن معرفة خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعى لُبك، إلى أن (التقييد) بأحد الأنواع الآتية: يكون لزيادة الفائدة، وتقويتها عند السامع.

لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

والتقييد يكون: بالتوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط، والنفى، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، وفى هذا الباب جملة مباحث.

*****

(١) الإطلاق والتقييد: وصفان للحكم فالإطلاق أن يقتصر فى الجملة على ذكر ·(المسند والمسند إليه) حيث لاغرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: الوطن عزيز. والتقييد: أن يزاد على المسند والمسند إليه شئ يتعلق بهما. مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة أر كان الحكم كاذبا نحو: الولد النجيب يسر أهله.

المبحث الأول

فى التقييد بالنعت

أما النعت: فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدل عليها.

أ ـ منهـا تخصـيص المنعوت بصـفة تميِّزه إن كـان نكرة، نحو: جـاءنى رجل تاجر.

ب ـ ومنها: توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض.

١ـ الكشف عن حقـيقتـه، نحو: الجسم الطويل، العـريض، يشغل حَيِّزاً من الفراغ.

٢ـ أو التأكيد: نحو: تلك عشرة كاملة، وأمس الدَّابرُ كان يوماً عظيماً.

٣ـ أو المدح: نحو: حضر سعد المنصور.

٤ـ أو الذم: نحو: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾ [المسند: ٤].

٥ـ أو الترحم: نحو: قَدِم زيد المسكينُ.

*****

المبحث الثانى

فى التقييد بالتوكيد

أما التوكيد: فيؤتى به للأغراض التى يدل عليها، فيكون:

١ـ لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع.

ونحو : جاء الأميرُ الأميرُ.

٢ـ وللتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر نحو: جاءنى الأمير نفسه.

٣ـ وللتقرير مع دفع توهم الشـمول نحو: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون**﴾ [الحجر: ٣٠].

٤ـ ولإرادة انتقاش معناه فى ذهن السامع نحو: ﴿ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ [البقرة: ٣٥].

المبحث الثالث

فى التقييد بعطف البيان

أما **عطف البيان:** فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدل عليها، فيكون:

أـ لمجرد التوضيح[1] للمتبوع باسم مختص به نحو أقسم بالله أبو حفص عمر.

ب ـ وللمدح: كقوله تعالى: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ**﴾ [المائدة: ٩٧] فالبيت الحرام، عطف بيان: للمدح.

*****

المبحث الرابع

فى التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق: فيؤتى به للأغراض الآتية:

١ـ لتفصيل المسند إليه باختصار، ونحو: جاء سعد وسعيد، فإنه أخصر من: جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يعلم منه تفصيل المسند لأن؛ الواو لمطلق الجمع.

٢ـ ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً، نحو: جاء نصر فمنصور أو ثم منصور، أو جاء الأمير حتى الجند، لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة فى تفصيل المسند، إلا أن الأول يفيد الترتيب مع التعقيب، والثانى يفيد الترتيب مع التراخى، والثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله، ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: مات الناس حتى الأنبياء.

٣ـ ولرد السامع إلى الصواب مع الاختصار، نحو جاء نصر، لا منصور؛ أو: لكن منصور.

٤ـ ولصرف الحكم إلى آخر، نحو: ما جاء منصور، بل نصر.

٥ـ وللشك من المتكلم أو التشكيك للسامع، أو للإبهام.

---

(١) يكفى فى التوضيح: أن يوضح الثانى الأول عند الاجتماع وإن لم يكن منه عند الانفراد، ونحو: على زين العابدين ونحو: عسجد ذهب .

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

٦ـ وللإباحة: أو التخيير.

مثال الأول: تعلم نحواً أو صرفاً. أو نحو: تعلم إما صرفاً وإما نحواً.

مثال الثانى: تزوج هندًا أو أختها، أو نحو: تزوج إما هندًا وإما أختها .

*****

المبحث الخامس

فى التقييد بالبدل

أما البدل: فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدل عليها.

ويكون لزيادة التقرير والإيضاح، لأن البدل مقصود بالحكم بعد إبهام. نحو: حضر ابنى على، فى بدل الكل. ونحو: سافر الجند أغلبه، فى بدل البعض. ونحو: نفعنى الأستاذ علمه، فى بدل الاشتمال ونحو: وجهك بدر شمس ، فى بدل الغلط. وذلك : لإفادة المبالغة التى يقتضيها الحال .

*****

المبحث السادس

فى التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضمير الفصل لأغراض كثيرة.

١ـ منها التخصيص، نحو: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

٢ـ ومنها تأكيد التخصيص إذا كان فى التركيب مخصص آخر.

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

٣ـ ومنها تمييز الخبر عن الصفة، نحو: العالم هو العامل بعلمه.

*****

المبحث السابع
فى التقييد بالنواسخ

التقييد بها: يكون للأغراض التى تؤديهـا معانى ألفاظ النواسخ كالاستمرار أو لحكاية الحال الماضية: فى: كان[1] .

وكالتوقيت بزمن معين: فى: ظل، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى.

وكالتوقيت: بحالة معينة: فى مادام.

وكالمقاربة: فى: كاد، و كرب، وأوشك.

وكالتأكيد: فى : إنَّ وأنَّ، وكالتشبيه: فى كأنَّ.

وكالاستدراك: فى: لكنَّ، وكالرجاء: فى لعلَّ.

وكالتمنى: فى ليت، وكاليقين: فى: وجد، وألفى، ودرى، وعلم.

وكـالظـن: فى: خـال، وزعم، وحـسب، وكـالتحـول: فى: اتخـذ، وجعل، وصبر.

المبحث الثامن
فى التقييد بالشرط

التقيـيد به: يكون للأغراض التى تؤديها معـانى أدوات الشَّرط. كالزمان فى متى، وأيان، والمكان، فى: أين، وأنى، وحيثـما، والحال فى: كيفما، واسـتيفاء ذلك. وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يذكر فى علم النحو.

وإنما يفـرق هنا بين «إنْ، وإذا ، ولو»، لاخـتصـاصـها بمزايا تُعَدُّ من وجـوه البلاغة.

*** الفرق بين «إنْ» وإذا، ولو»**

الأصل عدم جَزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط فى المستقبل مع إنْ.

---

(١) تنعقد الجـملة من الاسم والخبر أو من المفعولين اللذين أصلهمـا مبتدأ وخبر، ويكون النـاسخ قيداً، فإذا قلت: رأيت الله أكبر . فمعناه : الله أكبر كل شئ على وجه العلم واليقين .

ومن ثَمَّ كثُرَ أن تُسْتعمل، «إنْ»، فى الأحوال التى يندُر وقوعها.

ويجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك فى وقوعه.

بخلاف، إذا، فتُستعمل بحسب أصلها فى كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه فى المستقبل، ومن أجل هذا لا تُستعمل، «إذَا»، إلا فى الأحوال الكثيرة الوقوع ويتلوها الماضى لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً.

كقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَه**﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ فلكون مجىء الحسنة منه تعالى مُحقَّقاً، ذكر هو والماضى مع «إذَا». وإنما كان ما ذُكر محققاً لأن المراد بها مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خِصْب، ورخاء، وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية فى لفظة: الحسنة، ولكون مجىء السيئة نادراً، ذُكر هو والمضارع مع «إنْ».

وإنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوع قليل: وهو جدبٌ وبلاءٌ كما يُفهم من التنكير فى: سيئة على التقليل.

ولو: للشرط فى الماضى مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء.

على أن الجزاء كان يمكن أن يقع، لو وُجد الشرط.

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضيتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك.

وتسمى. لو حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى: ﴿**لوكان فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢] ونحو: ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين**﴾ [النحل: ٩].

أى انتفت هدايته إياكم، بسبب انتفاء مشيئته لها[١].

*****

---

(١) لـ«لو» فى الكلام أربعة مواضع: ١ـ امتناع لامتناع. إذا دخلت على جملتين موجبتين . ٢ـ وجوب لوجوب: إذا دخلت على جملتين منفيتين نحو: لو لم يقم زيد لم يقم عمرو. ٣ـ امتناع لوجوب: إذا دخلت على موجبة ثم منفية، نحو: لو يقوم زيد لما قام عمرو. ٤ـ وحرف وجوب لامتناع: إذا دخلت على جملة منفية ثم موجبة. نحو: لو لم يقم زيد لقام عمرو. رصف المبانى: ٢٨٩ .

تنبيهات

الأول: علم مما تقدم أن المقصود بالذات من الجمل الشرطية هو الجواب فإذا قلت: إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال[(١)] .

ويتفرع على هذا: أنها تُعَدُّ خبريَّة أو إنشائيَّة باعتبار جوابها.

الثانى: ما تقدم من الفرق بين (إن، وإذا)، هو مقتضى الظاهر.

وقد يخرج الكلام على خلافه، فتستعمل «إنْ» فى الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه لأغراض كثيرة.

أـ كالتجاهل: نحو قول المعتذر: إن كنت فعلت هذا فعن خطأ.

ب ـ وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه.

كقولك للمتكبر توبيخاً له: إن كنت من تراب فلا تفتخر.

جـ ـ وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به: كما إذا كان السفر قطعىَّ الحصول لسعيد، غير قطعىّ لخليل، فتقول: إن سافرتما كان كذا[(٢)] وقد تستعمل «إذَا» فى الشرط المشكوك فى ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أـ منها: الإشعار بأن الشك فى ذلك الشرط لا ينبغى أن يكون مشكوكاً فيه. بل ينبغى أن يكون مجزوماً به. نحو: إذا كُثر المطر فى هذا العام أخصب الناس.

ب ـ ومنها: تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به. نحو: إذا لم تسافر كان كذا، وهلم جراً من عكس الأغراض التى سبقت.

الثالث: لما كانت «إنْ»، و«إذَا» لتعليق الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلٍ منهما جملة فعلية استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿**وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالْمُهْل**﴾ [الكهف: ٢٩].

ونحو:

---

(١) قال السكاكى: قد يُفيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعيه ولا يخرج الكلام بتقييده عما كان عليه. فالجزاء إن كان خبرا فالجملة خبرية نحو: إنْ جئتني أكرمك. وإن كان إنشا فالجملة إنشائية نحو: إن جاءك خليل فأكرمه. أى: وقت مجيئه فالحكم عنده فى الجمل المصدرة ب (إن). وأمثالها فى الجزاء، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه. وقد أخرجت الأداة عن الخبرية وإحتمال الصدق والكذب.

(٢) أى ففيه تغليب لمن لم يقطع به بالسفر على من قطع له به فاستعملت إن فى المجزوم وهو من قطع له بسبب تغليبه.

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبتها   وإِذَا تُرَدّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

[الكامل]

ولا يُعدل عن استقباليـة الجملة لفظاً ومعنى، إلى استقباليـتها معنى فقط، إلا لدواع غالباً (١).

أ- منها: التفاؤل. نحو: إِنْ عِشْتُ فَعَلْتُ الخَيْرَ.

ب - ومنها: تخيُّل إظهار غير الحاصل وهو الاستقبال فى صورة الحاصل وهو الماضى. نحو: إن مت كان ميراثى للفقراء.

الرابع: عُلم مما تـقدم من كون «لو» للشـرط فى الماضى: لزوم كون جـملتى شرطها وجزائها فعليتين ماضويَّتين، وعدم ثبوتهما.

وهذا هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه.

فتستعمل «لو» فى المضارع لدواع اقتضاها المقام، وذلك:

أ - كالإشارة إلى أن المضارع الـذى دخلت عليه يقصد استمـراره فيما مضى: وقتاً بعد وقت، وحصوله مرة بعد أخرى.

كقوله تعالى: ﴿**لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ**﴾(٢) [الحجرات: ٧].

ب - وكتنزيل المضارع منزلة الماضى، لصدوره عمَّن المستقبل عنده كالماضى فى تحقُّق الـوقوع، ولا تخلُّف فى أخـباره. كقوله تـعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾(٣) [السجدة: ١٢].

---

(١) وقد تستعـمل «إنْ» فى غير ذلك فيما إذا قـصد بها تعليق الجـزاء على حصول الشرط فى الماضـى حقيقة كقول أبى العلاء المعرى: فيا وطنى إن فاتنى بك سابق   من الدهر فلينعم بساكنك البالُ.
وقد تستعمل « إذا» أيضـا فى الماضى حقيقة. نحو «حتى إذا ساوى بين الصـدفين» وللاستمرار. نحو: « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا».

(٢) أى امتنع عنـتكم بسبب امتناع اسـتمراره فيما مضى على اطـاعتكم. الإنزال وقوفهم علـى النار فى يوم القيامة منزلة الماضى فى ستعمل فيه إنا

(٣) نزل وقوفهم علـى النار فى يوم القيامة منزلة المـاضى فاستعمل فيه«إذ». ولفظ المـاضى. وكان الظاهر أن يقال: «ولو رأيت » بلـفظ الماضى ، لكن عدل عنه إلى المضـارع تنزيلا للمستقبـل عند من لا خلاف فى خبره فى تحققه منزلة الماضى الذى علم وتحقق وثبت فعلا .

المبحث التاسع

فى التقييد بالنفى

التقييد بالنفى: يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص، مما تفيده أحرف النفى السبعة، وهى: لا، وما ولات، وإنْ، ولنْ، ولم، ولمّا.

(فلا) للنفى مطلقاً و(ما، وإن، ولات) لنفى الحال. إن دخلت على المضارع و(لن) لنفى الاستقبال و(لم - ولما) لنفى المُضىّ، إلا أنه (بلمّا) ينسحبُ إلى ما بعد زمن التكلم، ويختصّ بالمتوقع وعلى هذا فلا يقال لّما يقم خليلٌ ثم قام، ولا: لّما يجتمع النقيضان كما يقال: لم يقم علىٌّ ثم قام ولم يجتمع الضدان، فـ(لّما) فى النفى تقابل (قد) فى الإثبات، وحينئذ يكون منفيّاً قريباً من الحال، فلا يصح: لّما يجىءْ خليل فى العام الماضى.

*****

المبحث العاشر

فى التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييد بها: يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه. أو فيه أو لأجله أو بمقارنته، ويُقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها، ويُقيَّد بالتمييز لبيان ما خَفى من ذات أو نسبة. فتكون القيود هى محط الفائدة.

والكلام بدونها كاذبٌ أو غيرُ مقصود بالذات كقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِين**﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقد سبق القولُ فى أول الباب مفصلاً، فارجع إليه إنْ شئت.

تنبيهات

الأول: عُلِم مما تقدم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التى سبقت وتقييدها إذا كانت مذكورة.

أما إذا كانت محذوفة فتفيد أغراضاً أخرى:

١ـ منها: التعميم باختصار كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

أى جميع عباده لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم[1] .

ولو ذُكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال.

٢ـ ومنها: الاعتماد على تقدم ذكر، كقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] ،أى ويثبت ما يشاء.

٣ـ ومنها: طلب الاختصار نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الفتح: ١٤]، أى يغفر الذنوب.

٤ـ ومنها: استهجان التصريح به نحو: «ما رأيت منه ولا رأى منِّى» أى العورة.

٥ـ ومنها: البيانُ بعد الإبهام كما فى حذف مفعول فعل المشيئة، ونحوها إذا وقع ذلك الفعل شرطاً. فإنَّ الجواب يدل عليه، ويبينه بعد إبهامه، فيكون أوقع فى النفس، ويقدر المفعول مصدراً من فعل الجواب، نحو ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾ [الكهف: ٢٩] ،أى فمن شاء الإيمان.

٦ـ ومنها: المحافظة على سجع، أو وزن.

فالأول : كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سنن رءوس الآى السابقة.

والثانى: كقول المتنبى: [الطويل].

بَنَاهَا فأعلى والقَنَا يقرعُ القَنَا ... ومَوْجُ المنايا حَولها مُتَلاطِمُ

أى: فأعلاها.

٧ـ ومنها تعين المفعول نحو: رعت الماشية، أى: نباتاً.

ومنها: تنزيل المتعدى منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول، بل يجعل المفعول منسيًا، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدراً.

---

(١) أى ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله:

فلو شئت أن أبكى دما لبكينه ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكل ملمة ... وسهم المنايا بالذخائر أولع

فإن تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر فى نفس السامع.

كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى:

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] [الزمر: ٩].

الثاني: الأصل فى العامل أنّ يقدم على المعمول.

وقد يعكس فيقدم المعمول على العامل لأغراض شتى.

١ـ ومنها: التخصيص نحو: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

٢ـ ومنها: رد المخاطب إلى الصواب عند خطئه فى تعيين المفعول نحو: نصراً رأيت، رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

٣ـ ومنها: كون المتقدم محطّ الإنكار مع متعجب نحو: أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف.

٤ـ ومنها: رعاية موازاة رؤوس الآى نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١] وهلم جراً من بقية الأغراض التى سبقت.

تطبيق عام على الإطلاق والتقييد

إذا كُنْتَ فى نعمةٍ فارْعَها فإنَّ المعاصىَ تُزِيلُ النِّعَمَ

[المتقارب]

جملة «فارعها» إنشائية أمرية. والأمر مستعمل فى أصل ومعناه، المسند إليه (أنت) وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشرط للتعليق؛ وكانت أداة الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فإن المعاصى تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر التحذير من المعاصى.

المسند إليه (المعاصى) والمسند جملة: (تزيل)، وأتى به جملة: لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، وقيد بالمفعول به « النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بـ (إنّ) للتوكيد.

إن اجتهد خليل أكرمته: الجملة «أكرمته» وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، المسند (أكرم)، والمسند إليه (التاء)،وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

(!) الغرض مجرد إثبات العلم ونفيه دون تعلقه بمعلوم عام او خاص. . والمعنى: لا يستوى من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له. فلو قدر له مفعول: يعلمون الدين والذين لا يعلمونه. لفات هذا الغرض.

وأَصَابَتْ تِلْكَ الربُى عَيْنَ شَمْسٍ أَوْرَثْتَها مِنْ لَوْنِها اصْفِرَارًا

[الخفيف]

كُلَّما جَالَ طَرْفُها تَتْرُكُ النا سَ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسكَارَى

(وأصابت تلك الربى) جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى. والمراد بالخبر أصل الفائدة. المسند (أصاب) ذكر، لأن الأصل فى ذلك. وقدم لإفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار. والمسند إليه (عين شمس). وذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر: لاقتضاء المقام تقديم المسند. وخصص بالإضافة لتعينها طريقاً لإحضار معناه فى ذهن السامع، والمضاف إليه (شمس) قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها فى محل جر صفة «شمس» للتخصيص، وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل، وعرف المفعول به بالإشارة لبيان حاله فى البعد. وقيد المفعول بالبدل «الربى» لتقدير حاله فى نفس السامع «تترك الناس سكارى» هى الجملة الرئيسية، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى، والمراد بالخبر التفخيم، المسند إليه (الناس)، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهنى؛ لأن المراد (بالناس)، الذين نظروا إليها، والمسند (سكارى)، ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ونكر للتهويل، والحكم مقيد «بتترك» لإفادة التحويل، وبالشرط للتعلق، كانت أداة الشرط «كلما» لإفادة التكرار «وماهم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمراد بالخبر أصل الفائدة. والمسند إليه (هم) والمسند (سكارى) والكم مقيد بما لنفى الحال.

لاتَيأَسَنَّ وكُنْ بالصبرِ مُعتصِماً لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرَ

[البسيط]

«لا تيأسن» جملة إنشائية نهيية، والمراد بالنهى ارشاد، المسند (لا تيأس) والمسند إليه (أنت). و«كن بالصبر معتصماً» أصلها: أنت معتصم بالصبر ، وهى جملة إنشائية أمرية، والمراد بالأمر الإرشاد أيضا، المسند إليه الضمير المستتر فى كن

والمسند (معتصماً) والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال.

«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر، وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند (تبلغ) والمسند إليه أنت، الحكم مقيد بلن للنفى فى المستقبل، وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.

عسى الكربُ الذى أَمْسَيْتَ فيه   يكونُ وراءَه فرجٌ قريبٌ

[الوافر]

فى البيت جملة إنشائية، غير طلبية، وهى اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، المسند إليه «الكرب» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهنى، وقيد بالنعت «الذى أمسيت فيه» لتوضيحه، والمسند (يكون) إلخ، والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء، وأما جملة النعت «الذى أمسيت فيه» فهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى: المسند إليه فيها «التاء»، والمسند (الجار والمجرور) والحكم مقيد بأمسى لإفادة المساء، وجملة الخبر (يكون وراءة فرج قريب) جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك أخر لضرورة النظم، وقيد بالنعت «قريب» لإفادة القرب، والمسند (وراءه) - ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وقدم للضرورة، والحكم مقيد بالناسخ «يكون» لإفادة الاستقبال.

يُوشك مَنْ فَرّ مِنْ منيَّته   فى بعضِ غِرّاته يُوافقُها

[المنسرح]

أصل الجملة: يوشك من فر من منيته يوافقها فى بعض غراته، وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التيئيس من الخلود فى هذه الدنيا، المسند إليه «من» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالموصولية لعدم العلم بما

يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، وأتى به جملـة لتقوية الحـكم وقيد بـالجار والمجرور لبـيان زمنه . والحكم مـقيـد بالناسخ «يوشك» لإفادة المقاربة :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

[السريع]

(إن الثمانين قد أحـوجت). جملة خبرية اسميـة من الضرب الثالث، والمراد بها إظهار الضعف، المسند إليه «الثمـانين» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهنى والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك. وأتى به جملة لتقوية الحكم ـ والحكم مقيد بـ «إنَّ». و(قد) للتـوكيد. وأما قوله: (وبلغتها) فهى جملة معترضة للدعاء. وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى المسند إليه «التاء» والمسند «بلغ» والحكم مقيد بالمفعول به. لبيان ما وقع عليه الفعل.

*****

أسئلة على الإطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ماهو الإطلاق؟ ما هو التـقييد؟ متى يكون الإطلاق؟ متى يكون التـقييد؟ لماذا يقيد بالنعت؟ لماذا يقـيد بالتوكيد؟ لماذا يقيد بعطف النسـق؟ لماذا يقيد بالبدل؟ لماذا يقيد بالمفاعيل الخـمسة؟ لماذا يقيد بالحال؟ لماذا يقيد بالتمـييز؟ لماذا يقيد بالنواسخ؟ لماذا يقيد بـضمير الفصل؟ مـا الفرق بين إن، وإذا ، ولو؟ ما المقصـود من الجملة الشرطية؟ هل يمكن أن تستعمل (إن) فى مقام الجزم بوقوع الشرط؟. هل يمكن أن تستعمـل (إذا) فى مقام الشك؟ هل يمكن أن تستعمل (لو) مع المضـارع؟ لماذا يقيد بالنفى؟ .

*****

الباب السّادس
فى أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة منها[1] :

المفعول، والحال، والظرف، والجار والمجرور، وهذه المتعلقات أقل من الاهمية من ركنى الجملة ومع ذلك فقد تتقدم عليهما أو على أحدهما :

فيتقدَّم المفعول لأغراض أهمها :

١- تخصيصه بالفعل.　　٢- موافقة المخاطب : أو تخطئته.

٣- الاهتمام بالفعل.　　٤- التبرُّك به.　　التَّلذُّذ به.

ويتقدم كلٌّ من الحال، والظرف، والجار والمجرور لأغراض كثيرة.

١ - منها : تخصيصها بالفعل.　　٢ - ومنه : كونها موضع الإنكار.

٣ - ومنها : مراعاة الفاصلة أو الوزن.

والأصل فى المفعول أن يُؤَخَّر عن الفعل، ولا يُقَدَّمُ عليه إلا لأغراض كثيرة.

١- منها : التخصيص نحو : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ [الفاتحة : ٥] ردا على من قال : أعتقد غير ذلك.

٢- ومنها : رعاية الفاصلة نحو : ﴿**ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه**﴾ [الحاقة : ٣١].

٣- ومنها : التبرُّك نحو : قُرآنَا كريماً تلوتُ.

٤- ومنها : التلذذ نحو : الحبيب قابلتُ.

والأصل فى العامل : أن يُقَدَّمَ على المعمول؛ كما أن الأصل فى المعمول أن تقدم عُمدته على فضلَتِه، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.

أما بين الفعل والمفعول ونحوه : الظرف، والجار والمجرور، فيختلف الترتيب للأسباب الآتية.

أ- إما لأمر معنوىّ نحو : ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾[يس : ٢٠]. (فلو

---

(١) الأصل فى الجملة الفعلية، والأصل فى الفعل بناؤه للمعلوم، وقد يبنى للمجهول ويحذف الفاعل لأغراض شتى.

١- للعلم به : خلق الإنسان ضعيفا»　　٢ - أو الجهل به : سرق المتاع.

٣ - للخوف عليه : شُتِم الأمير.　　٤ - للخوف منه : قيل قتيل.

٥ - للمحافظة على سع : من طابت سريرته حمدت سيرته.

٦ - لتعظيم الفاعل إذا كان الفعل خسيسا : تكليم بما لا يليق.　　٧ تحقيره بصدق اللسان : قيل ما قيل

أخَّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع؛ لأنه صلةٌ لفعله).

ب ـ وإما لأمر لفظى نحو: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[النجم: ٢٣].

فلو قدّم الفاعل لاختلفتِ الفواصلُ، لأنها مبنية على الألف.

جـ ـ وإما للأهمية نحو: قتل الخارجىَّ فلانٌ.

وأما تقديم الفضلات على بعض: فقد يكون.

١ـ للأصالة فى التقدُّم لفظاً نحو: حسبتُ الهلال طالعاً.

فإنَّ الهلال ولو كان مفعولا فى الحال، لكنه مبتدأ فى الأصل.

أو للأصالة فى التقدُّم معنى وذلك كالمفعول الأول فى نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير، وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل فى المعنى بالنسبة إلى الجائزة[1].

٢ـ أو لإخلال فى تأخيره نحو: مررت راكباً بفلان، فلو أخرت الحال لتوهم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل والأصل فى المفعول ذكره؛ ولا يحذف إلا لأغراض تقدّم ذكرها.

تمرين

لبيان المتقدم من ركنى الجملة، ومتعلقات الفعل، وسبب تقدمه.

١ـ قال الله تعالى: ﴿ فَلِلّه الآخرة والأولى﴾ [النجم: ٢٥].

٢ـ وكتب ابن المُعتز لأحد خُلانه:

قلبى نَجِىُّ ذكْرِك، ولسَانى خادمُ شُكرك

٣ـ وقال الله تعالى: ﴿ الله يبسط الرّزق لِمنْ يشاء ويقدر﴾ [الرعد: ٢٦].

٤ـ كُلُّ حَىٍّ وإن أقام كنوح ... فى أمان من الرّدى سوف يفنى

[الخفيف]

٥ـ أنشأ يمزق أثوابى يؤدبنى ... أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا

[البسيط].

٦ـ منهومان لا يشبعان: طالبُ علم، وطالبُ مال.

٧ـ عباسُ مولاى أهدانى مظلته ... يظلل الله عباساً ويرعاه

[البسيط].

---

(١) لأن الجائزة مأخوذة.

الجـــملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
١ـ فلله الآخرة والأولى	خبر	تخصيص الخبر بالمبتدأ
٢ـ قلبى . ولسانى	مبتدأ	أنه الأصل
٣ـ الله يبسط الرزق	مبتدأ	تخصيصه الخبر
٤ـ كل حىّ وإن أقام	مبتدأ	إفادة التعميم
٥ـ أبعد شيبى يبغى	ظرف	موضع الإنكار
٦ـ منهومان لا يشبعان	مبتدأ	التشويق إلى المبتدأ
٧ـ عباس مولاى	مبتدأ	التعظيم

٨ ـ أنا آكرمتك، وفى منزلى آويتك.

٩ ـ لك عندى وعند صحبى أيادٍ سوف تبقى وكُلُّ شىء سيفنى

[الخفيف]

١٠ـ ما كُلُّ ما يتمنى المرءُ يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفنُ

[البسيط]

وقال المرحوم حافظ إبراهيم بك فى وصف الشمس: [الرمل]

١١ـ إنما الشـمسُ ومـا فى آيهـا من مـعـان لمعتْ للـعـارفين

حكـمـةٌ بالـغـةٌ قَدْ مَثَّلَتْ قـدرةَ اللهِ لقـومٍ غـافـلين

١٣ـ فمثل عُلاك لم أر فى المعالى ولا تاجـاً كـتـاجك فى الجـلال

[الوافر]

تمرين آخر

١ـ اشرح معنى التخصيص، واذكر مواضعه فى باب التقديم.

٢ـ أى أجزاء الجملة يفيد تقديمه، أو التلذذ، أو التعظيم؟
ومتى يفيد ذلك؟

٣ـ ما هى متعلقات الفعل؟ وما أسباب تقديمها عليه؟

٤ـ كيف تُشَوِّقُ لكل من المبتـدأ والخبر؟ ومتى يفيـد المبتدأ التعميم إذا قـدمته ومتى يدل على التخصيص بالخبر؟

٥ـ ميز المبتدأ الذى جرى فى التقديم على أصله من الذى تقدم زائداً؟؟

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
٨ـ أنا أكرمتك	مبتدأ	تخصيصه بالخبر الفعلى .
وفى منزلى آويتك	جار ومجرور	تخصيصه بالفعل .
ومطمئنا قلت لك	حال	موضع العناية والاهتمام .
نجاتك تحققت	مبتدأ	تعجيل المسرة .
لك جرائم	الخبر	التنبيه على أنه خبر لا صفة.
٩ـ لك عندى	خبر	للتنبيه على أنه خبر لاصفة.
كل شيء سيفنى	مبتدأ	إفادة التعميم .
١٠ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه	مبتدأ	نفى العموم .
١١ـ الشمس وما فى آيها حكمة	مبتدأ	التشويق للخبر .
١٢ـ مثل علاك لم أر	مفعول	تخصص المفعول بالفعل .

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض.

اذكر المتقدم، وبين نوعه فى كل عبارة:

١ـ اثنان لا يستغنى عنهما إنسان: العلم والمال.

٢ـ قال عليه الصلاة والسلام: « **إخوانكم خولُكم، جعلهم الله تحت أيديكم**» .

٣ـ إليك على بعد المزارِ وصعبه   نوازعُ شَوْقٍ ما تُرَدُّ عَوَازِبه

[الطويل].

٤ـ قال تعالى: **﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾**

[البقرة: ٧٩].

٥ـ قبيحٌ أنْ يحتاجَ الحارسُ إلى مَنْ يحرُسُه

٦ـ وقال تعالى: ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون . وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون** ﴾

[الذاريات: ١٧، ١٨].

٧ـ إلى الله كلُّ الأمْرِ فى الخلق كلِّهم وليس إلى المخلوق شىء من الأمر

[الطويل]

تمرين

عيِّن المتقدم من ركنى الجملة أو من متعلقات الفعل، واذكر سبب تقدمه:

١ـ قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون** ﴾ [البقرة: ٥٧].

٢ـ الدُّنيا دارُ عناء، ليس لأحد فيها البقاء، وغداً تُسرّ أو تُسَاء.

٣ـ أَلْقَتْ مقاليدَها الدنيا إلى رجل ما زال وَقْفاً عليه الجودُ والكرمُ

[البسيط]

٤ـ وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَات وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون** ﴾[الروم: ٢٦].

٥ـ وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَق** ﴾ [البقرة: ٧١].

بأىّ لفظِ تقول الشعر زعنفَةٌ تجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عجم

[البسيط]

٧ـ ولأحمد بن يوسف: بالأقلام تساسُ الأقاليم.

٨ـ أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله بقلْبِه خالصاً.

٩ـ قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِير** ﴾ [ق: ٤٣].

١٠ـ رأى الرسول رجلاً نذر أن يمشى فقال: إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغنى.

١١ـ يُسَاوِرُنى طوالَ الدجى وأساوِرُه مَلاكٌ وطَرْفى ساهدُ الليلِ ساهرُه

[الطويل]

اختبار للذاكرة

كوِّن أربع جمل تقدَّم فى أولاها(الخبر) ليفيد التشويق إلى المبتدأ.

وتقدّم فى الثانية(المبتدأ) لتعجيل المسرة.

وتقدم فى الثالثة (الحال) لأنه موضع الإنكار.

وتقدم فى الرابعة(الظرف) لأنه موضع العناية.

*****

الباب السّابع

فى تعريف القصر

القصر: لغة الحبس، قال الله تعالى﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢].

واصطلاحاً: هو تخصيص شىء بطريق **مخصوص**.

والشىء **الأول**: **هو المقصور**.

والشىء الثانى: هو المقصور عليه.

والطريق المخصوص لذلك التَّخصيص يكون بالطُّرُق والأدوات الآتية:

نحو: ما شوقى إلا شاعر؛ فمعناه تخصيص شوقى بالشعر وقصره عليه، ونفى صفة الكتابة عنه ردا على مَنْ ظنَّ أنَّه شاعر، وكاتب.

والذى دلَّ على هذا التَّخصيص هو النفى بكلمة (ما) المتقدمة، والاستثناء بكلمة (إلا) التى قبل الخبر.

فما قبل (إلاَّ)، وهو (شوقى) يُسَمَّى مقصورا عليه، وما بعدها وهو (شاعر) يسمى مقصورا، و(ما وإلاَّ)، طريق القصر وأدواته.

ولو قلت: شوقى شاعرٌ بدون نفى واستثناء ما فُهم هذا التَّخصيص.

ولهذا، يكون لكل قصر طرفان مقصور، ومقصور عليه. ويُعْرَفُ المقصور بأَنَّهُ هو الذى يُؤَلف مع المقصور عليه الجملة الأصلية فى الكلام.

ومن هذا تعلم أن القصر: هو تخصيص الحكم بالمذكور فى الكلام ونفيه عن سِواهُ بطريقٍ من الطرق الآتية:

وفى هذا الباب أربعة مباحث.

*****

المبحث الأول
فى طرق القصر

للقصر طرق كثيرة، وأشهرها فى الاستعمال أربعة[1] ، وهى:

أولاً: يكون القصر بالنفى والاستثناء، نحو: مـا شوقى إلا شاعر أو ما شاعر إلا شوقى.

ثانياً: يكون القصر بإنما نحو: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر :٢٨]

ويقول الشاعر:

إنَّمـا يـشترى المحـامــدَ حــرٌّ طــاب نفساً لهن بالأثمان

[الخفيف]

ثالثاً: كون القـصر بالعطف(بلا، وبل[2] ولكن)، نحو: الأرض مـتحـركة لا ثابتة،

وكقول الشاعر:

عمرُ الفتى ذكره لا طول مـــــدته وموته خزيه لا يومه الدانى

[البسيط]

وكقوله:

مـا نـال فى دنـيـاه وإن بغـيـة لكن أخو حزم يجدّ ويعمل

[الكامل]

رابعاً: يكون القصر بتـقديم ما حقه التأخـير نحو: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥]، أى نخصك بالعبادة والاستعانة.

فالمقصور عليه فى النفى والاستثناء هو المذكور بعد أداة الاستثناء: وما توفيقى إلا بالله.

٢ـ والمقصورعليه: مع، (إنَّما)، هو المذكور بعدها، ويكون مؤخراً فى الجملة وجوباً، نحو: إنما الدنيا غرور.

(١) ومن طرق القصر التى ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده، أو فقط، لا غير، ليس غير، أو مادة الاختصاص ومادة القصر، أو تواسط ضمير الفصل أو: تعريف المسند إليه، أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلى لخلوها من اللطائف البلاغية.

(٢) «ما الأرض ثابتة بل متحركة.

٣ـ والمقصور عليه: مع (لا) العاطفة: هو المذكور قبلها.

والمُقابلُ لما بعدها نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

٤ـ والمقصور عليه مع (بَلْ، ولا)، العاطفتين: هو المذكور بعدهما نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، ونحو: ما الفخر بالنَّسب لكن بالتقوى.

٥ـ والمقصور عليه: فى تقديم ما حقه التأخير، هو المذكور المتقدِّمُ نحو: على الله توكلنا، وكقول المتنبى: [الكامل]

ومن البليَّة عذل من لا يرعَوى عن غَيِّه وخطاب من لا يفهم

ملاحظات

أولا: يشترط فى كل من (بل) و(لكن) أن تُسْبَق بنفى، أو نهى، وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وألا تقترن، (لكن)، بالواو.

ثانياً: يشترط فى (لا): إفراد معطوفها، وأن تُسْبَق بإثبات، وألا يكون مابعدها داخلاً فى عموم ما قبلها.

ثالثا: يكون للقصر بـ (إنَّما)، مزية على العطف لأنَّها تفيد الإثبات للشىء، والنفى عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفى ثانياً، أو عكسه.

رابعاً: التَّقديم: يدل على القصر بطريق الذوق السليم، والفكر الصائب، بخلاف الثلاث الباقية فتدل على القصر بالوضع اللغوى الأدوات.

خامساً: الأصل أن يتأخر المعمول على عامله إلا لضرورة.

ومن يتتبع أساليب البلغاء فى تقديم ماحقه التأخير: يجد بأنهم يريدون بذلك: التخصيص[1].

*****

(١) القصر بالتقديم لا يُدَلُّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول، بل مرجع دلالته إلى الذوق السليم والفكر الصائب ويُسمى علماء المعانى: التخصيص المستفاد من هذه الوسائل بالقصر، ويسمون الوسائل نفسها طُرق القصر.

المبحث الثانى

فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

قصر حقيقى[1]: وهو أن يختص المقصورُ عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعداه إلى غيره أصلاً: نحو: **لا إله إلا الله**.

ب ـ وقصر **إضافى**: وهو أن يختص المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شىء آخر مُعَيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر. فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلاً وليس قصدك أنه لا يوجد مُسَافر سواه إذ الواقع يشهد ببطلانه.

*****

تنبيهات

الأول: الأصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم، والمنفى عنه إلا إذا خيف التطويل: وفى الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط.

الثانى: النفى بـ (لا) العاطفة: لا يجتمع مع النفى والاستثناء، فلا تقول ما محمد إلا ذكى لا غبى؛ لأن شرط جواز النفى بـ (لا)، ألا يكون ما قبلها منفيا بغيرها.

ويجتمع النفى بـ (لا) العاطفة مع كل من (إنما)، والتقديم فتقول: إنما محمد ذكى لا غبى وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

والأصل فى العطف بـ (لا) أن يتقدم عليه مثبت، ويتأخر منفى بعده. وقد يترك إيضاحه اختصاراً، مثل: على يجيد السباحة لا غير. أى لا المصارعة، ولا الملاكمة ولا غير ذلك من الصفات.

الثالث: الأصل فى النفى والاستثناء أن يجىء لأمر ينكره المخاطب، أو يشك فيه، أو لما هو منزل هذه المنزلة: ومن الأخير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

---

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقى الادعائى على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يُعتد به.

الرابع: الأصل فى (إنَّما) أن تجىء لأمـر من شأنه ألا يجـهله المخاطب، ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ومن الثـانى قوله تعالى حكاية عن اليـهود: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلى لا شك فيه، وقال الشاعر:

أنا الذائد الحامى الذمـار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مِثلى

[الطويل]

*****

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره فى الذهن، كقول الشاعر:

وما المـرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافـــى تمام الشهر ثم يغيب

[الطويل]

ونحو:

وما لامرئ طول الخلود إنما ... يخلِّده طول الثناء فيخلد

[الطويل]

وقد يراد بالقصر المبالغة فى المعنى كقول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خَلْق مُصوّر

[الطويل]

وكقوله

لاسيف إلا ذو الفقار ... ولافتـــــى إلا علــــى

[مجزوء الكامل]

وذو الفقار، لقب سيف الإمام علىّ كرم الله وجهه، وسيف العاص بن منبه.

والقصر: قد ينحو فيه الأديب مناحى شـتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافى، رغبة فى المبالغة، كقوله: [الوافر].

وما الدنيا سوى حُلْمٍ لذيذٍ تُنَبِّهُهُ تباشيرُ الصَباحِ

وقد يكون من مرامى القصر التعريض كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الرعد: ١٩]، إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له.

*****

المبحث الثالث

فى تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه: المقصُور والمقصور عليه.

سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً، إلى نوعين:

أـ قصر صفة على موصوف: هو أن تُحبسَ الصفةُ على موصوفها وتُخْتصّ به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات.

مثال من الحقيقى: لا رازقَ إلاَّ اللهُ

ومثاله من الإضافى: نحو: لا زعيم إلا سعد.

ب ـ قصر موصوف على صفة: هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها.

مثاله من الحقيقى، نحو: ما اللهُ إلاَّ خالق كلِّ شىء[1].

ومثاله من الإضافى، قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**[2] **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

---

(1) قصر الموصوف على الصفة فى القصر الحقيقى لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشىء حتى يمكن اثبات شىء فيها ونفى ما عداها، ويكثر القصر الحقيقى فى قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الإضافى الذى يأتى كثيرا فى كل من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة. واعلم: أن المراد بالصفة هنا المعنوية التى تدل على معنى قائم بشىء سواء أكان اللفظ الدال عليه جامدا أو مشتقا فعلا أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

(2)ـ قصر محمدا على صفة الرسالة ونفى عنه مظنة الخلود فلا يموت.

المبحث الرابع
فى تقسيم القصر الإضافى

ينقسم القصر الإضافى بنوعيه[1] السّابقين على حسب حال المخاطب إلى:

أ- قصر إفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: إنما الله إلهٌ واحدٌ، رَدًّا على من اعتقد أنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ.

ب - **قصر قَلب**: إذا اعتقد المخاطب عَكْس الحكم الذى تُثْبِتُه نحو: ما سافر إلا على، رَدًّا على من اعتقد أن المسافر خليل لا علىٌّ.

فقد قلبت وعكست عليه اعتقادَه.

جـ - **قصر تعيين**: إذا كان المخاطب يتردَّد فى الحكم: كما إذا كان متردِّداً فى كون الأرض متحركة أو ثابتة، فتقول: الأرض متحركة لا ثابتة، رداً على من شكَّ وترَدّد فى ذلك الحكم.

واعلم أن القصر بنوعيه: يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول، وبين الحال وصاحبها وغير ذلك من المتعلقات، ولا يقع القصرُ مع المفعول معه.

والقصر: من ضروب الإيجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ إن جملة القصر فى مقام جملتين، فقولك: (ما كامل إلا الله) تعادل، قولك: (الكمال لله)، وليس كاملاً غيره.

وأيضاً: القصرُ: يحدد المعانى تحديداً كاملاً، ويكثر ذلك فى المسائل العلمية، وما يماثلها.

---

(١) المذكورة فى ص ١٥٠ بخلاف الحقيقى بنوعيه فلا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد فى ذلك، كيف وفى الصفات ما هى متقابلة. فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقى: إفراداً أو قلبا أو تعييناً.

تطبيق

وضح فيما يلى نوع القصر وطريقه

١ـ ما الدهرُ عندكَ إلا روضة[1] أُنُفُ   يامن شمائلهُ فى دهره زَهــرُ
[البسيط]

٢ـ ليس عــارٌ بـــأن يـُقَالَ فَقيـــرٌ   إنما الـعــارُ أن يــقالَ بخــيـلُ
[الخفيف]

٣ـ وإنّما الأُمَمُ الأخلاق ما بقيـــت   فإِنْ هُمُوا ذهبتْ أخلاقُهم ذَهَبُوا
[البسيط]

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر . . .	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء
٢	إنما العار . . .	موصوف على صفة	إضافى	إنما
٣	إنما الأمم. . .	موصوف على صفة	حقيقى ـ ادعائى	إنما

٤ـ فَلَمَّا أَبَى إلا الـبــكـــاءَ رَقَدْتُهُ   بِعَيْنَين كـــانا لـلدّمُوع عـلى قَدْر
[الطويل]

٥ـ مـا لنا فـى مـديحـه غـيـرُ نظم   للمـــساعى التى سـعـــاها ووصفُ
[الخفيف]

٦ـ بك اجـــتــمع المُلك المُبَدَّدُ شَمْلُهُ   وضُمَّتْ قَواصٍ منه بعــــد قَواصى
[الطويل]

٧ـ سـيذكـرنى قومى إذا جـدَّ جِدُّهُمُ   وفى اللـيلة الظلـمـــاء يُفْتَقَدُ البــدرُ
[الطويل]

٨ـ ما افـترقنا فـى مدحه بل وصـفنَا   بعـضَ أخـــلاقـــه وذلك يكـفى
[الخفيف]

---

[1] ترفع وتنزه وعزة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس لك من مالكَ إلاّ ما أكلتَ فأفنيت، أوْ لبستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأبقيتَ**».

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٤	فلما أبى . .	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٥	ما لنا . . .	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافى	تقديم الجار والمجرور
٧	وفى الليلة	موصوف على صفة	إضافى	تقديم الجار والمجرور
٨	ما افترقنا	موصوف على صفة	إضافى	بل

تطبيق (٢)

١ـ قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [النساء: ١٧١].

٢ـ قال تعالى: ﴿ **إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ** ﴾ [الشعراء: ١١٣].

٣ـ قال تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [يونس: ٥٥].

٤ـ قال الله تعالى: ﴿ **إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ** ﴾ [يس: ١٥].

٥ـ فإن كان فى لبس الفتى شَرَفٌ له ... فـمـا السـيفُ إلا غمـده والحمائل

[الطويل]

٦ـ ليس اليتيمُ الذى قد ماتَ والدُه ... بل اليـتـيـمُ يتـيـمُ العلم والأدب

[البسيط]

٧ـ وما شـاب رأسى من سنين تتَابعتْ ... علىّ ولكـن شـيـبـتنى الوقـائع

[الطويل]

٨ـ إن الجديدَين فى طول اختلافهما ... لا يَفْسُدَان ولـكـن يَفْسُدُ الـنـاسُ

[البسيط]

٩ـ لا يألفُ العلمَ إلا ذكىٌّ، ولا يجفوه إلا غنىٌّ .

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	النفى والاستثناء
٣	لله ما فى السموات	حقيقى	صفة على موصوف	إفراد	التقديم
٤	إن أنتم	إضافى	موصوف على صف	إفراد	النفى والاستثناء
٥	فما السيف	إضافى	موصوف على صفة	محتمل	النفى والاستثناء
٦	ليس اليتيم	إضافى	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧	وما شاب	إضافى	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن
٨	لا يفسدان	إضافى	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
٩	لا يألف العلم إلا ذكى	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء

١٠ـ قد علمتْ سلْمى وجاراتُها ماقَطَّرَ الفـــارسُ إلاّ أنا

[السريع]

١١ـ إنما الـدنيـــا هبـــاتٌ وعـــوارٍ مســـتــردَّه

[مجزوء الرمل]

شِدَّةٌ بعــــد رَخـــاءٍ ورَخـــاءُ بعـــد شِدَّه

١٢ـ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا، «إِنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإِنَّما لكلِ امرىءٍ مَانَوىَ».

الرقم	الجملة			طريقه
١٠	ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء
١١	إنما الدنيا هبات	قصر صفة على موصوف	إضافى	إنَّما
١٢	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	إضافى	التقديم

١ـ محاسنُ أوصاف المغنِّين جـمَّة   وما قصباتُ السبق إلا لمعْبَدِ

[الطويل

٢ـ إلى الله أشكو أنَّ للنفس حاجةً   تَمُرّ بها الأيّامُ وهى كما هيا

[الطويل]

٣ـ عند الأمتحان يُكرَمُ المرءُ أو يهانُ.

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصود	باعتبار الواقع	طريقه
١	ما قصبات السبق الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٢	إلى الله أشكو	قصر صفة على موصوف	حقيقى	التقديم
٣	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	التقديم

اختبار للذاكرة

١ـ هات جملة تفيد نجاح سعد، وعدم نجاح سعيد، بواسطة إنما.

٢ـ رُدَّ بطريق القصر بإنما على من ظنَّ أن المطر يكثر شتاء فى السودان.

٣ـ أ ـ من تخاطب بالجملة الآتية؟؟ فيكون القصر قصر قلب.

ب ـ من تخاطب بالجملة الآتية؟؟ فيكون القصر قصر إفراد.

جـ ـ من تخاطب بالجملة الآتية؟؟ فيكون القصر قصر تعيين.

وهى: ما أدَّيتُ إلا الواجبَ علىَّ.

٤ـ غير الجملة الآتية بحيث تفيد القصر بالعطف:

بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم الغربية.

تطبيق عملى

١ـ لـم يبـقَ سـوَاك نلُوذ بـه   ممـا نـخْشَاهُ مِن المحـن

[المتدارك]

٢ـ إنما يشـتـرى المحـامـدَ حُر   طاب نـفـسـاً لهنَّ بـالأثمـانِ

[الخفيف]

٣ـ إنما الـدُّنيَا مـتـاعٌ زائـل   فـاقـتـصـد فـيـه وخُذ منه ودع

[الرمل]

٤- عمرُ الفتى ذكرهُ لا طُولُ مدَّته ... وموتهُ خزيه لا يومه الدّانى

[البسيط]

٥- ما نال فى دُنياه وإن بغية ... لكن أخو حزْم يجدُّ ويعملُ

[الكامل]

٦- ومن البَليَّة عَذْلُ منْ لا يرعوى ... عن غيِّه وخطابُ منْ لا يفهمُ

[الكامل]

بالعلم والمال يبنى الناسُ مُلكهمُ ... لم يُبْنَ مُلكٌ على جهل وإقلال

[البسيط]

تمرين آخر

عيِّن المقصور، والمقصور عليه، ونوع القصر وطريقته، فيما يأتى:

١- قال الله تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [الكهف: ١١٠].

٣- وقال تعالى﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النحل: ١٠٥].

٤- قال ابن الرومى: [الكامل].

غلِط الطبيبُ عَلىَّ غلطةَ مُوردِ ... عجزتْ موارده عن الإصدار

والناس يَلحَوْنَ الطبيبَ وإنما ... غلط الطبيب إصابة الأقدار

٥- قال المتنبى: [الكامل]:

والظلم من شِيَم النفوس فإن تجد ... ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

٦- قال الطرِمَّاح بن حكيم: [الطويل]:

وما مُنعت دارٌ ولا عزَّ أهلُها ... من الناس إلا بالقنا والقنابل

٧- قال حطّان بن المعلّى: [السريع]

وإنمـــا أولادنـــا بـيـــنـــنـــا أكـــبـــادُنـا تمشى عـلى الأرض

٨- وقال رجل من بنى أسد: [الطويل]

ألا إنَّ خـــيـــــرَ الوُدِّ وُدٌّ تطـوعت به الـنفسُ لا ودٌّ أتى وهــو مُتــــعبُ

٩- قال أبو تمام: [الخفيف]

شــاب رأسى ومـا رأيت مـشـيب الـ ـــرأس إلا من فـضـلِ شـيب الفـؤادِ

وكـــذاك الـقلـوب فى كـل بؤس ونعـــيم طـلائع الأجـــســـادِ

١٠- قال المتنبى: [الطويل]

ومـا أنـا إلا سـمـهـرىٌّ حـملـتـه فـزيـن مـعـروضـاً وراع مـسـدَّدا

ومـا الـدهر إلا من رُواة قـصـائدى إذا قلتُ شـعراً أصـبح الدهرُ منشـدا

١١- وقال أيضاً: [الطويل]

ومـا الخـوفٌ إلا مـا تَخَوَّفَه الفـتى ولا الأمن إلا مـــا رآه الفــتى أمنا

١٢- وقال أبو فراس الحمدانى: [الطويل]

إذا الخلّ لم يـهـجـرك إلا مـلالة فلـيس له إلا الفـــراق عـتـــاب

١٣- وقال أبو العتاهية: [الخفيف].

علـل النـفسَ بـالكـفـــافِ وإلا طلبت مـنك فـوق مـايكفـيـهـا

إنما أنتَ طولَ عـمـركَ مـا عـمـ ـرتَ فى السـاعـة التى أنت فـيـهـا

١٤- قال مهيار: [الطويل]

ومـا الحـرصُ إلا فـضلةٌ لو نبـذتهـا لما فـــاتك الـرزق الذى أنت آكـله

١٥- قال الطغرائى: [البسيط]

وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

١٦- وقال الغزى: [البسيط]

ليس التغرب أن تشكو نوى سفر ... وإنما ذاك فقد العز فى الوطن

١٧- وقال أيضا: [الطويل]

إنما هذه الحياةُ متاعٌ ... والسَّفِيه الغبىُّ مَنْ يَصْطَفِيها

ما مضى فات، والمؤمل غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

١٨- وقال الأرجانى: [الطويل]:

تطلعت فى يومى رخاء وشدة ... وناديتُ فى الأحياء هل من مساعد؟

فلم أر فيما ساءنى غيرَ شامتٍ ... ولم أر فيما سرنى غيرَ حاسدِ

١٩- وقال الأبيوردى: [الطويل]

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى ... أخو اللؤم فيها والكريم يخيب

٢٠- وقال أيضاً: [الطويل]

ولا تصطنع إلا الكرام فإنهم ... يجازون بالنعماء مَنْ كانَ مُنْعِما

تطبيق عام على القصر وأنواعه والأبواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله: جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد. المسند إليه: (حول وقوة) المسند: الجار والمجرور، ولانظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعانى ولا يعدون حذفه إيجازاً، والحكمان مقيدان بالنفى والاستثناء لإفادة القصر، ففيهما قصر صفة وهو: التحول عن المعاصى، والقوة: على الطاعة على موصوف وهو: الذات الأقداس، وهو: قصر إضافى طريقه: النفى والاستثناء،

ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر: قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو: إفراد، أو على من يتردد فهو: تعيين.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث: المسند: (نعبد ونستعين)، والمسند إليه: الضمير المستتر فيهما، وهما مقيدتان بالمفعولين (إياك) وقدم المفعولين لإفادة القصر، ففيهما قصر: صفة وهو العبادة والاستعانة، على موصوف وهو: الذات الأقدس، طريقه: تقديم ما حقه التأخير، وهو: إضافي ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى، فهو: قلب أو على من يعتقد الشرك فهو: إفراد، أو على من يتردد فهو: تعيين.

(إنما شوقي شاعر): فيه قصر موصوف وهو: شوقي على صفة وهو: الشعر، وطريقه: (إنّما)، وهو: قلب أو إفراد، أو تعيين على حسب حال المخاطب.

(الله الغفور الرحيم): فيه قصر الصفة وهو: المغفرة والرحمة على موصوف وهو: الله تعالى: طريقة: تعريف المسند بأل.

وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المردود عليه.

(إنما الشجاع علي): فيه قصر صفة وهو: الشجاعة على موصوف وهو: عليّ وطريقه: إنما.

(المرء بآدابه لا بثيابه): فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه والمسند، طريقه: العطف بلا.

(إنما الإله واحد): فيه قصر الموصوف على الصفة، قصراً حقيقيًا، طريقه: إنما: وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

*****

أسئلة على القصر وأنواعه تطلب أجوبتها

ماهو القصر لغة واصطلاحاً؟؟ كم قسماً للقصر؟؟ ماهو القصر الحقيقى؟ ماهو القصر الإضافى؟ كم قسماً للقصر الحقيقى؟ كم قسماً للقصر الإضافى؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافى؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافى؟ كم قسماً للإضافى بقسميه.؟

على من يُردّ بقصر الإفراد؟ على من يُرَدّ؟ بقصر القلب؟ على من يُرَدُّ بقصر التعيين؟ ما هى طرق القصر المصطلح عليها فى هذا الباب؟ ما أقواها؟ أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول؟ أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟ متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟ لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟ ويكثر مع النفى والاستثناء؟!

*****

الباب الثامن

فى الوصل والفصل

تمهيد

العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغى أن يصنع فيها من العطف والاستئناف، والتهدى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها.

أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك، لا يُوفّق للصواب فيه إلا من أُوتى قسطاً وافوراً من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها، ورزق حظّاً من المعرفة فى ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، وعظيم خطره؟ وكثير فائدته: يدل لهذا، أنهم جعلوه حد البلاغة.

فقد سئل عنها بعضُ البلغاء، فقال: هى معرفة الفصل والوصل.

تعريف الوصل والفصل فى حدود البلاغة

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل: ترك هذا العطف[1] بين الجملتين، والمجىء بها منثورة، تستأنفُ واحدة منها بعد الأخرى.

فالجملة الثانية: تأتى في الأساليب البليغة مفصولة أحياناً وموصولة أحياناً.

فمن الفصل: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] فجملة ادفع مفصولة عمَّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالتى هى أحسن، لما كان بليغاً.

ومن الوصل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] عطف جملة: وكونوا على ما قبلها.

ولو قلت: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً.

فكل من الفصل والوصل يجىء لأسباب بلاغية.

---

(١) إذا توالت جملتان فينظر محل الأولى من الإعراب، أولا: فإن كان لها محل فيقصد إشراك الثانية لها فى الاعراب أولا. فإن قصد الاشراك عطف الثانية نحو: (الله يحى ويميت) وإلا فصلت عنها نحو: قالوا إنا معكم إنّما نحن مُستهزءون الله يستهزىء بهم. لم يعطف الله على ما قبله لئلا يشاركه فى حكم مفعولية القول، وهو ليس مما قالوه. وإن لم يكن لها محل ولم يقصد إعطاء الحكم للثانية وجب الفصل دفعا للتشريك بينهما: أو قصد اعطاء حكمها نحو: إنما شوقى شاعر والعقاد كاتب وجب الوصل

ومن هذا يُعلم أن الوصل: جمع وربط بين جملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى: أو لدفع اللَّبس.

والفصل: ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدثين، وإما لأنه لا صلةَ بينهما في الصورة أو في المعنى.

بلاغة الوصل

وبلاغة الوصل: لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط دون بقية حروف العطف؛ لأن الواو هي الأداة التي تخفَى الحاجةُ إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرَّد الربط، وتشريك ما بعدها لِمَا قبلها في الحكم: نحو: مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقُمْ واسْعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثم)، وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهر الفائدة ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بـ (الواو) أن يكون بين الجملتين جامعٌ.

كالموافقة في نحو: يقرأُ ويكتبُ، وكالمضادة في نحو: يضحك ويبكي، وإنما كانت المضادَّة في حكم الموافقة؛ لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل.

كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً.

فلا يُقال: خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين، وفي هذا الباب مبحثان.

*****

المبحث الأول

فى إجمال مواضع الوصل

الوصلُ عطف جملة على أخرى بالواو، ويقع فى ثلاثة مواضع[1] :

الأول: إذا اتحدت الجملتان فى الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى.

أو معنى فقط[2]، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة فى المعنى، فمثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[3] [الانفطار: ١٣] ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿**فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [الشورى: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٣٦]

وصل جملة ﴿**وَلا تُشْرِكُوا**﴾ بجملة ﴿**وَاعْبُدُوا**﴾ لاتحادهما فى الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤدِّيه لخالقه، ويختصَّه به.

ومن هذا النوع قول المرحوم شوقى بك: [الرمل].

عالجوا الحكمة واستشفوا بها   وانشدُوا ما حلَّ منها فى السِّيَرْ

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب فى أنهـا مما يتعلق بأمر الحكمة وبواجب الشباب فى طلبها، والانتفاع بها.

ومثال المختلفتـين، قوله سبحانه: ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[4] [هود: ٥٤].

أى: إنى أُشْهِدُ الله وأُشْهِدُكم، فـتكون الجملة الثـانية فى هذه الآية: إنشـائية لفظاً، ولكنها خبرية فى المعنى[5] .

ونحو: اذهب إلى فلان، وتقـول له كذا، فتكون الجملة الثـانية من هذا المثال خبرية لفظاً، ولكنها إنشائية معنى: وقُلْ له:

فالاختلاف فى اللفظ، لا فى المعنى المعوَّل عليه، ولهذا وجب الوصل.

---

(١) يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين.

(٢) المعول عليه اتفاقهما فى المعنى لأنه المقصود ولا عبرة باختلاف اللفظ.

(٣) بينهما تناسب فى الفكر.

(٤) محاشاة عن مساواة شهادتهم بشهادة الله.

(٥) صور الجملتين ثمانية لأنهما (إما خبـريتان) لفظا ومعنى أو معنى لا لفظا أو الأولى خبرية معنى لا لفظا أو العكس. وإما إنشائيا لفظا ومعنى أو معنى لا لفظا أو الأولى خبرية والثانية إنشائية أو بالعكس.

وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثانى: دفع توهُم غيــر المراد، وذلك إذا اخـتلـفت الجـملتـان فى الخـبـرية والإنشائية، وكـان الفصل يُوهِم خلاف المقصود كـما تقول مجيـباً لشخص بالنفى «لاشفاه الله».

لمن يسـألك: هل بَرِىءَ علىٌّ من المرض؟؟ فـترك الواو يُوهـم السامع الدعـاء عليه، وهُو خلاف المقصُود؛ لأن الغرض الدعاء له.

ولهذا وجبَ أيضاً الوصل.

وعطف الجملة الثـانية الدعائية الإنـشائية على الجملة الأولى الخـبرية المصَوَّرة بلفظ (لا) لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجـملة الأولى محل من الإعـراب، وقُصد تشـريك الجملة الثانية لها فى الإعراب حيث لا مانع، نحو: علىٌّ، ويفعل.

تمرين

وضّح أسباب الوصل فى الجمل الآتية:

١ـ قال عز وجل: **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾** [الإسراء: ٢٩].

٢ـ وقال سبحانه: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٥].

٣ـ وقال سبحانه: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** [الحج: ٤٩ـ ٥١].

٤ـ وقال عليه الصلاة والسلام: **«اتق الله حيثما كنتَ، وأتبع السيئةَ الحسنة تَمحُها وخالقِ الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ»**.

٥- قال أبو العتاهية: [الكامل]

تأتــى المكارهُ حــين تأتــى جـــــملة وأرى الســــرورَ يجىء فى الفلـتـات

٦- وقال المتنبى" : [الطويل]

وكلُّ امـرئ يُولى الجـمــيل مُحـببٌ وكلُّ مـكان يُنبـتُ العـــــزَّ طـيّبُ

٧- وقال المعرى: [البسيط]

اضــــرِبْ وليــــدكَ وادْلُلْهُ على رَشَد ولا تقل هــو طفلٌ غـــيــرُ مــحْتَلِم

فـــربَّ شقٍّ برأس جـــرَّ مـنفـــعـــةً وقس على نفع شَقِّ الـرأسِ فى القلم

٨- وقال : [الطويل]

يصــونُ الكريمُ العِرْضَ بالمالِ جـاهداً وذو اللّؤْمِ للأمـــوال بـالعِرْض صَائنُ

٩- وقال مسلم بن الوليد: [الطويل]

يجـودُ بالنـفس إن ضَنَّ الجـوادُ بهـا والجُودُ بالنفس أقــصى غـايةِ الجـودِ

١٠- وقال أبو نواس: [الطويل]

نســــيــــبُك مــن ناسَبْتَ بالودِّ قـلبَهُ وجـارُكَ من صـافَيتَ لا من تُصَاقِبُ

١١- وقال الغزى: [الخفيف]

إنما هــذه الحـــيــــاةُ مـــتـــاعٌ والسـفــيــهُ الغـبىُّ من يـصْطَفِيـهـا

مـــامــضى فـــات، والمؤمَّلُ غَيبٌ ولكَ الســاعـة التى أنـتَ فـيــهـا

تمرين آخر

بين أسباب الفصل فى الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

٢- وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٥، ٦].

٣- وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص: ٤].

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة ٦، ٧].

٥- وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧].

٦- وقال عز وجل: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر: ٥١ ا ٥٥].

٧ـ قال أبو العتاهية: [مجزوء الكامل]

الصَّمت أجـمـلُ بالـفـتى | من منطقٍ فى غـيـر حـينه
لاخـيـر فـى حَشْوِ الكـلا | م إذا اهتـديَتَ إلـى عُيـونه
كلُّ امـرئٍ فى نـفـسـه | أعـلى وأشـرف مـن قَرينـه

٨ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

ليس الـكريم الذى يُعطى عـطيّتـه | عن الـثناء وإن أغْلـى به الـثـمـنا
إن الكـريم الذى يعـطى عطـيّتـه | لغيـر شىء سوى استـحسـانه الحسنا
لا يَسْتـثـيب بـبـذل العُرف مَحْمـدةً | ولا يمـن إذا مـا قـلَّدَ المِنـنـا

٩ـ وقال المتنبى: [البسيط]

لولا المـشـقّةُ سـاد الناسُ كـلُّهمُ | الجـودُ يُفـقـرُ والإقـدامُ قـتّالُ

١٠ـ وقال الشريف الرضى: [البسيط]

لا تأمـنَنَّ عـدوا لان جـانبـه | خشونةُ الصِّلِّ[1] عُقْبى ذلـك اللـين

١١ـ وقال المعرى: [البسيط]

لا يعـجـبنك إقـبـال يديـك سنا | إن الخـمـود لعمـرى غـاية الضَّرم[2]

١٢ ـ الخفاجى: [البسيط].

النـاس شتَّى وإن عـمَّتـهُم صُوَرٌ | هـى الـتَّنـاسـب بـين المـاء والآل

١٣ـ وقال أبو فراس: [مجزوء الكامل]

لاتطلـبنَّ دُنُـوَّ دا | رِ مـن خـلـيـل أو مُعَاشِرْ
أَبَقـى لأسـبـاب المـودَّة | أن تـزور ولا تجـاوِرْ

١٤ـ وقال الْحُطيئة: [البسيط]

من يفـعل الخـيـرَ لا يَعـدمْ جـوازِيَهُ | لا يـذهبُ الـعُرْفُ بـين الله والنـاس

---

(١) الصل: القرن والمثل.

(٢) الضرم: احتدم غضبا فى الطعام.

١٥ ـ وقال أعرابى قتل أخوه ابناً له: [البسيط].

أقــول للـنفس تَأسـاءً وتـعـزيةً ... إحـدى يدىَّ أصـابتنـى ولم تُرِدِ
كـلاهمـا خلَفٌ من فـقـد صاحـبـه ... هذا أخـى حين أدعـوه وذا ولدى

١٦ـ وقال الغزى: [البسيط]

من أغـفل الشِّعـرَ لم تُعـرَفْ مناقِبُه ... لا يُجْتَنَى ثمـرُ من غـيـر أغْصَان

١٧ـ وقال ابن شرف: [البسيط]

لا تسـألِ الناسَ والأيامَ مـن خـبـرِ ... همـا يَبُثَّانِكَ الأخـبـارَ تفـصـيـلا

١٨ـ ولكل حُسْنٍ آفـةٌ مـوجـودةٌ ... إنَّ الســراجَ على سـناه يُدَخَّنُ

[الكامل]

١٩ـ بالعلم والمال يبنى الناسُ ملكَهم ... لم يُبْنَ مُلْك على جـهل وإقلال

[البسيط]

*****

المبحث الثانى
فى مُجْمل مواضع الفصل

من حقِّ الجُمل: إذا ترادفت ووقع بعضُها إثْر بعض: أن تُربط بالواو لتكون على نَسق واحد، ولكن قد يَعرضُ لها ما يُوجب ترك الواو فيها، ويسمى هذا فصلاً، ويقع فى خمسة مواضع:

الموضع الأول: أن يكون بين الجملتين اتحادٌ وامتزاجٌ معنوىٌ، حتى كأنهما أُفْرِغا فى قالَب واحد، ويسمى ذلك (كمال الاتصال).

الموضع الثانى: أن يكون بين الجملتين تباُينٌ تامّ، بدون إيهام خلاف المراد، ويسمى ذلك (كمال الانقطاع).

الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويسمى ذلك (شبه كمال الاتصال).

الموضع الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثانية جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة حائلة بينهما.

فلو عُطفت الثالثةُ على الأولى المناسبة لها لتوهِّم أنها معطوفة على المتوسطة فيُترك العطف، ويسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع).

الموضع الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما فى الحكم، ويسمى ذلك (التوسُّط بين الكمالين).

*****

المبحث الثالث

فى تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحيانا: تتقاربُ الجملِ فى معناها تقارباً تـاماً، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطعُ الصِّلة بينهما.

إمَّا لاختـلافهـما فى الصُّورة، كـأن تكون إحدى الجـملتين إنشائيـة والأخرى خبرية.

وإمَّا لتباعد معناهمـا، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة، وفى هذه الأحوال يجب الفصل فى كل موضع من المواضع الخمسة الآتية وهى:

الموضوع الأول: (كمال الاتصـال) وهو: اتحاد الجملتين اتحاداً تامًا، وامـتزاجاً معنوياً بحيث تُنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها.

أـ بأن تكون الجـملة الثانية بمنـزلة البدل من الجملـة الأولى، نحو: ﴿ **وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ**﴾[1] [الشعراء: ١٣٢ ، ١٣٣].

ب ـ أو بأن تكون الجملة الثانية بياناً لإبهام فى الجملة الأولى.

كقوله سبحانه: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ [طه: ١٢٠] فجملة: قال: يا آدم بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

جـ ـ أو بأن تكون الجملة الـثانية مؤكـدة للجملة الأولى، بما يشـبه أن يكون توكيـداً لفظياً أو مـعنوياً، كقـوله عز وجل: ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطارق: ١٧].

وكقوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [البقـرة: ٧، ٨]، فالمانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشىء على نفسه ويُوجب الفصل.

الموضع الثانى: (كمال الانقطاع) وهو: اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً.

أـ بأن يختلفا خبراً وإنشاءً: لفظاً ومعنىً، أو مـعنى فقط، نحو: حضر الأمير

---

(1) بدل البعض. وأما بدل الكل نحو: بل قالوا مثل ما قال الأولون. قالوا: أئذا متنا « كالبدل المطابق. وبدل الاشتمال مثل قول الشاعر: [الطويل]

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا   وإلا فكن فى السر والجهر مسلما.

(لا تقيمن) بدل اشتمال من جملة(ارحل) والمناسبة بينهما بغير الجزئية والكلية.

حفظه الله، ونحو تكلم إنى مصغ إليك وكقول الشاعر: [البسيط].

وقال رائدهم أُرسوا نُزَاولُها　　　فحتْفُ كلِّ امرئ يجرى بمقدار[1]

ب - أو: بألا تكون بين الجملتين مناسبة فى المعنى ولا ارتباط، بل كلٌّ منهما مُستقلٌّ بنفسه كقولك: علىٌّ كاتبٌ، الحمام طائر، فإنه لا مناسبة بين كتابة علىٍّ وطيران الحمام.

وكقوله:

وإنَّما المرءُ بأصغَرَيْه　　　كلُّ امرئ رهْنٌ بما لديه

[الرجز]

فالمانع من العطف فى هذا المَوضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصلاً وهو التّبايُن بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل وترك العطف.

لأن العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين جملتين فى شِدّة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث: (شبه كمال الاتصال): وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال كقوله سبحانه:

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[2] [يوسف: ٥٣]، ونحو قول الشاعر:

زعمَ العواذلُ أنّنى فى غَمرة　　　صَدقوا، ولكنَّ غَمرتى لا تَنْجَلى

[الكامل]

كأنّهُ سُئل: أصدقوا فى زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا ونحو:

السَّيف أصْدق أنباءً من الكتب　　　فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

[البسيط]

---

(١) أوقفوا السفينة كى ندخل ولا تخافوا الموت فإن لكل أجل كتاباً؛ فمنع العطف أمر ذاتى لا يمكن دفعه وهو كون احداهما جملة خبرية والأخرى إنشائية ولا جامع بينهما.

(٢)- الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى: لم تبرىء؟» فقال: «إن النفس» فهذه الرابطة قوية مانعة من العطف.

فكأنه استفهم. وقال: لم كان السيف أصدق؟؟ فأجاب بقوله فى حده: إلخ، فالمانع من العطف فى هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ولهذا وجب أيضاً الفصل.

الموضع الرابع: (شِبه كمال الانقطاع) وهو: أن تُسْبَق جملة يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن فى عطفها على الثانية فساد فى المعنى، فيُترك العطْف بالمرة: دفعاً لتوهُّم أنه معطوف على الثانية نحو:

وتَظُنُّ سلمى أننى أبغى بها بدلاً أراها فى الضلال تهيم

[الكامل]

فجملة أراها يصح عطفها على جملة تظن لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة أبغى بها فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود ولهذا امتنع العطف بتاتاً ووجب أيضاً الفصل.

والمانع من العطف فى هذا الموضوع أمر خارجى احتمالى يمكن دفعه بمعونة قرينة، ومن هذا. ومما سبق، يُفهم الفرق بين كل من:

(كمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع).

الموضع الخامس: التوسط بين الكمالين مع قيام المانع وهو: كون الجملتين متناسبتين، وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع، وهو: عدم التشريك فى الحكم، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

فجملة (يستهزئ بهم) لا يصح عطفها على جملة (إنا معكم) لاقتضائه أنه من مقول المنافقين: والحال أنه من مقوله تعالى دعاء عليهم ولا على جملة (قالوا) لئلا يُتوهم مشاركته له فى التقييد بالظرف، وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خُلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضاً الفصل.

*****

تنبيهان

الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو جاء فؤاد والشمس طالعة[1].

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

١ـ إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً ـ وكقول الشاعر:

كُنْ للخليل نصيراً جارَ أو عدلا   ولا تشحَّ عليه جادَ أوْ بخلا

[البسيط]

٢ـ إذا كان فعلها مضارعاً مثبتاً أو منفيًا بما، أو لا نحو: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] ونحو: ﴿وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤] ونحو:

عَهِدْتُكَ ما تصبو وفيكَ شبيبةٌ   فما لك بعد الشيب صَبا متيَّما

[الطويل]

٣ـ إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

الثاني: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولابد مع اتفاقهما من جهة بها يتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع: إما عقلي أو: وهمي أو: خيالي.

تمرين آخر

عين أسباب الوصل والفصل في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى:

١ـ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا

(١) فليرجع في تلك المسائل المذكورة في النحو: التي تمتنع فيها الواو.

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢ـ وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

٣ـ وقال: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

٤ـ وقال جل شأنه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ١ ـ ٤].

٥ـ وقال أبو العتاهية: [الكامل]:

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً ... فابْذُلْه للمتكرم المفضال

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ... عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

٦ـ وقال: [المنسرح]

من عرف الناسَ فى تصرفهم ... لم يَتَّبع من صاحب زللا

إنْ أنت كافأت من أساءَ فقد ... سرت إلى مثل سوء ما فعلا

٧ـ قال أبو تمام: [البسيط]

أولى البرية حقًّا أن تُراعيهُ ... عند السرور الذى آساك فى الحزن

إن الكرام إذا أيْسَروا ذكروا ... من كان يألَفُهُمْ فى المنزل الخشن

٨ـ وقال المتنبى: [الخفيف]

ذَلَّ من يَغبط الذليل بعيش ... رُبَّ عيش أخفّ منه الحِمَامُ

من يهُنْ يسهل الهوانُ عليه ... ما لجُرح بميت إيلام

٩- وقال: [البسيط]

أفاضِلُ الناس أغْراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من الفطَنِ

١٠- وقال أيضاً: [الطويل]

إذا نحن شبهناك بالبدر طالعاً ... بخَسْناك حقًّا أنت أبهى وأجملُ

١١- ،وقال البشار: [البسيط]

الشيب كرهٌ وكرهٌ أن يفارقني ... اعجَب لشيء على البغضاء مودود

١٢ - وقال أبو نواس:

عليك باليأس من الناسِ ... إن غِنى نفسك فى الْيَاسِ

وقال المعرى: [البسيط]

إنَّ الشبيبة نارٌ إنْ أردت بها ... أمراً فبادرْ فإنَّ الدهر مُطفيها

وقال الطغرائى: [الكامل]

جامِلْ عدوك ما استطعتَ فإنه ... بالرِّفق يُطمع فى صلاح الفاسد

واحذر حسودك ما استطعت فإنه ... إن نِمْتَ عنه فليس عنك براقد

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ماهو الوصل؟ ماهو الفصل؟ كم موضعاً للوصل؟ كم موضعاً للفصل؟ ماهو الجامع العقلى؟ ماهو الجامع الوهمى؟ ماهو الجامع الخيالى؟ متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟ فى كم موضع يجب فصل الجملة الحالية؟.

تطبيق عام على الوصل والفصل

جرّبتُ دهرى وأهليه فما تركتْ ... لى التجارب فى ودّ امرئ غرضًا

[البسيط]

فصلت الثانية، لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦].

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال، فإنها: جواب سؤال ناشئ مما قبلها.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ [التوبة: ٨٢]: عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما فى الإنشاء، مع المناسبة التامة بين المفردات، فإن المسند إليه فيهما: متحد، والمسند وقيدهما: متقابلان.

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]: عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً. لفظاً ومعنى. مع المناسبة التامة بين مفرداتهما، فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان وقيدهما: الأول متحد. والثانى: متقابل.

(اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء): لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع. فإن الأولى: إنشائية لفظاً ومعنى، والثانية: عكسها.

(اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده): لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال، فإنها مؤكدة لها.

(أنت حميد الخصال تصنع المعروف وتغيث الملهوف): فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال فإنها بيان لها. ووصلت الثالثة للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

*****

تمرين

بين سر الفصل والوصل فيما يلى:

١ـ أُخطُ مع الدَّهرِ إذا ما خطا   واجْرِ مع الدَّهر كما يجرى

[السريع]

٢ـ حكم المنية فى البرية جارى   ماهذه الدُّنيا بدار قَرَار

[الكامل]

٣ـ لا تدعُه إن كنت تُنْصف نائباً   هو فى الحقيقة نائمٌ لا نائب

[الكامل]

٤ـ قال لى كيف أنت قلتُ عليلٌ   سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

[الخفيف]

٥ـ قالت بُليتَ فما نَراك كعهدنَا   لَيْتَ العُهُود تجدَّدَتْ بعد البِلى

[الكامل]

٦ـ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨].

وإنما المرء بأصغريه   كلُّ امرئ رهنٌ بما لديه

لاتَطْلُبَنَّ بِآلة لَك حاجةً   قلمُ البليغ بغير حَظٍّ مِغْزَلُ

[الكامل]

٧ـ يَرَى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً   إنّ الكريمَ يرى فى ماله سبلا

[البسيط]

٨ـ نفسى له نفسى الفداءُ لنفسه   لكنّ بعضَ المالكين عفيفُ

[الكامل]

٩ـ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

١٠ـ ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٢ـ٤].

١١ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ـ٥].

١٢ـ ﴿ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾ [الذاريات: ٢٥].

١٣ـ يهوَى الثناء مبرِّز ومقصِّرَ   حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسان   [الكامل]

١٤ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ [البقرة: ٨، ٩].

١٥ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧].

١٦ـ ألاَ مَنْ يَشْتَرِى سهراً بنوم؟   سعيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْن
[الوافر]

١٧ـ فآبوا بالرماح مكسَّرات   وأُبْنَا بالسيوفِ قد انحنينا
[الوافر]

١٨ـ فما الحداثة عن حلم بمانعة   قَدْ يُوجَد الحلمُ فى الشبان والشّيب
[البسيط]

١٩ـ يقولون إنى أَحْمِل الضَّيم عندهم   أعوذ بربى أن يضام نظيرى
[الطويل]

٢٠- ﴿إن الذينَ كفروا سَواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهمْ لا يؤمنون﴾

٢١- فيا موتُ زر إنَّ الحياة ذميمةٌ ... ويا نَفْسُ جِدِّى إنّ دهرَك هازلُ

[الطويل]

٢٢- ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩].

٢٣- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

٢٤- ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ [الرعد: ٢].

٢٥- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

*****

الإجابـــة

(١) وصل بين ال الجملتين لا تفاقهما إنشاء (٢) فصل الشطر الثانى عن الأول: لأنه توكيد معنوى له.
(٣) فصل الشطر الثانى عن الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء كمال اتصال.
(٤) ونفسى الفداء فصل الثانى جواب سؤال فيه كمال اتصال
(٥) الشطر الأول خبر والثانى إنشاء - كمال اتصال.
(٦) بين الجملتين كمال الإتصال فالثانية بدل اشتمال.
(٧) بين الشطر الثانى والأول شبه كمال الاتصال فالثانية جواب عن سؤال مقدر.
(٨) بين: نفسى له ونفسى الفداء. كمال الاتصال فالثانية توكيد.
(٩) إن هذا إلا ملك - توكيد معنوى لقوله :ما هذا بشرا.
(١٠) بين الجملتين كمال الاتصال فالثانية بدل بعض .
(١١) بين (وما ينطق عن الهوى) و(إن هو إلا وحى يوحى) كمال الاتصال فالثانية توكيد معنوى.
(١٢) بين: قالوا وقال شبه كمال الاتصال. فالثانية جواب عن سؤال نشأ من سؤال مقدر: فماذا قال لهم؟
(١٣) فصل بين الشطرين فبينهما كمال الاتصال فالثانى مؤكد للأول.
(١٤) فصل جملة (يخادعون) عما قبلها فبينهما كمال الاتصال فهو توكيد معنوى .
(١٥) فصلت جملتا (كأن لم يسمعها. وكأن فى أذنية وقرا) بينهما كمال الاتصال لأنهما كالتوكيد.
(١٦) فصل الشطر الثانى عن الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء فبينهما: كمال الانقطاع.
(١٧) بين: آبوا وأبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما فى الخبرية مع وجود المناسبة.
(١٨) بين الشطرين شبه كمال الاتصال. الثانى: جواب سؤال مقدر.
(١٩) هذا البيت عدم العطف مثله مثل: « وتظن سلمى الخ.
(٢٠) لم تعطف مع ما بينهما من مناسبة التضاد فى المعنى لأنها مبينة لحال الكفار وبيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته وليس بين الحالين مناسبة تقتضى الوصل.
(٢١) لم يعطف: إن الحياة ذميمة لأنه جواب سؤال مقدر.
(٢٢) لم يعطف: يذبحون على (يسومون) لكونه بيانا له.
(٢٣) الجملة الثانية بدل اشتمال.
(٢٤) الجملة الثانية بدل بعض.
(٢٥) جملة: يلق أثاما) بدل كل .



الباب التاسع

فى الإيجاز، والإطناب، والمساواة

كل ما يجول فى الصدر من المعانى، ويخطر ببالك معنى منها.

لا يعدو التعبير عنه طريقاً من طرق ثلاث:

أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «المساواة».

وهى الأصل الذى يكون أكثر الكلام على صورته، والدستور الذى يقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو« الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهو حشو أو تطويل.

ثالثاً: إذا نقص التعبير عن قدر المعنى الكثير، فذلك هو «**الإيجاز**»[1] .

فكل ما يخطر ببال المتكلم من المعانى فله فى التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث.

فتارةً يُوجزُ. وتارةً يُسْهِبُ، وتارةً يأتى بالعبارةَ بَيْنَ بيْنَ.

ولا يُعَدُّ الكَلاَمُ فى صورة من هذه الصور بليغاً. إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب، ويدعو إليه مواطن الخطاب.

فإذا كان المقام للإطناب مثلاً، وعدلت عنه إلى الإيجاز، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً، وفى هذا الباب ثلاثة مباحث.

*****

---

(1) قال الإمام على: ما رأيت بليغا قط إلا وله فى القول إيجاز، وفى المعانى إطالة. وقالت بنت الحطيئة لأبيها:

ما بال قصارك أكثر من طوالك؟. قال: لأنها بالآذان أو لج، وبالأفواه أعلق. وقيل لشاعر: لم لا تطيل شعْرك؟

فقَال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

المبحث الأول
فى الإيجاز وأقسامه

الإيجاز: هو وضع المعانى الكثيرة فى ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة، والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وكقوله تعالى: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] وكقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» فإذا لَمْ تَفِ العبارةُ بالغرض سُمِّى: إخلالاً وحذفاً رديئاً كقول اليشكرى:

والعيشُ خيرٌ فى ظِلا ... ل النُّوك مِمّن عاش كداً

[مجزوء الكامل]

مرادهُ: أن العيشَ الناعم الرَّغد فى حال الحمق والجهل، خيرٌ من العيش الشاق فى حال العقل، لكن كلامه لا يعد صحيحاً مقبولاً.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

(فإيجاز القصر) ويسمى: إيجاز البلاغة يكون بتضمين المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فإن معناه كثير، ولفظهُ يسير، إذ المراد: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ: امتنع عن القتل، وفى ذلك حياته وحياة غيره؛ لأن (القتل أنفى للقتل)[1]، وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية ويقبلُ كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران.

فالقصاص: هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هى «إيجاز القصر».

---

(١) قول مأثور عن العرب ولكنه ينحط عن الآية الشريفة فتعلو عنه ١ـ أنها كلمتان والأثر أربع، ٢ـ وأنه لا تكرار فيها ـ وفيه تكرار. ٣ـ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل وإنما يكون إذا كان على جهة القصاص. ٤ـ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس فالآية بلغت حد الإعجاز.

وقال أكثم بن صيفى خطيب العرب: «**البلاغة والإيجاز**».

(وإيجاز الحذف): يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية، أو معنوية.

وذلك المحذوف إما أن يكون:

١ - حرفاً: كقوله تعالى: ﴿**ولم أكُ بغياً**﴾ أصله: ولم أكن.

٢- أو اسماً مضافاً نحو: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج: ٧٨] أى: فى سبيل الله.

٣ - أو اسماً مضافاً إليه نحو: ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٢] أى: بعشر ليال.

٤- أو اسماً موصوفاً كقوله تعالى: ﴿ **وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ [الفرقان: ٧١] أى: عملا صالحاً.

٥ - أو اسماً صفة نحو: ﴿**فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ**﴾ أى: مضافاً إلى رجسهم.

٦ - أو شرطاً نحو: ﴿ **فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١] أىّ: فإنْ تتبعونى.

٧ - أو جواب شرط نحو: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾ [الأنعام: ٢٧].

أى: لرأيت أمراً فظيعاً.

٨ - أو مسنداً نحو: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥] أى: خلقهن الله.

٩ - أو مسنداً إليه كما فى قول حاتم: [الطويل].

أماوىُّ ما يغنى الثَّراءُ عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ

أى : إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠ - أو متعلّقاً نحو: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أى: عمّا يفعلون.

١١ - أو جملة نحو: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّين**﴾ [البقرة: ٢١٣] أى : فاختلفوا: فبعث.

١٢- أو جُملا كقوله تعالى: ﴿**فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيق**﴾ [يوسف: ٤٥، ٤٦] أى: فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف أيها الصديق.

واعلم أنَّ دواعى الإيجاز كثيرة منها: الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضَّجر والسَّآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللَّفظ اليسير - إلخ.

ويستحسن (الإيجاز) فى الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد، والتَّوبيخ، ورسائل طلب الخراج، وجباية الأموال، ورسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الوُلاة، والأوامر والنَّواهى الملكية، والشكر على النِّعم.

ومرجعك فى إدراك أسرار البلاغة إلى الذّوق الأدبى، والإحساس الروحى.

*****

المبحث الثانى

فى الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو: تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده نحو: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، أى كبرتُ.

فإذا لم تكن فى الزِّيادة فائدة يُسمَّى (تـطويلاً) إن كانت الزّيادة فى الكلام غير مُتعَينة.

ويُسَمى «حشواً» إن كانت الزِّيادة فى الكلام مُتَعينة لا يفسد بها المعنى.

فالتطويل كقول: عدى العبادى: فى جذيمة الأبَرش: [الوافر].

وقدَّدت الأديمَ لراهشيهْ   وألفى قولها كذباً ومينا[1]

فالمين والكذب بمعـنى واحد، ولم يتعين الزائد منهمـا؛ لأنَّ العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معية، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

والحشو: كقول: زُهير بن أبى سلمى[الطويل]

وأعلمُ عِلْمَ اليوم والأمس قبله   ولكنَّنى عن علم ما فى غد عمى

وكل مـن الحشو والتـطويل معـيب فى البـيان، وكلاهمـا بمعزل عن مـراتب البلاغة.

واعلم أن دواعى الإطناب كثيرة، منها تثبيت المعنى، وتوضيح المراد والتوكيد، ودفع الإيهام، وإثارة الحمية وغير ذلك.

وأنواع الإطناب كثيرة:

١ـ منها: ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨] وفائدته: التنبيه عـلى مزية، وفضل فى الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته، جزء آخر، مغاير لما قبله.

---

(١) قدت: قطعت. والضمير عائد على: الزباء وقد ورثـت الملك عن أبيها. الأديم: الجلد. لراهشيه: عرقان فى باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع، والضمير عائد على: جذيمة الأبرش ووجد وعدها بالزواج منه كذبًا.

ولهذا خص الصلاة الوسطى(وهى العصر) بالذكر لزيادة فضلها.

٢- ومنها: ذكر العام بعد الخاص. كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وفائدته: شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً فى عنوان عام، بعد ذكره أولاً فى عنوان خاص.

٣- ومنها: الإيضاح بعد الإبهام، ، لتقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإيهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠، ١١] وكقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

فقوله: أَنَّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأمر المبهم، وفائدته: توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبين، وتمكينه فى النفس فأبهَمَ فى كلمة الأمر ثم وضحه بعد ذلك تهويلاً لأمر العذاب.

٤- ومنها: التوشيع: وهو أن يؤتى فى آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليرى المعنى فى صورتين، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

٥- ومنها: التكرير: وهو ذكر الشىء مرتين أو أكثر لأغراض:

الأول: التأكيد وتقرير المعنى فى النفس كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] وكقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

الثانى: طول الفصل لئلا يجىء مبتوراً ليس له طلاوة.

كقولـــه تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فكرر رأيت لطول الفصل ومن هذا قول الشاعر: [الطويل]

وإن امرأً دامتْ مواثيقُ عهده   على مثل هذا إنه لكريم[١]

الثالث: قصد الاستيعاب: نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

الرابع: زيادة الترغيب فى العفو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

الخامس: التَّرغيب فى قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٨ ، ٣٩].

ففى تكرير يا قوم تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا فى إخلاصه لهم فى نصحه.

السادس: التَّنويه بشأن المخاطب نحو: « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم».

السابع: التَّرديد: وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولاً نحو:

السَّخيُّ: قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة.

والبخيلُ: بعيدٌ من الله ،بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنة.

الثامن: التَّلذُّذ بذكره، نحو قول: مَروان بن أبى حَفصة. [الطويل].

سقى الله نجداً والسّلامَ على نجد   ويا حَبَّذا على القُرب والبُعْد

التاسع: الإرشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

٦ـ ومنها: الاعتراض لغرض يقصده المتكلم وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو

(١) الشاهد فى تكرير «إن فى أول البيت وكررها فى آخره».

بين كلامين مُتَّصلين فى المعنى، بجملة معترضة، أو أكثر، لا محلَّ لها من الإعراب.

وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ غير دفع الإيهام.

أ ـ كالدعاء: نحو: إنِّى «حفظك الله» مريض.

وكقول عوف بن محلم الشيبانى: [السريع].

إن الثمانين «وبُلِّغتَها» قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

ب ـ والتنبيه على فضيلة العلم كقول الآخر:

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتى كل ما قُدرا

[الكامل]

جـ ـ والتنزيه: كقوله ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[النحل: ٥٧]

د ـ وزيادة التأكيد: كقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

هـ ـ والاستعطاف كقول الشاعر: [الكامل]

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيه جهنما

و ـ والتهويل: نحو: ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾[الواقعة: ٧٦].

٧ـ ومنها الإيغال: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة، يتم المعنى بدونها ـ كالمبالغة: فى قول الخنساء: [البسيط].

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فقولها: كأنه علم واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها فى رأسه نار لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[البقرة: ٢١٢].

٨ـ ومنها التذييل: وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ونحو قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

والتذييل: قسمان قسم يستقل بمعناه، لجريانه مجرى المثل.

وقسم لا يستقل بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل.

فالأول: الجارى مجرى الأمثال، لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله كقوله طرفة: [السريع]

كُلُّ خَليلٍ قد كنتُ خاللتُه   لا تَرَكَ اللهُ له واضحة

كلُّكم أروغُ من ثعلبٍ   ما أشبهَ الليلةَ بالبَارحة

والثانى: غير الجارى مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى كقول النابغة: [البسيط].

لم يُبْق جودُك لى شيئاً أؤمله   تركتنى أصحبُ الدنيا بلا أمل

فالشطر الثانى: مؤكد للأول، وليس مستقلاً عنه، فلم يجر مجرى المثل.

٩- ومنها الاحتراس: ويقال له: التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم.

فالاحتراس: يوجد حينما يأتى المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك: ويأتى بما يخلصه.

سواء أوقع الاحتراس فى وسط الكلام.

كقول طرفة بن العبد: [الكامل]

فَسقَى دِيَارَكَ غيرَ مُفْسِدِها   صَوْبُ الرَّبيع وديمةٌ تَهْمِى

فقوله: غير مُفْسِدها: للاحتراس.

أو وقع الاحتراس فى آخره، نحو: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨] أى مع حب الطعام: واشتهائهم له، وذلك أبلغ فى الكرم، فلفظ على (حُبّه) فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين فى المعنى.

وكقول أعرابية لرجل: (أَذَلّ اللهُ كُلَّ عَدُوٍ لَكَ إلا نَفْسَك).

١٠- ومنها التتميم: وهو زيادة فضلة، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار ومجرور، توجد فى المعنى حُسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً.

كقول ابن المعتز يصف فرساً: [الطويل]

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرْجُل

إذ لو حذف ظالمين لكانَ الكلام مبتذلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهم أنها بليدة تستحق الضرب.

ويستحسن الإطناب فى الصلح بين العشائر، والمدح، والثناء والذم والهجاء، والوعظ، والإرشاد والخطابة: فى أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكتب الولاة إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول فى الشىء المستبعد: رأيته بعينى وسمعته بأذنى، وذقته بفمى: تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره.

وكقوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦] السقف لا يخر طبعاً إلا من فوق ولكنه دل بقولهم (من فوقهم) على الإحاطة والشمول.

واعلم: أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع والإشباع لا يقع إلا بالإقناع وأفضل الكلام أبينه.

وأبينه أشده إحاطة بالمعانى. ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة، إلا بالاستقصاء والإطناب.

والمختار: أن الحاجة إلى كُلٍّ من الإطناب ، والإيجاز، مَاسَّةٌ: ولِكُلٍّ موضعٌ لايسدّ أحدهما مكان الآخر فيه.

وللذوق السليم القول الفصل فى موطن كل منهما.

المبحث الثالث

فى المساواة

المساواة: هى تأدية المعنى المراد: بعبارة مساوية له، بأن تكون الألفاظ على قدر المعانى، لا يزيد بعضها على بعض.

ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هى الأصل المقيس عليه، والدستور الذى يعتمد عليه.

وكقرله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِند﴾ [البقرة: ١١٠].

وكقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِين﴾ [الطور: ٢١].

وكقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: ٤٤].

وكقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى**».

فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه.

وكقول طرفة بن العبد: [الطويل]

سَتُبْدِى لَكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّد

هذه أمثلة للمساواة، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه، ولو حذف منه شىء لأخل بمعناه.

*****

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة

تطلب أجوبتها

ماهى المساواة؟ ماهو الإيجاز؟ ماهو الإطناب؟ كم قسماً للإيجاز؟ ماهو إيجاز القصر؟ ماهو إيجاز الحذف؟ بأى شىء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسماً للإطناب؟ ماهو ذكر الخاص بعد العام؟ ماهو ذكر العام بعد الخاص؟ ماهو الإيضاح بعد

الإبهام؟ مــاهو التكرار؟ ماهو الاعــتراض؟ مــاهو الإيغال؟ مــاهو التوشــيع؟ ماهو التذييل؟ ماهو التكميل؟ مــا هو الاحتراس؟ ماهو التتميم؟ مــاهو الاحتراس؟ ماهو الفرق بين التطويل والحــشو؟ ماهى دواعى الإيجــاز؟ ما هى دواعى الإطناب؟ كم قسماً للتذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

*****

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

درست الصرف: فيه مساواة؛ لأن اللفظ على قدر المعنى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] فيــه إطناب بالتتميم فإن على حــبه فضلة لزيادة التــحــسين فى المعنى ﴿ وَلا يَحِيــقُ الْمَكْرُ الــسَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] فــيه مساواة.

المرء بأدبه: فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معانى كثيرة.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] فيه إيجاز حذف وهو «لا».

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانــفَلَقَ﴾: [الشعراء: ٦٣] فــيه إيجاز حذف جملة.

أى فضرب فانفلق.

ألا كل شىء ماخلا الله باطل: فيه إطناب بالاحتراس.

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

[ا لطويل]

فيه الإطناب بالتذييل. والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

جــوزى المذنب بذنبه وهل يجــازى إلا المذنب: فــيه إطناب بالتــذييل، وليس جارياً مجرى المثل.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَــاتِ وَهُــوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤]: فيه إطناب بالاحتراس.

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة: فيه إطناب بالترديد.

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾[البقرة: ١٨٩] فيه إيجاز حذف مضاف، أى ذا البر.

واهتم للسفر القريب فإنه   أنأى من السفر البعيد وأشنع

[الكامل]

فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيدة للترتيب فى الاهتمام.

﴿خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] فيه إيجاز حذف أى خلطوا عملاً صالحًا بسيئ.

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] فيه إيجاز بحذف الياء وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سار وإنما يسرى من فيه، نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جرياً على عادة العرب فى مثل ذلك: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] فيه إيجاز بحذف جملة. أى فعل ذلك.

تمرين

بين الإيجار، والإطناب، والمساواة: وأقسام كل منها فيما يأتى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١) [البقرة: ١٦٤]

وقال تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢) [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٣) [الكهف: ٧٩].

أنا ابن(٤) جلا وطلاّع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

[الوافر].

(فالله هو الولى)(٥) ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: ٤].

---

(١) إطناب بكثير الجمل.   (٢) إيجاز القصر.

(٣ ـ٤) ايجاز بالحذف.   (٥) حذف الشرط.

فقلت يمين الله أبـرح[1] قاعـــداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
[الطويل]

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم[2]

وقال تعالى: ﴿**وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[3] [الرعد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**[4] **فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً** ﴾ [الإسراء: ١٩]. وقال الشاعر: [البسيط].

لله لذة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لى وغير الله لم يدم[5]

وقال تعالى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**﴾ [6] [النمل: ١٢].

وقال تعالى: ﴿**ا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ**[7] **بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** (٧٥) **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ**[8] **عَظِيمٌ**﴾[الواقعة: ٧٥].

حليمٌ إذا مـا الحلـم زينٌ لأهـله مع الحلم فى عين العـدوّ مـهـيب[9]
[الطويل]

أتى الزمـان بنوه فى شـبـيـبـتـه فـسـرَّهم وأتـيناهُ علـى هرم[10]
[البسيط]

وألفيـتـه بحـراً كـثـيـراً فـضـوله جـواداً متى يذكـر له الخيـر يزدد[11]
[الطويل]

فـإن كنتَ لا تسـتطـيعُ دَفْعَ منِيّتى فَذرْنِى أُبَادِرْهَا بِمَا مـلـكـت يـدى
[الطويل]

مـا أحـسنَ الأيـامَ إلا أنّهـا ياصَاحِبَيَّ إذَا مـضـت لم تَرْجِع
[الكامل]

---

(١) لا أبرح.
(٢) إيغال للمبالغة
(٣) تذييل.
(٤) احتراس لتوهم الإطلاق.
(٥) تذييل جرى مجرى الأمثال.
(٦) احتراس: لتوهم بياض البرص
(٧، ٨) ـ اعتراض
(٩) احتراس.
(١٠) ايجاز على هرم «فساءنا»
(١١) إطناب.

ولستَ بمستبق أخا لا تلمُّه — علـى شَعثٍ أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

[الطويل]

تَأَمَّلْ مِنْ خِلال السّجْفِ وانظرْ — بِعَيْنَك ما شَرِبْتُ ومَنْ سَقَانِى

تَجِدْ شَمْسَ الضُّحى تَدْنُو بشمسٍ — إلىَّ من الرَّحيق الخُسْرَوانِى

[الوافر]

*****

خاتمة

علمت أن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ورأيت فى ما تقدم من الأحكام، أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر.

وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم.

وقد تقدم كثير من ذلك العدول المسمى بإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فى الأبواب السابقة.

وبقى من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة.

الأول:الالتفات: وهو الانتقال من كل من التكلم أو الخطاب، أو الغيبة إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل فى مواقع الالتفات؛ تَفنناً فى الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملاً على زيادة الإصغاء، فإن لكل جديد لذة، ولبعض مواقعه لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم.

واعلم أن صور العدول إلى الالتفات ستة.

١- عدول من التكلُّم إلى الخطاب: كقوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: ٢٢] والقياس وإليه أرجع.

٢- عدول من التكلُّم إلي الغيبة: كقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٥٣].

٣- عدول من الخطاب إلى التَّكلم: كقوله تعالى: ﴿**واستَغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربِّى رحيم ودُود**﴾.

٤- عدول من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ**

رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

٥- عدول من الغيبة إلى التكلم: كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨] والقياس وأنزل.

٦- عدول من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

الثاني: تجاهل العارف، وهو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يجعلَ العارفُ بالشيء نفسه جاهلاً به، وذلك لأغراض.

١- كالتعجب: نحو قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاتُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

٢- والمبالغة فى المدح: نحو: وجهك بدر أم شمس.

٣- والمبالغة فى الذم: كقول الشاعر: [الوافر].

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى ... أقومٌ آلُ حصن أم نساء

٤- والتوبيخ وشدة الجزع: كقول الشاعر: [الطويل].

أيا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً ... كأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابن طَرِيفِ

٥- وشدة الوله: كقول الشاعر: [البسيط].

باللهِ ياظبياتِ القاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلاَىَ مِنْكُنَّ أمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ

٦- والفخر: كقوله: [الخفيف]

أيُّنا تعرف المواقف منه ... وثَباتٍ على العِدَا وثَباتا

الثالث: القلب: وهوجعل كل من الجزأين فى الكلام مكان صاحبه، لغرض المبالغة، نحو: قول رؤبة بن العجاج: [الرجز].

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ ... كَأَنَّ لونَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أى: كأن لو سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة، حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم فى أصبعى: والقياس: أدخلت أصبعى فى الخاتم وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع: التعبير عن المضارع بلفظ الماضى، وعكسه.

فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضى.

أـ التنبيه على تحقق وقوعه: نحو: ﴿**أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ**﴾ [النحل: ١]، أى يأتى.

ب ـ أو قرب الوقوع: نحو: قد قامت الصلاة، أى قرب القيام لها.

جـ ـ والتفاؤل: نحو: إن شفاك الله تذهب معى.

د ـ والتعريض: نحو قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥].

فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبطت أعمالهم.

ومن أغراض التعبير عن الماضى بلفظ المضارع.

أ ـ حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة فى الخيال.

كقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا** ﴾[الروم: ٤٨] بدل فأثارت.

ب ـ وإفادة الاستمرار فيما مضى: كقوله تعالى: ﴿**لويُطيعكمْ فى كثيرٍ منَ الأمرِ لعنتمْ**﴾ [الحجرات: ٤٧]، أى: لو استمر على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل.

نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾ [الذاريات: ٦].

أو بلفظ اسم المفعول: نحو قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ** ﴾ [هود: ١٠٣].

وذلك لأن الوصفين المذكورين حقيقة فى الحال، مجاز فيما سواه.

السادس:يوضع المضمر موضع المظهر، خلافاً لمقتضى الظاهر، ليتمكن ما بعده في ذهن السامع، نحو: هو الله عادل.

ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين، نحو: خير الناس من نفع الناس؛ أو لإلقاء المهابة فى نفس السامع، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا أى: أنا آمر.

أو للاستعطاف: نحو : أيأذن لى مولاى أن أتكلم، أى أتأذن.

السابع: التغليب: وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر فى إطلاق لفظه عليه وذلك.

١ـ كتغليب المذكر على المؤنث، فى قوله تعالى: ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ [التحريم: ١٢] وقياسه القانتات.

ونحو: الأبوين للأب والأم والقمرين للشمس والقمر.

٢ـ وكتغلب الأخفّ على غيره، نحو: الحسنين، فى الحسن والحسين.

٣ـ وكتغلب الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨].

أدخل (شُعَيب) فى العود إلى ملّتهم، مع أنه لم يكن فيها قطّ، ثم خرج منها وعاد، تغليبا للأكثر.

ط ـ وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تم علم المعانى، ويليه علم البَيان، والله المستعان أولاً وآخراً.

*****

علم البيان

١ـ البيان: لُغة الكشف[١]، والإيضاح، والظُّهور.

واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ يُعرف[٢] بها إيرادُ المعنى الواحـد، بطرُق يختلف بعضها عن بعض، فى وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى[٣].

فالمعنى الواحد: يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة، فى وضوح الدلالة عليه.

فإنك: تقرأ فى بيان فضل العلم مثلاً قول الشاعر: [الكامل].

١ـ العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العلَى　　　والجهلُ يقْعدُ بالفتى المنسوبِ

ثم تقرأ فى المعنى نفسه، كلام الإمام على كرم الله وجهه:

٢ـ العلمُ نهرٌ، والحكمةُ بحرٌ.

٣ـ والعلماءُ حولَ النَّهر يطوفون.

٤ـ والحكماءُ وسطَ البحر يغوصون.

٥ـ والعارفون فى سفن النَّجاة يسيرون.

فتجد: أن بعض هذه التراكـيب أوضحُ من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسِّياً، يقرِّبُ إلى فهمك ما يُريد الكلام عنه من فضل العلم.

فهو: يشبِّهه بنهر، ويشبِّه الحكمة ببحر.

ويصور لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر هم العلماء.

ويصور لك أشخاصاً طائفين وسط ذلك البحر هم الحكماء.

ويصوِّر لك أشخـاصاً راكبين سفناً مـاخرة فى ذلك البحر للنجـاة من مخاطر هذا العالم هم أرباب المعرفة.

ولاشك أن هذا المشهـد البديع: يستوقف نظرك، ويسـتثير إعجـابك من شدَّة الرَّوعة والجمال المُستمدَّة من التشبيه، بفضل البيان الذى هو سر البلاغة.

---

(١) اسم لكل شيء كشف المعنى وينقلها إلى السامع فالبيان: هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير.

(٢) يعرف من حَصَّل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بصـور وتراكيب مختلفة فى درجة الوضوح فالمتمكن من فن البيان وكـلام العرب نثره وشعره عندما يريد التعبير عن معـنى جال بضميره استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الكلام ما هو أليق بغرضه، وأقرب لقصده.

(٣) ولابد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما.

ب ـ وموضوع هـذا العلم: الألفاظ العربية، من حـيث: التشبيـه، والمجاز، والكناية.

جـ ـ وواضعـه أبو عبـيدة الذى دَوّنَ مـسائل هذا العلـم فى كتابـه المُسمَّى : (مجاز القرآن) وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر فأحكم أساسه، وشـيد بناءه، ورتب قواعده، وتبـعه الجاحظ، وابن المعـتزّ، وقُدَامة وأبو هلال العسكرى.

د ـ وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه ومعرفة ما فيه من تفاوتٍ فى فنون الفـصاحة، وتبايُن فى درجـات البلاغة التى يصل بها إلى مـرتبة إعجـاز القرآن الكريم الذى حـار الجنُّ والإنسُ فى مُحاكـاته وعجـزوا عن الإتيان بمثله.

وفى هذا الفن أبواب ومباحث.

*****



الباب الأول

فى التشبيه

تمهيد

للتَّشبيه: رَوعة وجمال، وموقعٌ حسنٌ فى البلاغة، وذلك لإخراجه الخفىّ إلى الجلىّ، وإدنائه البعيد من القريب، يَزيد المعانى رفعة ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلا؛ فهو فن واسع النِّطاق، فسيح الخطو، مُمتد الحواشى، مُتَشَعِّب الأطراف، مُتَوَعِّر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرَى، غزير الجَدوَى.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح، أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شىء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصِّفة، أو المبالغة فى إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أوَّلَ طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيه: لُغة التَّمثيل، يقال: هذا شِبْه هذا ومثيله.

والتشبيه: اصطلاحا: عقد مُماثلة بين أمرين، أو أكثر، قُصِد اشتراكهما فى صفة، أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم.

وأركان التشبيه أربعة:

١- **المُشبه:** هو الأمر الذى يُراد إلحاقه بغيره.

٢- **المشبه به:** هو الأمر الذى يلحق به المشبه.

هذان الركنان يسميان طرفى التشبيه

٣- **وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون فى المشبه به، أقوى منه فى المشبه وقد يذكر وجه الشبه فى الكلام، وقد يحذف كما سيأتى توضيحه.

٤- **أداة التشبيه:** هى اللفظ الذى يدلُّ على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة فى التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمر فى رعيته كالميزان فى العدل، وكان فيهم كالوالد فى الرحمة والعطف.

تمرين

على التشبيه وبيان أركانه الأربعة

أنت كـــالوردة لمســـاً وشـــذاً ... جـــادهـا الغـيثُ عـلى غُصنٍ نَضِرِ
[الرمل]

إنما الـناسُ كـــالسَّوائم فـى الرّز ... ق ســـواء جـــهـــولُهم والعلـيمُ
[الخفيف]

أنت مـــثـل الغـــصـن لـيـناً ... وشـــبـيـــهُ الـبـــدرحُسـنا
[مجزوء الرمل]

لك شـــعـــر مـــثـل حظّي ... فـى ســـوادٍ قـــد تـثنى
أنت عندى كـليلة القـــدر فى القـــد ... ر ولكن لا تـستـجـيبُ دعـائى
[الخفيف]

العـــشقُ كـالموت يأتى لا مـــردّ له ... مـافـيـه للعـــاشق المسكين تدبـيـرُ
[البسيط]

وكن كـــالشـــمس تـظهـــر كل يوم ... ولا تَكُ فى التـــغـــيُّب كـــالهـــلال
[الوافر]

بعضُ الرجـال كـقـبـر الميت تمنحـه ... أعـــز شىء ولا يعطيك تـعـويضـــاً
[البسيط]

وخـيلٍ تحـاكى البـرق لوناً وسـرعـة ... وكالصخر إذ تهـوى وكالماء فى الجرى
[الطويل]

أعـوام إقـبـاله كـالـيـوم فى قـصـرٍ ... ويوم إعـراضـه فى الطول كـالحـجج
[البسيط]

أورد قـــلـــبـــى الـــرّدى ... غـــصـــن عـــذارٍ بـدَا
أســـود كـــالكـفـــر فى ... أبـيض مـــثـل الهـــدى
[المقتضب]

لا جـــزى الله دمع عـيـنى خـيــراً ... وجـــزى الله كـــل خـيــر لســانـــى

ثم دمـــعى فلـيس يكتم شـيـئـــاً ... ووجـــدت اللســـان ذا كـــتـــمـــان

كنت مـــثل الكتـــاب أخـفـــاه طىٌّ ... فـاســـتـدلـــوا عليـــه بـالعنوان

[الخفيف]

لـلـورد عـنـدى مـــحـــلٌّ ... لأنـــــه لا يُمَـــــــل

كـــل الـــريـــاحـــين جـنـــدٌ ... وهـــو الأمـيـــر الأجـــل

إن غـــاب عــــزوا وباهـوا ... حـتـــى إذا عـــاد ذلـــوا

*****

المبحث الأول

فى تقسيم طرفى التشبيه إلى حسى، وعقلى

طرفا التشبيه: (المشبه والمشبه به).

١ـ إما : حسيَّان، أى : مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة.

نحو: أنت كالشمس فى الضياء، وكما فى تشبيه الخد بالورد.

٢ ـ وإما: عقليان أى: مدركان بالعقل، نـحو العلم كالحياة، ونحو: الضلال عن الحق كالعمى ونحو: الجهل كالموت.

٣ـ وإما: المشبه حسى، والمشبه به عقلى، نحو: طبيب السُّوء كالموت.

٤ ـ وإما: المشبه عقلى، والمشبه به حسى، نحو: العلم كالنور.

واعلم أن العقلى هو: مـاعدا الحسى، فيشـمل المدرك ذهناً: كالرأى والخلق، والحظ، والأمل، والعلم، والذكاء، والشجاعة.

ويشمل أيضاً الوهمى: وهو: ما لا وجود له، ولا لأجـزائه كلها، أو بعضها فى الخارج، ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس.

ويشمل الوجدانى: وهو: ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغم، والفرح، والشبع، والجوع، والعطش، والرى.

المبحث الثانى

فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار الإفراد، والتركيب

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

١ـ إما مفردان (مطلقان) نحو: ضوءه كالشمس. وخده كالورد.

أو (مقيدان) نحو: الساعى بغير طائل كالرَّاقم على الماء.

أو (مختلفان) نحو: ثَغره كاللؤلؤ المنظوم، ونحو: العين الزرقاء كالسِّنان، والمشبه هو المقيد.

٢ـ وإما مركبان تركيباً لم يمكن إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجه من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه كقوله[1]: {الطويل}.

كأن سهيلاً والنجوم وراءه   صفوف صلاة قام فيها إمامُها

إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه.

أو مركبان تركيباً: إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة «المشبه به» كما ترى فى قول الشاعر.

وكأنَّ أجرامَ النجومِ لَوَامِعًا   دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِسَاطٍ أزْرقِ

حيث شبه النجوم اللامعة فى كبد السماء، بدرٍّ منتثر على بساط أزرق.

إذ لو قيل: كأن النجوم دُرر، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

٣ـ وإما مفرد بمركب: كقول الخنساء: {البسيط}

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الهُداةُ بهِ   كأنه علمٌ فى رأسه نارُ

٤ـ وإما مركب بمفرد، نحو: الماء المالح كالسم[2].

(!) ومنه قول آخر: كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكقوله: كأن الدموع على خدها   بقية طَلٍّ على جُلنار   جُلَّنار: زهر الرمان (فارسية)

وكقوله: لا تعجبوا من خاله فى خده   كل الشقيق بنقطة سوداء   المشبه مركب (الخال والخد)

والمشبه به مفرد (الشقيق)

واعلم أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقاً بل يكون مركبا أو مفرداً مقيداً، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً. ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد. والمقيد.

*****

المبحث الثالث

فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار تعددهما

ينقسم طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) باعتبار تعددهما، أو تعدد أحدهما. إلى أربعة أقسام.

ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١- فالتشبيه الملفوف، هو: جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف، أو غيره، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك كقوله: [مشطور البسيط].

وكقوله: [البسيط]

تبسُّمٌ وقُطُوبٌ فى ندًى وَوَغىً كالغيثِ والبرقِ تحتَ العارضِ البرَدِ

وكقوله: [الوافر].

وضوء الشُّهْب فوق اللّيل بادٍ كأطراف الأسِنَّة فى الدُّروع(١)

٢- والتشبيه المفروق: هو: جمع كل مشبه مع ما شبه به، كقوله: [الكامل]

النشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكف عَنَمْ

٣- وتشبيه التسوية: هو: أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقوله: [المجتث]

صُدْغُ الحبيبِ وَحَالى كلاهما كاللَّيالى

وثَغْرُهُ فى صفاءٍ وأدمعى كالآلى

سمى بذلك: للتسوية فيه بين المشبهات.

٤- وتشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله: [السريع].

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح(٢)

(١) جمع المشبهين: ضوء الشهب والليل، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

(٢) المشبه: ثغر: فم المحبوب، والمشبه به: اللؤلؤ، والبرد (حب الغمام)، والأقاح: جمع الأقحوان: زهر نبت طيب الرائحة.

سمى بتشبيه الجمع للجمع فيه بين ثلاث مشبهات بها كقوله:

[مجزوء الكامل]

مَــرَّتْ بنا رَأْدُ[1] الضَّحَــى   تحكى الغـــزالة والغـــزالا

وكقوله: [الخفيف]

ذات حسن لو استزدت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا

فهى الشمس بهجة والقضيب اللد   ن قدا والريم طرفاً وجيدا

تمرين

اذكر أحوال طرفى التشبيه فيما يأتى:

علم لا ينفع، كدواء لا ينجع، الصديق المنافق، والابن الجاهل، كلاهما كجمر الغضا، الحق سيف على أهل الباطل، الحمية من الأنام، كالحمية من الطعام.

قال محمد بن لنكك البصرى: [الوافر].

قــضَى الأمـــراءُ وانْقَرَضُوا وبَادُوا   وخلـفنى الـزمـــان علـى عُلُوج[2]

وقـــالوا قــد لزمتَ البـيت جــداً   فــقلتُ لفــقــد فــائدة الخــروج

فَمَنْ ألقى إذا أبــصــرتُ فــيــهم   ودار البـين فى أعـلى الســـروج

زمـــانُ عَزّ فــيــه الجـــودُ حــتى   كــأن الجـــودَ فى أعلى البــروج

ياشــبـيــه البــدرِ حــسناً   وضيـــــاء ومنــــــــالا

وشـبـيــه الغـصـــنِ لينـــا   وقــوامــــــاً واعتــــــدالا

أنتَ مِثْلُ الـــــوردِ لـــوناً   ونسيــــــماً ومـــــلالا

زارنـــــا حــتـــــى إذا مـــا   ســـــرّنا بالقـــــرب زالا

[مجزوء الرمل]

ياصَاحِبَيَّ تقـــصــيـا نظريـكمـا   تريا وجـــوه الأرض كـيف تـصـور

تريا نهـــاراً مــشـمـسـاً قــد شـابه   زهرُ الربـى فكأنما هــو مــقـــمــر

[الكامل]

فكـم مــــعنـى بديـع تحت لـفظٍ   هــناك تـزاوجـــــا كـل ازدواج

---

(١) رأد: الشابة الحسنة.   (٢) عُلوج: عِلج الرجل الضخم القوى من كفار العجم، أو الكفار عموما.

كـــراح فى زجـــاج أو كـــروح ... سـرت فى جـسم مـعـتـدل المزاج

[الوافر]

الخـــدُّ وردٌ والعـــذراءُ رياض ... والطرفُ لـيلٌ والبـــيـاضُ نهـــارُ

العـمـرُ والإنســانُ، والدنيـا هُمُ ... كـــالظلِ فى الإقـــبـــالِ والإدبار

[الكامل]

كـــأَنَّ مُثَار النـقعِ فَوْقَ رُءُوسِنا ... وأسـيـافُنا ليلٌ تهـاوى كـواكـبـه

[الطويل]

خـــودٌ كـــأَنَّ بَنَانَهـــا ... فى خـــضـــرة الـنقـش المزرَّد

سمكٌ مـــن البلّـــور فـــى ... شـــبك تـكـون مـن زبرجـــد

[مجزوء الكامل]

كـأن قـلوبَ الطيـرِ رطبـاً ويابـسـاً ... لدى وكـرها العنابُ والحشفُ البـالى

[الطويل]

من يصنع الخـيـر مع مَنْ ليس يَعْرِفُه ... كـواقـد الشـمع فى بيتٍ لِعُمْيَان[1]

ملخص القول

فى تقسيم طرفى التشبيه

أولاً: ينقسم التشبيـه باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومخـتلفين، فالحسيان يشتركان.

١ـ فى صفـة مبصـرة كتشـبيه المرأة بالنهـار فى الإشراق، والشـعر بالليل فى الظلمة والسواد، كما فى قول الشاعر : [الكامل].

فرعاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيام شَعْرَهَا ... وتَغيبُ فِيه وَهُوَ لَيْلُ أَسْحَمُ[2]

فـكـأنـهـا فـيـه نـهـارٌ مشـرقٌ ... وكـأنّه لـيـلٌ عـليها مـظلـــمُ

٢ـ أو فى صفـة مسموعـة: نحو: غرد تغـريد الطيور، ونحو: سـجع سجع القمرى ونحو: أن أنين الثكلى، ونحو: أسمع دوياً كدوى النحل، وكتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر: [البسيط]

كأن أصوات من إيغالهن بنا ... أواخر الميس إنقاض الفراريج[3]

(١) تشبيه ملفوف. (٢) فرعاء: كثيرة الشعر. أسحم: أسود.

(٣) الميس: الرحل، الفراريج: جمع فروج فرخ الدجاجة. إنقاض: صوت الفراريج الضئيل. إيغال: أوغل: أبعد.

٣- أو فى صفة مذوقة، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل وكتشبيه الريق بالخمر فى قول الشاعر: [المتقارب].

كأن المدامَ وصَوبَ الغمــام ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسَلْ
يعَلُّ بـه بَرْدُ أنيـابـهـــا ... إذا النجم وسْط السماء اعتَدَل

٤- أو فى صفة ملموسة: كتشبيه الجسم بالحرير فى قول ذى الرمة: [الطويل]

لها بَشر مثلُ الحريرِ ومنطقٌ ... رَخِيمُ الحواشى لاهراءٌ ولانَذْرُ
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ

٥- أو فى صفة مشمومة: كتشبيه الريحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يدركا همـا ولا مادتهـما بإحـدى الحواس، وذلك كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار.

والمختلفان: إما: أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً، كتشبيه الغضب بالنار فى التلظى والاشتعال، وكتشبيه الرأى بالليل فى قول الشاعر: [البسيط]

الرأى كالليل مُسْوَدٌ جــوَانبُه ... والليل لا ينجلى إلا بإصباح

وإما: أن يكون(المشبه حسياً والمشبه به عقلياً)، كتشبيه: الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه :العطر بخلق الكريم فى قول الصاحب بن عباد: [الكامل]

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه ... فكأنما أهـــدى له أخلاقه

ثانيا: ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى مفردين مطلقين. أو مقيدين أو مختلفين وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردات المطلقان. كتشبيه السماء بالدهان فى الحمرة. فى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

وكتشبيه الكشح بالجديل، والساق بالأنبوب، فى قول امرئ القيس:[الطويل]

وكشحٍ لطيف كالجديل مخصَّر ... وساق كأنبوب السقى المذلَّل

والمقيدان بوصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك. كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو كالراقم على الماء فالمشبه: هو الساعى على هذه الصفة.

والمشبه به: هو الراقم بهذا القيد. ووجه الشبه: التسوية بين الفعل والترك فى الفائدة وكقوله: {الكامل}.

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفاً صقيلاً فى يـــد رعشاء

والمختلفان: والمشبه به هو المقيد: كما فى قول ذى الرمة: {الطويل}

قفِ العيس فى أطـلال مَيَّةَ فاسأل رُسوماً كأخلاق الَّرداء المُسَلْسَلِ

أو المشبه هو المقيد، كما فى قول الشاعر: {الطويل}

كأنَّ فِجاجَ الأرضِ وهى عريضـةٌ على الخائف المطلوب كَفَّةُ حابِلِ

والمركبان: كقول الشاعر: {الكامل}

البـدر منتقـب بغيـم أبيـض هــو فيــه تفجـــر وتبلـــج

كـتـنـفـس الحسنـاء فـى المـرآة إذ كـملـت محـاسنـهـا ولـم تتـزوج

والمختلفان: والمشبه مفرد. كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ {إبراهيم: ١٨}، وكقول الشاعرة: {البسيط}

أَغَرُّ أبلجُ تَأْتَمُّ الهُداةُ به كأنَّه علمٌ فى رأسه نارُ

أو المشبه به مفرد، كقول أبى الطيب المتنبى: {المنسرح}

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها فى نفوسهـــم شِيَمُ

شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم(الأخلاق الطيبة) فإشراق الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها.

ثالثاً: التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى:

١ـ ملفوف: وهو: ما أتى فيه بالمشبهات أولاً على طريق العطف، أو غيره،

ثم بالمشبهات بها كذلك، كقول الشاعر:

لَيْلٌ وبدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجهٌ وقدٌّ

خمــرٌ ودرٌّ وردُ ريقٌ وثغـرٌ وخَدٌّ

شبه الليل بالشـعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد فى الـبيت الأول، والخمر بالريق، والدر بالثغر، والورد بالخـد، فى البيت الثانى: وقد ذكر المشـبهات أولاً، والمشبهات بها ثانياً، كما ترى فى نظم الشاعر:

٢ـ وإلى مفروق، وهو: ما أتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر، وآخر كقول أبى نواس [السريع]

تبكى فتذرى الُّدرَّ من نرجس وتمسحُ الـــــوردَ بِعُنَّاب

شبه الدمع بالدر لصفائه، والعين بالنرجس، لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد.

رابعاً: ينقسم التشبيه أيضاً باعتبار طرفيه إلى:

١ـ تشبيه التسوية: وهو :ما تعدد فيه المشبه، كقول الشاعر:[المجتث]

صــدْغُ الحبيــب وحالــى كلاهمــا كـالليالـــى

وثغـــره فـــى صفـــاء وادمعــــى كاللآلـــى

شبه فى الأول صــدغ الحبيب وحاله هو بالليالى فى السواد، وفى الشـانى شبه ثغر الحبيب ودموعه، باللآلى فى القدر والإشراق.

٢ـ تشبيه الجمع. وهو :ما تعدد فيه المشبه به كقول البحترى:[السريع]

بات نديماً لى حـتى الصبـاح أَغْيَدُ مَجْدُولُ مكـانِ الـوِشَاحْ

كــــأنما يَبْسِمُ عـن لؤلـؤ مُنَضّدِ أوبَرَدِ أو أَقَاحْ

شبه ثغره بثلاثة أشـياء باللؤلؤ، والْبَرَد، والأقاح، وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام.

المبحث الرابع

فى تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشَّبه

وجه الشبه: هو الوصف الخاص[1]: الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه كالكرم فى نحو: خليل كحَاتِم، ونحو: له سيرة كالمسك، وأخلاقه كالعنبر.

واشتراك الطرفين قد يكون ادعائيا بتنزيل التضاد منزلة التناسب وإبراز الخسيس فى صورة الشريف تهكماً أو تمليحاً ويظهر ذلك من المقام، وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

١ـ تشبيه تمثيل: وهو: ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد: حسيا كان أو غير حسى، كقوله: [الطويل]

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يوافى تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالاً، فيصير بدراً، ثم ينقص، حتى يدركه المحَاق، ويسمى :(تشبيه التمثيل).

٢ـ وتشبيه غير تمثيل: وهو: مالم يكن وجهُ الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، نحو:

وجهه كالبدر، ومثل قول الشاعر: [الكامل]

لا تطلبنَّ بآلة لكَ رتبة   قَلمُ البليغ بغير حظ معزَلُ

فوجه الشبه قلة الفائدة، وليس منتزعاً من متعدد.

٣ـ ومفصلٌ، وهو: ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: طَبْعُ فريدٍ كالنسيم رقة، ويده كالبحر جوداً، وكلامه كالدّر حسناً، وألفاظه كالعسل حلاوةً، ومثل قول ابن الرومى: [مجزوء الكامل]

شبيهُ البدر حسناً وضياء ومنالاً   وشبيهُ الغصن ليناً وقواماً واعتدالا

---

(١) إما (حقيقة) كالبأس فى (زيد كالأسد) وإما (تخيّلا) كقول الشاعر:

يا من له شعر كحظى أسود   جسمى نحيل من فراقك أسود

وجه الشبه السواد فى الشعر: مشبه

والسواد فيه حقيقة، والمشبه به: الحظ والسواد فيه على سبيل التخيّل.

٤ـ ومجمل، وهو: ما يذكر فيـه وجه الشبه، ولا ما يستلزمـه، نحو: النحو فى الكلام كالملح فى الطعام، فـ «وجه الشبه» هو: الإصلاح فى كل ومثل قوله: [مجزوء الرمل]

إنّما الدنيـا كبيتٍ   نسـجهُ مِنْ عَنْكَبُوت

واعلم أن وجه الشبه المجمل: إما أن يكون خفياً وإما أن يكون ظاهراً ومنه ما وصف فيـه أحد الطرفين أو كـلاهما بوصف يشـعر بوجـه الشبه، ومنـه ما ليس كذلك.

٥ـ وقريبٌ مبتذلٌ، وهو ما كان ظاهـر الوجه يَنتقلُ فيه الذهن مـن المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل، لظهور وجهه بادئ الرأى.

وذلك؛ لكون وجهه لا تفصيل فيه: كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل، كتشبـيه الوجه بالبدر، فى الإشراق أو الاستدارة، أو العيون بالنرجس.

وقـد يُتـصـرُف فى القـريب بما يخـرجـه عن ابتـذاله إلى الغـرابة، كـقـول الشاعر: [الكامل]

لم تلق هذا الوجـه شـمس نهـارنا   إلا بوجـه ليـس فـيـه حـيـاء

فإن تشبيه الوجه الحسن، بالشمس: مـبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقـد يخرج وجـه الشبـه من الابتـذال إلى الغـرابة: وذلك بالجمع بين عـدة تشبيهات كقول الشاعر: [السريع]

كـأنّمـا يَـبْسُم عـن لؤلؤ   مُنـضَّد، أو بَرَد أو اقـاح

أو باستعمال شرط، كقوله: [الكامل]

عـزمـاته مـثل النجـوم ثواقـبـاً   لولم يـكن للثـاقـبـات أفـول

٦ـ وبعيد غريب: وهو ما احتاج فى الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكر وتدقيق نظر، لخفاء وجهه بادئ الرأى، كقوله: [الكامل]

والشمس كالمرآة فى كفّ الأشلّ

فإن الوجه فيه: هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.

وحكم وجه الشبه: أن يكون فى المشبه به أقوى منه فى المشبه وإلا فلا فائدة فى التشبيه.

تمرين

بين أركان التشبيه وأقسام كل منها فيما يلى:

١ـ ومكلفُ الأيام ضدّ طباعها ... متطلبٌ فى الماء جذوةَ نار

[الكامل]

٢ـ والدهر يقرعنى طوراً وأقرعه ... كأنه جبل يهوى إلى جبل

[البسيط]

٣ـ فإن أغْشَ قوماً بعده أو أزورهم ... فكالوحش يدنيها من الأنس المحل

[الطويل]

٤ـ الشمسُ من مشرقها قد بدتْ ... مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنها بوتقةٌ أُحميتْ ... يجولُ فيها ذهبٌ ذائبُ

[السريع]

٥ـ قالت أعرابية تصف بنيها: هم كالحلقة المفرغة لا يُدْرى أين طرفاها.

٦- عـزماتُهـم قضبٌ وفـيضُ أكـفِّهم سُحُبٌ وبِيضُ وجـوهِهِم أقـمـارُ
[الكامل]

٧- قال على كـرم الله وجهه: « مـثل الذى يعلم الخيـر ولا يعمل به مـثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه».

٨ - قال صـاحب كليلة ودمنة: الدنيـا كالماء الملح، كلما ازددت مـنه شرباً ازددت عطشاً.

٩- فـانهض بنار إلى فـحم كـأنهمـا فى العين ظلم وإنـصافٌ قـد اتفـقـا
[البسيط]

١٠- فـتراه فى ظلم الوغى فـتخـاله قـمـراً يكر على الرجـال بكوكب
[الكامل]

١١- كـأن الثـريا فى أواخـر ليلهـا تَفَتُّحُ نَوْر أو لجـامٌ مـفـضض
[الطويل]

١٢- كـأنَّ الدمـوعَ عـلى خـدها بقـيـةُ طَلّ علـى جُلَّنَـار
[المتقارب]

١٣- صحـوٌ وغـيمٌ وضـيـاءٌ وظلمٌ مـثل سـرورٍ شـابه عـارض غمْ
[الرجز]

*****

المبحث الخامس

فى تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره، لما فى وجهه من التفصيل الذى يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً فى المعانى: يرفع قدرها، ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذماً كان أوجع، أو برهاناً كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن فى فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة، حسية كانت أو غير حسية لتكون وجه الشبه كقول الشاعر: [البسيط]

ولاحتْ الشمسُ تحكى عند مَطْلِعِها   مرآة تبرٍ بدتْ فى كفٍّ مرتعش

فمثل الشَّمس: حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرآة من ذهب تضطرب فى كفٍّ ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهر الأداة، نحو: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة: ٥] فالمشبه: هم الذين حملوا التوراة ولم يعقلوا ما بها: والمشبه به: الحمار الذى يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، والأداة: الكاف، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من التعب فى حمل النافع دون فائدة.

الثانى: ما كان خفى الأداة: كقولة للذى يتردّد فى الشيء بين أن يفعله، وألا يفعله: أراك تُقَدِّم رجلاً وتؤخرُ أخرى، إذ الأصل: أراك فى ترددك مثل من يقدم رجلاً مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى. فالأداة محذوفة، ووجه الشبه هيئة الإقدام والإحجام المصحوبين بالشّك.

موقع تشبيه التمثيل

١ـ أن يكون فى مفتتح الكلام، فيكون قياساً موضحاً، وبرهاناً مصاحباً، وهو كثير جدًّا فى القرآن، نحو: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٢ـ ما يجيء بعد تمام المعانى، لإيضاحها وتقريرها، فيُشبه البرهان الذى تثبت به الدعوى، نحو: [الطويل].

ومــا المالُ والأهــلونَ إلا ودائع ولا بــدّ يــومًا أن تُردَّ الــودائــع

ونحو:

لا ينزلُ المجــدُ إلا فى منــازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

البسيط

تأثير تشبيه التمثيل فى النفس

إذا وقع التمثيل فى صدر القول: بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان، ليقنع السامع، وإذا أتى بعد استيفاء المعانى كان:

١ـ إما دليلاً على إمكانها، كقول المتنبى: [الوافر]

ومــا أنا منهم بــالعــيش فــيــهم ولكن مــعــدن الذهب الرغــام

٢ ـ وإما تأييدا للمعنى الثابت نحو: [البسيط]

ترجو النجاة ولم تسلك مــسالكها إن السفــينة لا تجرى على الــيبس

وعلة هذا: أن النفس تأنس إذا أخرجتهــا من خفى إلى جلى؛ ومما تجهله إلى ما هى به أعلم.

ولذا تجــد النفس من الأريحــيــة مــالا تقــدرُ قــدره، إذا ســمــعت قــول أبى تمام: [الطويل]

وطول مــقــام المرء فى الحىّ مــخلقٌ لديــاجــتــيــه فــاغــتــربْ تتــجــدَّد

فــإنى رأيتُ الشمسَ زيدت مــحبــة إلى الناس أن ليست عليــهم بسرمد

وبعد: فــالتمثــيل يكسب القول قــوة، فإن كان فى المدح كــان أهز للعطف، وأنبل فى النفس، وإن كــان فى الذم كان وقعــه أشد، وإن كان وعظاً كــان أشفى للصدر، وأبلغ فى التنبــيه والزجر، وإن كان افتــخاراً كان شأوه أبعــد، كقول من وصف كأساً علاها الحباب: [الكامل]

وكـأنهـا وكـأنَّ حـامل كـأسـهـا إذ قـام يـجلوها عـلى الندمـــاء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الـدُّجى بكـواكب الجـــوزاء

*****

المبحث السادس

فى أدوات التشبيه

أدوات التشبيه: هى ألفـاظ تدل على معنى المُشـابهـة والمماثلة ، كـالكاف، وكأنَّ، ومـثل، وشبـه، وغيرها، ممـا يؤدى معنى التشـبيـه: كيحكـى، ويضاهى ويضارع، ويماثل ويساوى، ويشابه، وكذا أسماء فاعلها.

فأدوات التشبيه بعضها: اسم، وبعضها فعل، وبعضها حرف.

وهى إما ملفوظة، ملحوظة، نحو جمال كالبدر، وأخلاقه فى الرقة كالنسيم، ونحو اندفع الجيش اندفاع السيل، أى كاندفاعه.

الأصل فى الكاف، ومثل، وشبه، من الأسماء المضافة لما بعدها يليها المشبه به لفظاً أو تقديراً.

والأصل فى كأن، وشابه، وماثل، وما يرادفها، أن يـليها المشبه، مثل قوله: [الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيّا راحَةٌ تَشْبِرُ الدُّجى لتنظرَ طَالَ الليلُ أم قد تَعَرَّضا

وكأن: تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدًا، نحو: كأن البحر مرآة صافية.

وقد تفـيد الشك: إذا كان خـبرها مشـتقا، نحـو: كأنك فاهم، مـثل قوله: [الطويل]

كـــأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الـنُّفُوسِ مـــركَّبٌ فـــأنتَ إلى كل الـنفـــوس حَبِيبُ

فإن كان الفعل لليقين، أفاد قرب المشابهة، لما فى فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد وتحـققه، وهذا يفيد التـشبيه مبـالغة، نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

ونحو: رأيت الدنيا سرَاباً غرّاراً.

وإن كان الفعل للشك أفاد بُعدها: لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق، وهذا يفيد التشبيه ضعفاً، نحو: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] وكقوله :[الكامل]

قَومٌ إذا لَبِسُوا الدّرُوعَ حَسِبْتَهَا سُحُباً مُزَرَّدةً على أقمارِ

ونحو: قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢].

والوجه مثل الصبح مبيضٌ والفرعُ مثل الليلِ مسْوَدَ

ضدان لما استجمعا حَسُنا والضدّ يُظهر حُسْنَه الضدُّ

*****

المبحث السابع

فى تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:

١ ـ **التشبيه المرسل**: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت نسجه من العنكبوت

ب ـ **التشبيه المؤكد**: وهو ما حذفت منه أداته، نحو: يسجع سجع القمريّ وكقول الشاعر: [الخفيف].

وأنت نجم فى رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغربا

ومن المؤكد: ما ضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر: [الكامل]

والرِّيحُ تعبثُ بالغصون وقد جرى ذهبُ الأصيلِ على لجَيْنِ الماء[1]

أى أصيل كالذهب على ماء كاللجين

والمؤكد أوجز، وأبلغ، وأشد وقعاً فى النفس.

أما أنه أوجز فلحذف أداته، وأما أنه أبلغ فلإيهامه أن المشبه عين المشبه به.

(١) الأصيل: ما بعد العصر إلى ما قبيل المغرب: عندما تكون فيه الشمس صفراء كلون الذهب. اللجين: الفضة.

جـ التشبيه البليغ: ما بلغ درجة القبول لحسنه. أو الطيب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج فى إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل فى النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركوز فى الطبع، من أن الشىء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحو، كان نيله أحلى، وموقعه فى النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعانى بالجوهر فى الصدف، لا يبرز إلا أن تشقه وبالحبيب المحتجب لا يريك وجهه، حتى تستأذن.

وسبب هذه التسمية: أنّ ذكْرَ الطرفين فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هى: المبالغة فى قوة التشبيه.

والتشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه[1]، ونحو: [الكامل]

فاقضوا مآربكم عبثا[2] إنما ... أعمارُكم سفرٌ من الأسفار

ونحو:

عزماتُهم قُضْبٌ وفَيْضٌ أكُفِّهم ... سُحُبٌ وبِيضٌ وجوههم أقمارُ

[الكامل]

*****

المبحث الثامن

فى فوائد التشبيه

الغرض من التشبيه والفائدة منه هى الإيضاح والبيان فى التشبيه غير المقلوب ويرجع ذلك الغرض إلى المُشبه وهو إما:

١ ـ بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة، التى يراد إثباتها له قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف، ويوضحه المشبه به، نحو شجر

(١) ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدرا مبينا للنوع نحو: أقدم الفارس إقدام الليث، ومنه أيضا إضافة المشبه به للمشبه نحو: لبس محمد ثوب الصحة؛ ومنه أن يكون المشبه به حالا: نحو حمل الهندى على خصومه ليثا.

(٢) تعود فى أكثر المواضع إلى المشبه.

النارنج كشجر البرتقال ومثل قول الشاعر: [الوافر]

إذا قامت لحاجتها تَثَنَّتْ كأنّ عظامَها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين .

٢ - أو بيان إمكان حاله: وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به، ليثبت فى ذهن السامع ويقرر مثل قوله : [الكامل].

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هى أعرضتْ وقــعُ السِّهام ونَزْعهنّ أليمُ

شبه نظرها: بوقع السهام، وشبه إعراضها بنزعها: بياناً لإمكان إيلامها بها جميعاً.

٣ - أو بيان مقدار حال المشبه فى القوة والضعف: وذلك إذا كان المشبه معلوماً معروف الصفة التى يراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يعمد المتكلم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار مثل قوله : [البسيط].

كأنّ مِشيتها من بيتِ جارتها مر السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج، فى شدة البرودة. ومثل قوله : [الكامل]

فيها اثنان وأربعــون حلوبَة سوداً كخافية الغراب الأسحم

شبه النياق السود، بخافية الغراب، بياناً لمقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين.

٤ - أو تقرير حال المشبه، وتمكينه فى ذهن السامع، بإبرازها فيما هى فيه أظهر كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتى بمشبه حسى قريب التصور، يزيد معنى المشبه إيضاحا لما فى المشبه به من قوة الظهور والتمام، نحو: هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر، وهل عمر الصبا إلا أصيلٌ أو سَحَر، ومثل قوله [الكامل]

إنَّ القلوبَ إذا تنافرَ وُدُّهَا مثلُ الزجاجةِ كسرُها لايُجْبرُ.

شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاجة، تثبيتاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودة.

٥ ـ أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يبدو غريباً يستبعد حدوثه والمشبه به يزيل غرابته، ويبين أنه ممكن الحصول ،مثل قوله : الوافر].

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإن المسكَ بعضُ دم الغزال .

٦ ـ أو مدحه وتحسين حاله، ترغيباً فيه، أو تعظيماً له، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به مُعجب، قد استقر في النفس حُسنه وحبُّه فيصورِّ المشبه بصُورته، كقوله : [الطويل].

وزاد بك الحسن البديع نضارة كأنك في وجه الملاحة خالُ

ونحو : [الطويل]

كأنك شمس والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

وقوله: [الكامل].

سبقت إليك من الحدائق وردة وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت فَمَهَا إليك كطالب تقبيلا

وقوله: [الوافر]

له خالٌ على صفحاتِ خَدٍ كنقطة عَنْبرٍ في صَحْنِ مَرمَرْ

وألحاظٌ كأسيافٍ تنادي على عاصي الهوى: اللهُ أكبرُ

٧ـ أو تشويه المشبه وتقبيحه، تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأن تصوِّره بصورة تمجها النفس، ويشمئز منها الطبع، وقوله : [الكامل].

وإذا أشار مُحدِّثاً فكأنه قردٌ يقهقهُ أو عجوز تلْطِمُ

وقوله :[الكامل]

وترى أَنَاملَها دبّتْ على مزمارها كخنافس دَبَّتْ على أوتارِ

٨ ـ أو استطرافه: أي: عدَّه طريفاً حديثاً، بحيث يجيء المشبه به طريفاً، غير مألوف للذهن.

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيه،فَحم فيه جَمْرٌ متقد ببحر من المسك مَوْجُه الذهب وقوله :[مجزوء الكامل]

وكـــأن مـحـــمـــرَّ الشَّقـــيق إذا تَصـــوّبَ أو تصـــعـــد
أعـلامُ يـــــاقـوت نُـــــشرْ نَ على رمـــاح مــن زبرجـــدْ

وإما لندور حُضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه، كقوله: [الكامل]

انظر إليه كزورق من فضَّة قد أثقلته حُمولة من عنبر .

تشبيه على غير طرقه الأصلية

التشبيه الضمنى

هو تشبيهٌ لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به، فى صورة من: صور التشبيه المعروفة، بل يلمحُ المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى، يكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقوله المتنبى: [الخفيف]

من يَهُنْ يسهل الهوانُ عليه ما لجـــــرح بميّت إيلامُ

أى: إن الذى اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلا؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم.

وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه تشابُهٌ يقتضى التساوى، وأما التشبيه فيقتضى التفاوت.

التشبيه المقلوب

قد يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مُشبهاً به وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به، لادِّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به فى وجه الشبه.

ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب أو المعكوس نحو: كَأَنَّ ضَوْءَ النهارِ جَبِينُه، ونحو: كأن نشر الروض حسن سيرته. ونحو: كأن الماء فى الصفاء طباعُهُ. وكقول محمد بن وهيب الحميرى [الكامل].

وبدا الصَّباحُ كأن غرَّته وجهُ الخليفة حين يمتدحُ

شبه غرة الصَّباح، بوجه الخليفة، إيهاماً أنه أتم منها فى وجه الشبه وكقول البحترى فى وصف برْكة المتَوّكل :[البسيط]

كأنها حين لجت فى تدفّقها   يدُ الخليفة لما سَالَ واديها [1].

وهذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] فى مقام أن الرِّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع؛ لأن الغرض الربح وهو أثبت وجوداً فى الرّبا منه فى البيع، فيكون أحق بالحل عندهم.

*****

المبحث الثامن

فى تقسيم باعتبار الغرض إلى مقبول والمردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض: إلى حسنٍ مقبول، وإلى قبيح مردود.

١ ـ فالحسنُ المقبول: هو ما وفى بالأغراض السابقة، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه فى وجه الشبه، إذا كان الغرضُ بيان حال المشبه، أو بيانَ المقدار، أو أن يكون أتم شىء فى وجه الشبه، إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل، أو أن يكون فى بيانِ الإمكان مسلم الحكم، ومعروفاً عند المخاطب، إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر فى التشبيهات، إذ هى جارية على الرشاقة، سارية على الدقة والمبالغة ثم إذا تساوى الطرفان فى وجه التشبيه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملا فى القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أقرب فى المقدار إلى المشبه كان الشبه أقرب إلى الكمال والقبول.

٢ ـ والقبيح المردود: هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه، لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

*****

(١) المشبه: بركة المتوكل. المشبه به: يد الخليفة. فالشاعر يوهم السامع أن يد الخليفة أقوى تدفقا بالعطاء من تدفق البركة بالماء.

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة:

أ ـ أعلاها وأبلغها: ما حذف فيها الوجه والأداة، نحو: على أسد، وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة ـ وادعيت التشابه بينهما فى كل شىء بحذف الوجه، ولذا سمى هذا: (تشبيها بليغاً).

ب ـ المتوسطة: ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول: على أسد شجاعة أو يحذف فيها وجه الشبه، فتقول: على كالأسد وبيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه. فلم تدع للخيال مجالاً فى الظن، بأن التشابه فى كثير من الصفات كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به. ولم تترك باباً للمبالغة.

جـ ـ أقلها ما ذكر فيها الوجه والأداة، وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين.

الثانى: قد يكون الغرض من التشبيه حسناً جميلاً، وذلك هو النمط الذى تسمو إليه نفوس البلغاء، وقد أتوا فيه بكل حسن بديع، كقول ابن نباتة فى وصف فرس أغر محجل: [الكامل].

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، وما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه وأحقه بالذم، لما فيه من القبح والشناعة بحيث ينفر منه الطبع السليم.

الثالث: علم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه والأداة كالآتى:

١ ـ التشبيه المرسل: هو: ما ذكرت فيه الأداة.

٢ ـ التشبيه المؤكد: هو: ما حذفت منه الأداة.

٣ ـ التشبيه المجمل: هو: ما حذفت منه وجه الشبه.

٤ ـ التشبيه المفصل: هو: ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥ ـ التشبيه البليغ: هو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة ، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى.

٦ ـ التشبيه الضمنى: هو تشبيه: لا يوضع فيه المشبه، والمشبه به، فى صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه، والمشبه به، ويفهمان من المعنى، نحو:

علا فما يستقرُ المالُ فى يده   وكيف تمسك ماءً قنةُ الجبل

فالمشبه الممدوح، وهو ضمير (علا) والمشبه به (قنة الجبل) ووجه الشبه، عدم الاستقرار، والأداة محذوفة أيضاً.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن .

*****

أسئلة تطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً؟ما هوالتشبيه؟ ما أركان التشبيه؟ طرفا التشبيه حسيان أم عقليان؟ ما المراد بالحسى؟ ما هو التشبيه الخيالى؟ ما المراد بالعقلى؟ ما هو التشبيه الوهمى؟ ما هو وجه الشبه؟ ما هى أدوات التشبيه؟ هل الأصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به؟متى تفيد كأن التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ ما هو التشبيه الضمنى؟ ما هو التشبيه المرسل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار طرفيه؟ كم للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار وجه الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو تشبيه غير التمثيل؟ ما هوالتشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار الغرض منه؟.

*****

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوباً أحمر كالورد: فى هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل المشبه ثوبا، والمشبه به هو الورد، وهما حسيان مفردان، والأداة الكاف ،ووجه الشبه: الحمرة

فى كل، والغرض منه بيان حال المشبه.

مـا الدهرُ إلا الربيعُ المسـتنيـرُ إذا أتـى الـربـيعُ أتـاك الـنَّورُ والـنُّورُ
فـالأرضُ يـاقـوتةٌ والجـوُّ لؤلوةٌ والنـبتُ فـيـروزجٌ والماءُ بـلورُ

[البسيط]

الأرض ياقوتة تـشبيـه بليغ مجـمل، المشبـه: الأرض، والمشبه بـه: ياقوتة، وهما: حـسيان مفردان. ووجـه الشبه المحذوف، وهو: الخـضرة فى كل. والأداة محذوفة.

والغرض منه تحسينه، «والجو لؤلؤ»، «والنبت فيروزج» و«الماء بلور »كذلك.

وفى البيت كله :تشبيه مفروق؛ لأنه أتى :بمشبه ومشبه به، وآخر ،وآخر.

العمرُوالإنسانُ والدنيا همو كالظلِ فى الإقبالِ والإدبارِ

[الكامل]

فيه تشـبيه تسوية مـرسل مفصل، المشبـه العمر والإنسان والدنيـا، والمشبه به الظل والمشبـه بعضه حـسى، وبعضه عـقلى، والمشبـه به حسى، والكاف الأداة، ووجه الشبه الإقبال والإدبار. والغرض تقرير حاله فى نفس السامع.

كَمْ نعمةٍ مَرّتْ بنا وكأنها فرسُ يهرولُ أو نسيمٌ سارى

[الكامل]

فى البيت: تشبيه جمع مرسل مجمل، المشبه نعمة، والمشبه به فرس يهرول، أو نسيم سـارى، وهما حـسيان، وكـأن الأداة، ووجه الشـبه السـرعة **فى كل**، والغرض منه بيان مقدار حاله.

ليلٌ وبـــدرٌ وغـصنٌ شعرٌ ووجـــــــهٌ وَقَدٌّ

[المجتث]

فيه تشبيه بليغ مجمل «**ملفوف**»، **المشبه**: شعر وهو حسى، والمشبه به: ليل، وهو عقلى، والأداة محـذوفة، ووجه الشبه: **السـواد فى** كل، والغرض منه: بيان مقدار حاله.

وفى الثانى: المشبه: وجه، والمشـبه به: بدر، وهما حسيان. ووجـهه الشبه:

الحسن فى كل. ،والأداة محذوفة، والغرض تحسينه. وفى الثالث المشبه: قَدّ، والمشبه به: غصن، وهما: حسيان. ووجه الشبه: الاعتدال فى كل، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره ـ هذا، وإن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبهاً. والمشبه :مشبهاً به بأن يجعل الليل :مشبهاً، والشعر :مشبهاً به.

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

{الطويل}

فيه تشبية تمثيل مرسل مجمل، المشبه: هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرفة مستديرة منيرة: والمشبه به: هيئة عنقود العنب المنور، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة فى كل، والأداة :الكاف، والغرض منه :بيان حاله.

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى:

١ ـ **الورد فى أعلى الغصون كأنه** مَلِكٌ تَحُفُّ به سَرَاة جنوده

{الكامل}

٢ ـ إذا ارتجل الخطابَ بدَا خليج بِفِيه يمدُّه بحرُ الكلام
كلام بل مدام بل نظام مِن الياقوت بل حَبُّ الغمام

{الوافر}

٣ ـ يا صاحبيّ تيقّظا من رقدة تُزرى على عقل اللبيب الأكيس
هذى المجرَّةُ والنجومُ كأنّها نهرٌ تَدَفَّقَ فى حديقة نرجس

{الكامل}

٤ـ وكأنَّ الصبحَ لَمَّا لاح من تحت الثُّرَيَّا
ملكٌ أقبل فى التا ج يفدَّى ويحيَّا

{مجزوء الرمل}

٥ ـ إنَّما النفسُ كالزُّجاجة والعلـ ـمُ سراجٌ وحكمةُ الله زيتُ
فإذا أشرقت فإنك حيٌّ وإذا أظلمت فإنك ميتُ

{الخفيف}

٦ـ وغيرُ تقيٍّ يأمرُ النَّاسَ بالتُّقَى طبيبٌ يُداوى النَّاسَ وهو مريضُ.

{الطويل}

٧ـ إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عَدُوٍّ فى ثياب صديق

{الطويل}

٨ ـ جمرة الخد أحرقت عنبر الخا ل فمن ذلك العذارُ دخانُ
[الخفيف]

٩ ـ كالبدر من حيث التفتَّ رأيته يهدى إلى عينيك نورًا كافيا
[الكامل]

١٠ ـ وأشرق عن بشر هو النور فى الضحا وصافى بأخلاق هى الطَّلُّ فى الصبح
[الطويل]

تمرين آخر

لبيان أنواع التشبيه: البليغ، والضمنى، والتمثيل، والمقلوب، والمؤكد والمفصَّل، والمجمل.

١ ـ خَلَط الشَّجاعة بالحياء فأصبحا كالحُسن شيب لمغرمٍ بدلالِ
[الكامل]

٢ ـ شقائقُ يَحْمِلْنَ النَّدَى فكأنه دموعُ التَّصابى فى خُدود الخرائد(١)
[الطويل]

٣ ـ عذُبَ الفراق لنا قُبيلَ وداعنا ثمَّ اجْتَرَعناهُ كسُمٌّ ناقع
فكأنما أثرُ الدموع بخدِّها طَلٌّ تناثرَ فوقَ وَرْدٍ يانع(٢)
[الكامل]

٤ ـ وترى الغصونَ تميل فى أوراقها مثلَ الوصائف فى صُنوف حَرير(٣)
[الكامل]

٥ ـ وحديقة يَنسابُ فيها جَدْوَلٌ طَرْفى برَوْنَق حُسْنه مَدْهُوشُ
يَبْدُو خيالُ غصونها فى مائه فكأنما هو معصمٌ منقُوشُ
[الكامل]

٦ ـ انظر إلى حُسْن تكوين السماء وقد لاحَت كواكبُها والليلُ ديجُورُ
كأنها خَيمةٌ ليست على عَمَدٍ زرقاءُ قد رُصعت فيها الدنانيرُ
[البسيط]

---

(١) الخرائد: مفردها ـ الخَرُود: البكر لم تمس قط.
(٢) الطل: الندى. يانع: اشتدت حمرة الورد.
(٣) الوصائف: المفرد: وصيفة دون المراهقة.

٧- ولقد سفر الدُّجى عن ضوءِ فجرٍ ... منيرٍ مثلَمَا سَفر النِّقاب
فخِلتُ الصبح فى إثْر الثريا ... بشيراً جاء فى يده كتاب
{الوافر}

٨ - ولقد ذكرتك والنجوم كأنها ... دُرَر على أرض من الفَيْرُوزج
يلْمَعْنَ مِنْ خلل السَّحاب كأنها ... شَرَرٌ تطايرَ من دخان العرْفج
{الكامل}

٩ - ونارنْجَة بين الرياض نظرتُها ... على غُصن رطْب كقامة أغيد
إذا مَيَّلَتْها الريحُ مالت كأكْرَة ... بَدَتْ ذهباً من صولجان زمرد
{الطويل}

١٠ - وحديقةٍ غنَّاء ينتظم النَّدَى ... بفروعها كالدُّرِّ فى الأسلاك
والبدر يشرق من خلالها غصونها ... مثل المليح يُطل من شُبَّاك
{الكامل}

١١ - لو كنتَ تَشْهَد يا هذا عشيتنا ... والمزن يُسْكِبُ أحياناً وينحدر
والأرض مُصْفرّة بالمزن كاسية ... أبصرت تِبْراً عليه الدُّرُّ ينتثر
{البسيط}

١٢ - وللأقاحى قصورٌ كُلُّها ذهبٌ ... من حولها شُرفاتٌ كُلُّها دُرَرُ
{البسيط}

١٣ - كأنَّما النارُ فى تلهُّبها ... والفَحْمُ من فوقها يُغطيها
زنجية شبَّكت أناملها ... من فوق نارنجة لتخفيها
{المنسرح}

١٤ - والورد فى شطِّ الخليج كأنه ... رمدٌ ألَمَّ بمقلة زرقاء
{الكامل}

١٥ - هذى المجرَّةُ والنجومُ كأنّها ... نهرٌ تَدَفَّقَ فى حَديقة نرجس
{الكامل}

١٦ ـ انـظـر إلـى حُسـن هـلال بـدا يهـتـك من أنواره الحـندسـا[1]
كـمنجل قد صيغ من عـسجـد يحـصـد من زهر الدجى نَرْجـسـا[2]
[السريع]

١٧ـ والبـدرُ يُسْتـرُ بالغـيـوم ويَنجلى كـتنـفس الحـسناء فـى مـرآتهـا
[الكامل]

١٨ـ كـأنمـا الأغـصـان لما انـثنت أمـام بَدْر الـتِّمِّ فى غـيـهـبـه
بنـت مليـك خلـف شبَّاكـهـا تفـرجت منه عـلى مـوكـبـه
[السريع]

١٩ ـ كأن شُعاع الشـمس فى كل غدوة على ورق الأشـجـار أول طـالع
دنانيـر فـى كفٍّ الأشَلِّ يَضمُّهـا لقـبض فتـهـوى من فروج الأصـابع
[الطويل]

٢٠ ـ لئن بَسَط الزمـانُ يَدَىْ لئـيم فـصـبـراً للـذى فـعل الزمـان
فقـد تعلو على الرأس الذنابى[3] كـمـا يعـلو على النـار الدخـان
[الوافر]

٢١ ـ دهر عـلا قـدر الوضـيع به وغـدا الشـريـف يحُطّهُ شـرفـه
كـالبـحـر يرسب فـيـه لؤلؤه سفـلاً وتطفو فـوقـه جيـفُـة
[الكامل]

٢٢ ـ لو أورقت من دم الأبطال سُمْرُ قناً لأورقـت عـنـده سُمْرُ الـقَنَا الـذُّبـلُ
إذا توجّه فـى أولى كـتـائبـه لم تفـرق العين بـين السـهل والجـبل
فـالجـيش ينفض حـوليـه أسنتـه نفض العـقـاب جنـاحـيـة من البلل
[البسيط]

٢٣ ـ لو كنت شـاهدَنا عشـية أنسـها والمزن يـبكيـنا بعـيـنى مـذنب
والشـمس قـد مدت أديم شـعـاعهـا فى الأرض تجنح غـيـر أن لم تذهب
خلت الرَّذاذ بُرادة من فـضـة قد غـربلت من فوق نطع[4] مذهب
[الكامل]

---

(١) الليل الشديد الظلمة. (٢) العسجد: الذهب.
(٣) ذنب الطائر. (٤) بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب قتلاً أو جلدًا .

٢٤ ـ لله دولابٌ يفـــيضُ بسَلْسل فـى روضـــــة أينعـت أفـنانا
قد طارحتـه بها الحمائم شجوها فـيجيبهـا ويرجّـع الألحانـا
فكـأنه دنفٌ يـدور بمعــهـد يبكى ويسـألُ فـيـه عـمَّن بانا(١)
ضاقت مـجارى طرفه عن دمـعه فـتـفـتـحت أضـلاعـه أجـفـانا
[الكامل]

٢٥ ـ أخــرس يـنبـيك بأطـرافـه عن كـلِّ مـا شـئت من الأمـر
يذرى على قـرطاسـه دمـعـه يبـدى لنا السِّر ومـا يدرى(٢)
كـعـاشق أخـفى هواه وقـد نمت عـليـه عـبـرةٌ تجـرى
[السريع]

٢٦ ـ الشمس من مشرقها قد بدت مـشـرقـة ليس لهـا حـاجبُ
كـأنهـا بودقـة(٣) أحـمـيت يجـول فـيـهـا ذهـبُ ذائبُ
[السريع]

٢٧ ـ قال الله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

٢٨ ـ إذاما تردَّى لأمة الحرب أرْعدت حشاالأرض واستدعى الرماح الشوارع
وأسـفَرَ تحت النقـع حـتى كـأنه صبـاحٌ مـشى ظلمـة الليل ساطعٌ
[الطويل]

٢٩ ـ وكـأنَّ أجـرام السـمَاء لوامـعـاً دُرَرٌ نُثرْن عـلى بسـاط أزرق
[الكامل]

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]

٣١ ـ وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]

---

(١) دنف: شدة مرض العشق، معهد: المنزل الذى يعود إليه القوم، بانا: فارق وبعد.
(٢) يذرى: يفرق، قرطاسه: الصفيحة التى يكتب فيها.
(٣) بودقة: بثرة أو نقطة حمراء من العين.

٣٢ ـ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾[يونس: ٢٤].

٣٣ ـ حمرُ السيوفِ كأنما ضَرَبَت لهم ... أيدى القيونِ صفائحاً من عسجد
فى فتية طلبوا غبارك إنه ... رَهجٌ ترفّع عن طريق السُّؤْدد
كالرُّمْحِ فيه بِضْعَ عشرة فقرةً ... مُنْقادة خلف السِّنان الأصيَدِ[1]
[الكامل]

٣٤ ـ خبِّريني ماذا كرِهْتِ من الشَّيْبِ ... فلا علم لى بذنْبِ المشيبِ
أضياء النهار أم وضح اللؤ ... لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لى فضل الشباب وما يَجْمَعُ ... من منظر يَروقُ وطيب
غَدْرُه بالخليل أم حُبُّه ... للغىِّ أم أنه كدهر الأديب
[الخفيف]

٣٥ ـ والبدْرُ أول ما بَدَا مُتَلثِّماً ... يُبْدى الضِّياءَ لنا بخدٍّ مُسفرِ
فكأنما هو خُوذةٌ من فضةٍ ... قد رُكِّبتْ فى هامَةٍ من عنبرِ
[الكامل]

٣٦ ـ خِلتُها فى المعَصْفرات القوانى ... وردة فى شقائق النُّعمان
[الخفيف]

٣٧ ـ شبّهتُ بدْرَ سمائنا لَمَّا دنت ... منه الثريَّا فى قميص سُنْدُس
مَلِكاً مهيباً قاعداً فى رَوضة ... حيَّاه بعض الزائرين بنرجس
[الكامل]

٣٨ ـ وإنى على إشفاق عينى من البكا ... لتجمح منى نظرةٌ ثم أُطرق
كما حلئت عن ماء بئر طريدةٌ ... تمدُّ إليها جيدَها وهى تفرَق
[الكامل]

٣٩ ـ أنا كالورد فيه راحةُ قومٍ ... ثم فيه لآخرين زُكامُ
[الخفيف]

---

(١) الرجل الذى يرفع رأسه كبرا.

٤٠ ـ يا حبذا يومُنا ونحن على ... رءوسنا نعقد الأكاليلا
فى جنة ذُلِّلَتْ لقاطفها ... قطوفُها الدانيات تذليلا
كأنَّ أُترجَّها تميل بها ... أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسلٌ من زبرجَدِ حملت ... من ذهب أصفر قناديلا

٤١ ـ كم والدِ يَحْرمُ أولادَهُ ... وخَيره يحظَى به الأبعد
كالعين لا تَنظر مَا حولها ... ولَحْظُها يُدرك ما يَبعُدُ
{السريع}

٤٢ ـ ريمٌ يَتيهُ بحُسن صورته ... عَبثَ الفتور بلحظ مُقلته
فكأنَّ عقرب صُدغه وقفتْ ... لمَّا دنتْ من نار وَجْنته
{الكامل}

٤٣ ـ وشادن أهيفَ حيًّا بنرجسة ... كأنها إذْ بدتْ فى غاية العجب
كفٌّ منَ الفضة البيضاء ساعدُهاَ ... زبَرجدٌ حمَلتْ كأساً من الذهب
{البسيط}

٤٤ـ نشر الجوّ على الأرض بَرَدْ ... أىّ دُرّ لنحور لو جَمَدْ
لؤلؤ أصدافه السحب التى ... أنجز البارق منها ما وعدْ
{المتقارب}

٤٥ ـ أبصرتُ طاقةَ نرجس ... فى كَفٍّ مَنْ أهواهُ غضَّه
فكأنها بُرْج الزَّبر ... جد أنبتتْ ذهباً وفضَّه
{مجزوء الكامل}

٤٦ ـ كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنار ... وتحت النار آسادٌ تزير
٤٧ ـ وما الناسُ إلا كالديار وأهلُها ... بها يَومَ حلُّوها وغَدوا بلاقع
{الكامل}

*****

بلاغة التشبيه

وبعض ما أثِرَ منه عن العرب والمُحدَثين

تَنشأُ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يُشبهُه، أو صورة بارعة تُمثله

وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ: فلانٌ يشبه فلاناً فى الطول، أو إنَّ الأرض تشبه الكُرة فى الشكل، لم يكن فى هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجُهْد أدبىّ، ولخلوّها من الخيال.

وهذا الضربُ من التشبيه: يُقصَد به البيان والإيضاح، وتقريب الشىء إلى الأفهام، وأكثر ما يُستعمل فى العلوم والفنون.

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه، حينما تسمع قول المعرّى يصف نجماً: [الخفيف]

يُسْرِعُ اللَّمْحَ فِى احْمِرَارٍ كما تُسْـ ـرِعُ فى اللَّمحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ

فإن تشبيه لمحاتِ النجم وتألقِه مع إحمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة، التى لا تنقاد إلا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر: [الخفيف]

وكَأنّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سنُنٌ لاحَ بينَهُنَّ ابْتدَاعُ

فإن جمال هذا التشبيه: جاء من شعورك ببراعة الشاعر، وحِذْقه فى عقد المشابهة بين حالتين، ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم فى رقعة الليل، بحال السنن الدِّينية الصحيحة، متفرقة بين البدعِ الباطلة.

ولهذا التشبيه: روعة أخرى، جاءت من أن الشاعر: تخيل أن السنن مضيئة لَّماعة، وأن البدع مظلمة قائمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبى: [الطويل]

بليتُ بِلى الأطلالِ إنْ لمْ أقفْ بها وُقوف شحيح ضاع فى التُّرب خاتمُه

يدعو الشاعر على نفسه بالبلى والفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بهـا، ثم أراد أن يصوِّر لك هيئة وقـوفه، فقال: كما يقف شـحيحٌ فقدَ خاتمه فى التراب، من كان يُوفق إلى تصـوير حال الذَّاهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المتنقل مـن مكان إلى مكان فى اضطراب ودهشة، بحـال شحيح فقد فى التراب خاتماً ثميناً.

هذه بلاغة التشبـيه من حيث مَبلغ طرافته، وبُعد مرمـاه، ومقدار ما فيه من خَيال.

أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التى يوضع فيها، فمتفاوتة أيضاً.

فأقل التشبيهات مرتبة فى البلاغة ما ذُكرتْ أركانه جميعُها؛ لأنَّ بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أنَّ المشبه عين المشبه به، ووجود الأداة، ووجه الشبه معاً، يَحُولانِ دُون هذا الادّعـاء ، فإذا حذفت الأداة وحـدَها، أو وجه الشـبه وحده، ارتفـعت درجة التشـبيه فى البلاغـة قليلاً، لأن حذف أحد هـذين يُقوّى ادعاء اتحاد المـشبه والمشبه به بعـض التقوية ـ أما أبلغ أنواع التشبـيه «فالتشبيه البليغ» لأنـه مبنىٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شىء واحد.

هذا ، وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه: الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد، والوجه الحسـن بالشمس والقمر، والشهم المـاضى فى الأمور بالأحلام، والوجه الصبيـح بالدينار، والشعر الفاحـم بالليل، والماء بالسيف، والـعالى المنزلة بالنجم، والحليم الرَّزين بالجبل، والأمانىِّ الكـاذبة بالعنقاء والماء الصافى باللُّجَيْن، والليل بمـوج البحر، والجيش بـالبحر الزَّاخر، والخَـيْلِ بالرِّيح والبَـرْق، والنجوم بالدُّرر، والأزهار والأسـنان بالبَرَد، واللؤلـؤ، والسفن بالجبال، والجـداولِ بالحيَّات المُلتوية، والشيب بالنهارِ، ولَمع السـيوف، وغُرَّة الفرس بالهلال، ويشبِّهون الجبانَ بالنَّعامة والذبابة، واللئيم بالثعلـب، والطائش بالفرَاش، والذليل بالوَتد، والقاسى

بالحديد والصخر، والبليد بالحمار، والبخيل بالأرض المُجْدِبة.

وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً - فجرى التشبيه بهم، فيشبه الوفيُّ بالسموأل[1] ، والكريمُ بحاتم. والعادل بعُمر[2]، والحليمُ بالأحنف[3]، والفصيح بسَحْبان، والخطيبُ بقُسٍّ[4] ،والشجاع بعمرو بن مَعْد يكربَ، والحليم بلقْمَان[5]، والذكي بإياس، واشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيُشبه الْعَيِيُّ بباقل[6]، والأحمق بهبنقَة[7]، والنادم بالكُسَعِيِّ،[8] والبخيل بمادر[9]، والهجَّاءُ بالحُطَيئة[10]، والقاسي بالحجاج[11] الثقفي: أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧هـ.

*****

---

(١) من شعراء الجاهلية توفى ٦٢ ق.هـ.

(٢) أول أمير للمؤمنين وخليفة المسلمين. اشتهر بالعدل والزهد والتواضع ونصر الله به الإسلام استشهد سنة ٢٣ هـ.

(٣) من سادات التابعين، عزيزا فى قومه، شهما حليما، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب توفى سنة ٦٧ هـ.

(٤) قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة.

(٥) حكيم مشهور منحه الله الحكمة.

(٦) اشتهر بالعى: اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهما، فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر؛ ففر الغزال فضرب به المثل فى العى.

٧ - لقب أبى الودعات: يزيد بن ثروان القيسى يضرب به المثل فى الحمق.

(٨) غامد بن الحرث خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمرَ مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها.

(٩) لقب رجل من بنى هلال اسمه مخارق وكان مشهورا بالبخل واللؤم.

(١٠) شاعر مخضرم كان هجاءً مقذعاً، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه وله ديوان شعر؛ توفى سنة ٤٠ هـ.

(١١) كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وله فى القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها.

الباب الثانى

فى المجـــــاز

المجاز مُشْــتقّ من جازَ الشئ يَجـوزُه، إذا تَعَدَّاهُ سَمَّوا به اللّفظ الذى نُقِلَ من معناهُ الأصلى، واستُعمِلَ ليدلّ على معنى غيره، مناسب له.

والمجاز: من أحسن الوسائل البيانية التى تهـدى إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنــى مُتَّصفاً بصفــة حسّية، تكاد تعرضــه على عيــان السَّامع، لهذا شغفت العــرب باستعمالَ المجاز لميلهَــا إلى الاتساع فى الكلام، وإلى الدلالة على كثــرة معانى الألفــاظ، ولما فيه من الدِّقة فى الــتعبيــر، فيحصل للنفس به سرور وأريحيَّة، ولأمــر مَّا كثر فــى كلامهم، حــتى أتوا فيه بكل معنىً رائق، وزيّنوا به خُطبهم وأشعارهم.

وفى هذا الباب مباحث:

*****

المبحث الأول

فى تعريف المجاز وأنواعه

المجاز: هو اللفظ المســتـعملُ فى غـيــر ما وضع لــه فى اصْطِلاَح التخــاطُب لعلاقة: مع قَرِينَةٍ، مانِعةٍ من إرادة المعنَى الوَضْعِى.

والعلاقة[1]: هى المناسَبَــةُ بين المعنى الحــقــيقى والمعنى المجــازى، قــد تكون المشابهة بين المعنيين وقد تكون غيرهما.

فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز: استعارة، وإلا فهو: مجاز مرسل.

والقرينة: وهى المانعــة من إرادة المعنى الحقيقى. قد تكون لــفظية، وقد تكون حالية، كما سيأتى:

وينقسم المجاز: إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مُرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة ويجريان فى الكلمة، ومــجاز مركب المرسل، ومجاز مركب بالاســتعارة ويجريان فى الكلام.

---

(١) هى المناسبة بين المعنى المنقــول عنه والمنقول إليه وسميت بذلك: فبهــا يتعلق ويرتبط [illegible] الثانى بالأول، فينتقل الذهن من الأول للثانى.

ومتى أطلق المجاز، انصرف إلى المجاز اللّغوى.

وأنواع المجاز كثيرة: أهمها المجاز المرسل وهو المقصود بالذات، وسيأتى مجاز، يُسَمَّى: المجاز العقلى ويجرى فى الإسناد.

*****

المبحث الثانى

فى المجاز اللغوى المفرد المرْسل(1) وعلاقاته

المجاز المفرد المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها الأصلى لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعى.

وله علاقات كثيرة، أهمها.

١ - **السَّببيَّة**: وهى: كون الشئ المنقول عنه سبباً، ومؤثراً فى غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب، وأريد منه **المُسَبَّب**، نحو: رَعَت الماشية الغيثَ، أى: النبات، لأن الغيثَ، أى: المطر سببٌ فيه.

وقرينته لفظية وهى: رعَت لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه.

ونحو: لفُلانٍ عَلَيَّ يَدٌ: تريد باليد: النّعمة، لأنها سبب فيها.

٢ - **والمُسببية**: هى: أن يكون المنقولُ عنه مُسبَّباً، وأثراً لشيء آخر، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ المسبب، وأُريد منه السَّبب، نحو: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] أى: مطراً يُسبِّبُ الرِّزق.

٣ - **والكُلِّيَّة**: هى: كونُ الشئ مُتضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الكل، أُريد منه الجزء، نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] أى أناملَهم والقرينة حالية وهى استحالة إدخال الإصبع كلَّه فى الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل، والمراد: بعضُه، وبقرينة: شربت.

٤ - **والجزئية**: هى: كون المذكور ضمنَ شئ آخر، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الجزء، وأُريد منه الكل، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]

---

(1) سمى (مرسلا) لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، فله علاقات كثيرة؛ تستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة وسمى «مرسلا» لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة.

ونحو: **نشر الحاكم عيونه في المدينة**: أي: **الجواسيس**، **فالعيون مجازٌ مرسل**، **علاقته الجزئية**، **لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها**، **والقرينة** الاستمالة.

٥ ـ **واللازميَّة**: هي: كون **الشيء يجب** وجوده، **عند** وجود شيء آخر، نحو: **طلع** الضَوء، أي الشمس، **فالضوء مجاز** مرسل، علاقته **اللازميَّةلأنه يوجد عند** وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاص، **وهو**: **عدم الانفكاك**.

٦ ـ **والملزومية**: هي: كون الشئ يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: **ملأت** الشمس المكان، أي الضَّوء، فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزوميَّة **لأنها** متى وُجدت وُجد الضّوء، **والقرينة**: **ملأت**.

٧ ـ **والآليَّة**: هي: كون الشيء واسطة لإيصال **أثَر** شيء إلى آخر، **وذلك فيما إذا** ذُكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذى ينتج عنه، نحو: ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ [الشعراء: ٨٤]، أى: **ذكراً حسناً فلسان بمعنى ذكر حسن مجازٌ** مرسل، علاقته الآليَّة لأن اللِّسَان آلَة فى الذكر الحسن.

٨ ـ **والتّقييد**: ثمّ الإطلاق: هو: كون الشيء مقَيْداً **بقيد أو أكثر**، **نحو**: **مِشْفَرُ زيدٍ مَجْرُوحٌ**، فإن المِشْفَر لغة: شَفَةُ البعير، **ثم أُريد هنا مطلق شفة**، **فكان في هذا** منقولاً عن المقيد إلى المطلق، وكان مجازاً مرسلاً، **علاقته التقييد**، **ثم نُقِل** من مطلق شفة، إلى شفة الإنسان، فكان مجازاً مرسلاً بمرتبتين، وكانت **علاقته** التّقييد والإطلاق.

٩ ـ **والعموم**: **هو**: كون الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ**﴾ [النساء: ٥٤] أى النبيﷺ. فالناس مجاز مرسل، **علاقته العموم**، **ومثله قوله** تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣] فإن المراد من الناس واحد، وهو: نعيم بن مسعود الأشجعي.

١٠ ـ **والخصوص**: هو: كون اللفظ خاصاً بشيء واحد، كإطلاق اسم **الشخص** على القبيلة نحو ربيعة وقريش.

١١ ـ **واعتبار ما كان**: هو: النظر إلى الماض، أى: تسمية الشيء باسم ما كان

عليه، نحو: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُم﴾ [النساء] أي: الذين كانوا يتامى ثم بلغوا

فاليتامى: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على القاصر حقيقته، وعلى ما عداه مجاز.

١٢ ـ **واعتبار ما يكون**: هو: النظر إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عصيراً يؤول أمرهُ إلى خمر، لأنه حالَ عصره لا يكون خمراً.

فالعلاقة هنا: اعتبار ما يئول إليه.

ونحو: ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧] والمولود حين يولد، لا يكون فاجراً، ولا كافراً. ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأطلق المولود الفاجر، وأريد به الرجل الفاجر، والعلاقة: اعتبار ما يكون.

١٣ـ **والحالية**: هي: كون الشيء حالاً في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال وأريد المحل لما بينهما من الملازمة، نحو: ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آلعمران:١٠٧] فالمراد من الرحمة الجنة التى تحل فيها رحمة الله. ففيه مجاز مرسل، علاقته الحالية وكقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] أي لباسكم، لحلول الزينة فيه، فالزينة حال، واللباس محلها، ونحو: وأرى بياضاً يظهر ويختفي، وأرى حركة تعلو وتسفل.

١٤ـ **والمحلية**: هي: كون الشيء يحلّ فيه غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل وأريد به الحال فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ [العلق: ١٧] والمرادُ مَن يحل فى النادى.

وكقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي: ألسنتهم، لأن القول لا يكون عادة إلا بها.

١٥ـ **والبدلية**: هي: كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣] والمراد: الأداء.

١٦ـ **والمبدلية**: هي: كون الشيء مـبدلاً منه شيء آخـر، نحو: أكلت دم زيد أي ديته. فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية لأن الدم: مبدل عنه الدية.

١٧ـ **والمجاورة**: هي: كـون الشيء بدلاً عن شـيء آخـر، نحـو كلمت الجـدار والعمود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٨ـ **والتعلق الاشتقاقي**: هو :إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك.

أ ـ كإطلاق االمصدر على اسم المفـعول، في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل :٨٨] أي مصنوعه.

ب ـ وكـإطلاق اسم الفـاعل على المصدر، في قـوله تعـالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي تكذيب.

جـ ـ وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفـعول، في قوله: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣] أي لا معصوم.

د ـ وكـإطلاق اسم المفـعول على اسم الـفاعل، في قـوله تعـالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدم، هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

*****

المبحث الثالث

فى تعريف المجاز العقلى[1] وعلاقاته

المجاز العقلى: هو إسناد الفعل، أو ما فى معناه من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له فى الظاهر، من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

أشهر علاقات المجاز العقلى

١ - **الإسناد إلى الزمان**: نحو: من سَرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانٌ أسند الإساءة والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

٢ - **الإسناد إلى المكان**، نحو: ﴿ وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٦] فقد أسندَ الجرى إلى الأنهار وهى أمكنة للمياه، وليست جارية بل الجارى ماؤها.

٣ - **الإسناد إلى السبب**، نحو: [البسيط]

إنى لمن معشرٍ أفنى أوائلهم　　قيلَ الكماة ألا أينَ المحامونا؟؟

فقد نُسِبَ الإفناء إلى قول الشجعان، هل من مبارز؟

وليس ذلك القول بفاعل له، ومؤثر فيه، وإنما هو سبب فقط.

٤ - **الإسناد إلى المصدر**: كقول أبى فراس الحمدانى: [الطويل]

سيذكرنى قومى إذا جدَّ جِدُّهُمْ　　وفى الليلة الظلماء يفْتقد البدرُ

فقد أسند الجد إلى الجد، أى الاجتهاد، وهو ليس بفاعل له، بل فاعله الجار، فأصله جد الجاد جداً. أى اجتهد اجتهاداً. فحذف الفاعلُ الأصلى وهو الجاد، وأسند الفعل إلى الجدّ.

٥ - **إسناد ما بنى للفاعل إلى المفعول**: نحو: سرنى الوامق فقد استعمل اسم الفاعل. وهو الوامق. أى: المحبٌ بدل الموموق.

أى: المحبوب. فإن المراد: سُرِرْتُ بمحادثة المحبوب.

٦ - **إسناد ما بنى للمفعول إلى الفاعل**: نحو: «جعلت بينى وبينك حجاباً مستوراً» أى ساتراً، فقد جعل الحجابُ مستوراً، مع أنه هو الساتر.

---

(١) سمى (عقليا) لأن التجوز فهم من (العقل) لا من اللغة كما فى المجاز اللغوى.

تنبيهات

١ ـ كما يكون هذا المجـازُ فى الإسناد. يقع فى النسبة الإضافيـة نحو: جرْى الأنهار وغراب البين. ومكْرُ الليل: فنسبة الجرى إلى الأنهـار مجاز علاقته المكانية. ونسبةٌ البين إلى الغراب. مجاز علاقته السببـية. ونسبة المكر إلى الليل مجاز علاقته الزمانية.

ب ـ الفعل المـبنى للفاعل واسم الفـاعل: إذ أسندا إلى المفعـول، فالعـلاقة المفعوليـة والفعل المبنى للمجهـول. واسم المفعول. إذا أسندا إلى الفاعل فـالعلاقة الفاعلية. واسم المفعـول المستعمل فى موضع اسم الفاعل مجاز: عـلاقته الفاعلية. واسم الفاعل المستعمل فى موضع اسم المفعول. مجاز علاقته المفعولية.

جـ ـ هذا المجاز: مادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، وطريق من طرق البيان لا يستغنى عنها واحد منهما.

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز المرسل، فيما يلى:

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غنَاء.

٤ ـ بنى إسماعيل كثيراً من المدارس بمصر.

٥ ـ تكادُ عطَايـاهُ يجـن جـنونها إذا لـم يعوِّدهـا برقيـة طالـب

[الطويل]

الإجابة

أ ـ عزًّا يخضب البيض بالدم.

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقى، لأن العز لا يخضب السيـوف ولكنه سبب القـوة، وجمع الأبطال الذين يخضـبون السـيف بالدم ففى

العبارة مجاز عقلى، علاقته السببية.

ب - ويوماً يغيظ الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقى، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ، ففى الكلام مجاز عقلى، علاقته الزمانية.

جـ - ﴿ **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [هود: ٤٣].

المعنى لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلى، علاقته المفعولية.

د - ذهبنا إلى حديقة غناء.

غناء مشتقة من الغن، والحديقة لا تغن، وإنما الذى يغن عصافيرها أو ذبابها. ففى الكلام مجاز عقلى، علاقته المكانية.

هـ - بنى جمال كثيراً من المدارس.

جمال، رئيس الجمهورية العربية المتحدة لم يبن بنفسه ولكنه أمر، ففى الإسناد مجاز عقلى، علاقته السببية.

و - تكاد عطاياه يجن جنونها، إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى، علاقته المصدرية.

نموذج آخر

بين المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يلى:

١ - أهلكنا الليل والنهار[١]

٢ - منزل عامر بنعم الله[٢]

٣ - أنشأ وزير التربية عدة مدارس[٣]

٤ - مشرب عذب[٤]

٥ - هذا يوم عصيب[٥]

٦ - ربحت تجارتهم[٦]

---

(١) مجاز عقلى، علاقته السببية.

(٢) مجاز عقلى، علاقته المفعولية.

(٣) مجاز عقلى، علاقته السببية.

(٤) مجاز علاقته المكانية.

(٥) علاقته الزمانية.

(٦) علاقته المفعولية.

بلاغة المجاز المرسل[1] والمجاز العقلى

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل والعقلى رأيت أنها فى الغالب تؤدى المعنى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: هزم القائد الجيش أو قرر المجلس كذا كان ذلك أوجز من أن تقول: هزم جنود القائد الجيش أو قرر أهل المجلس كذا ولاشك أن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة فى هذين المجازين، هو المهارة فى تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلىّ والمعنى المجازى، بحيث يكون المجاز مصوّراً للمعنى المقصود خير تصوير كما فى إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثر بالوشاية، والخفّ والحافر على الجمال والخيل، فى المجاز المرسل وكما فى إسناد الشىء: إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه، فى المجاز العقلى.

فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوىُّ، والمكان والزمان المختصان.

وإذا دققت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل، والمجاز العقلى لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثر فى جعل المجاز رائعاً خلاباً، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل كما إذا قلت «فلان فَمٌ» تريد أنه شرهٌ، يلتقِمُ كل شىء.

ونحوه: «فلان أنف» عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف، فتبالغ فتجعلَه كله أنفاً.

ومما يؤثر عن بعض الأدباء فى وصف رجل أنافى قوله: «لستُ أدْرى: أهُوَ فى أنفهِ، أم أنفه فيه؟؟

*****

(١) المجاز المرسل: سبيل إلى اتساع اللغة والإعانة كل الافتنان فى التعبير، ومساعدة الكاتب على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة وقد تدعو إليه كما فى (الطراز) حلية لفظية من تقفية أو ضرورة شعرية، أو مشاكلة، أو اختصار أو خفة فى لفظه وكثيرا ما يكون الداعى إليه الرجوع إلى المعنى ١/ ٧٥، ٨٠.

المبحث الرابع

فى المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد:

سبق: أن التشبيه أول طريقة دلت عليها الطبيعة، لإيضاح أمر يجهله المخاطب، بذكر شيء آخر، معروف عنده، ليقيسه عليه، وقد نتج من هذه النظرية، نظرية أخرى فى تراكيب الكلام، ترى فيها ذكر المشبه به فقط. وتسمى هذه بالاستعارة، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه، وأشد وقعاً فى نفس المخاطب، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق فى سماء الخيال، كان وقعها فى النفس أشد، ومنزلتها فى البلاغة أعلى.

وما يبتكره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة، التى تأخذ بمجامع الأفئدة، وتملك على القارئ والسامع لهما وعواطفهما هو سر بلاغة الاستعارة.

فمن الصور المجملة التى عليها طابع الابتكار وروعة الجمال قول شاعر الحماسة:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

[البسيط]

فإنه قد صور لك الشر، بصورة حيوان مفترس مكشر عن أنيابه مما يملأ فؤادك رعباً. ثم صور القوم الذين يعنيهم، بصور طيور جوارح تطير إلى مصادمة الأعداء، طيراناً ممايستثير إعجابك بنجدتهم، ويدعوك إلى إكبار حميتهم وشجاعتهم.

ومنهم: من يعمد إلى الصورة التى يرسمها، فيفصل أجزاءها، ويبين لكل جزء مزيته الخاصة. كقول امرئ القيس فى وصف الليل بالطول: [الطويل]

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فإنه لم يكتف بتمثيل الليل، بصورة شخص طويل القامة، بل استوفى له جملة أركان الشخص، فاستعار «صلباً يتمطى» به، إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله تمطيه، وبالغ فى ذلك بأن جعل له «أعجازاً» يردف بعضها بعضاً، ثم أراد أن

يصفه بالثـقل على قلب ساهرة، فاستعار له كـلكلاً ينوء به أى يثقل به ولا يخفى عليك ما يتركـه هذا التفصيل البديع فى قلب سامـعه من الأثر العظيم، والارتياح الجميل.

ومنهم: من لا يكتفى بالصـورة يرسمها، بل ينظر إلى مـا يترتب على الشئ فيعقب تلك الصورة بأخرى أشد وأوقع، كقول أبى الطيب المتنبى: [الوافر]

رمـــانـى الدهر بالأرزاء حـــتى فـــؤادى فى غـــشـــاء من نبـــال[1]
فـصــرت إذا أصــابـتنى سـهــام تكســـرت النصـال على الـنصـال[2]

فإن لم يكتف بتصويره المصـائب سهاماً فى سرعة انصبابهـا، وشدة إيلامها، ولا بالمبالغة فى وصف كـثرتها، بأن جعل منهـا غشاء محيطاً بفـؤاده، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة والكثافة، بحيث إن تلك النصال مع استمرار انصبابها عليه، لا تجد منفذاً إلـى فؤاده، لأنها تتكسر على النصـال التى سبقتهـا، فانظر إلى هذا التمثيل الرائع، وقل لى: هل رأيت تصويراً أشد منه لتراكم المصائب والآلام؟

تعريف الاستعارة وبيان أنواعها

الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المال: طلبه عارية.

واصطلاحاً: هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى.

والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مـختصراً، ولكنها أبلغ منه كقولك: رأيت أسداً فى المدرسة، فـأصل هذه الاستعـارة «رأيت رجلاً كـالأسد فى المدرسة» فـحذفت المشبـه «لفظ رجلاً» وحـذفت الأداة «الكاف» وحذفت وجه التـشبـيه «الشجـاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة» لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

وأركان الاستعارة ثلاثة.

١ ـ **مستعار منه**: وهو المشبه به.

٢ ـ **ومستعار له**: وهو المشبه.

(١) الأرزاء: جمع: رزء: المصيبة العظيمة: الأرزاء المصائب العظام. غشاء: الغلاف.

(٢) النبال: السهام جمع مفردها نبلة: مصدر النبل، النصال: حدائد السهام واحدها: نصل.

{ويقال لهما الطرفان}

٣ ـ ومستعار: وهو اللفظ المنقول.

فكل مجاز يبنى على التشبيه يسمى استعارة.

ولابد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل ولابد أيضاً من تناسى التشبيه الذى من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به. أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلى. بأن يكون اسم جنس أو علم جنس ولا تتأتى الاستعارة فى العلم الشخصى لعدم إمكان دخول شىء فى الحقيقة الشخصية، لأن نفس تصور الجزئى يمنع من تصور الشركة فيه. إلا إذا أفاد العلم الشخصى وصفاً. به يصح اعتباره كلياً. فتجوز استعارته: كتضمن حاتم للجود، وقس للفصاحة، فقال: رأيت حاتماً،وقساً، بدعوى كلية حاتم ،وقس، ودخول المشبه فى جنس الجواد والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع فى الكتابة، لأنها تجدى الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

*****

المبحث الخامس

فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية[1] أو مصرحة نحو:

فأمطرت لُؤلُؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وعضَّتْ على العُنّاب بالبَرَد

{البسيط}

فقد استعار: الُلؤلؤ، والنَّرْجس، والوَرْد، والعُنَّاب، والبَرَد.

للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

وإذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمة، المُسَمَّى «تخييلاً» فاستعارة مكْنيَّة[2] أو بالكناية، كقوله: {الكامل}

وإِذَا المنيّةُ أنشَبَتْ أَظْفَارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

---

(١) أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه.

(٢) مخفى فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شىء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

فقد شبه المنية، بالسبع، بجامع الاغتيال فى كل، واستعار السبع للمنية وحذفه، ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها لفظة «أظفار».

ثم أخذ الوهم: فى تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار ثم أطلق على الصورة التى هى مثل صورة الأظفار، لفظ «الأظفار».

فتكون لفظة: «أظفار» استعارة تخييلية لأن المستعار له لفظ «أظفار» صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية، وقرينتها إضافتها إلى المنية.

ونظراً إلى أن الاستعارة تخييلية قرينة المكنية، فهى لازمة لا تفارقها، لأنه لااستعارة بدون قرينة.

وإذاً: تكون أنواع الاستعارة ثلاثة: تصريحية، ومكنية، وتخييلية.

*****

المبحث السادس

فى الاستعارة باعتبار الطرفين[1]

إن كان المستعار له محققاً حساً بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية كقولك: رأيت بحراً يعطى.

أو كان المستعار له محققاً عقلا بأن يمكن أن ينص عليه. ويشار إليه إشارة عقلية، كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أى: الدين الحق، فالاستعارة تحقيقية.

وإن لم يكن المستعار له محققاً، لا حساً ولا عقلاً فالاستعارة تخييلية وذلك: كالأظفار، فى نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان.

---

(١) المذاهب فى: التخييلية أربعة: الأول: مذهب السلف والخطيب: جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة فى حقيقتها. والتجوز إنما فى الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهى من المجاز العقلى. الثانى: مذهب السكاكى: وهو أن قرينة المكنية، تارة تكون تخييلية: مستعارة لأمر وهمى. «كأظفار المنية» وتارة تكون تحقيقية مستعارة لأمر محقق « ابلعى ماءك، وتارة تكون حقيقية. أنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين المكنية والتخييلية. الثالث: مذهب صاحب الكشاف. وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية، وتارة تخييلية أى مجازاً فى الإثبات. الرابع: مذهب صاحب السمرقندية. مثل الثالث: والفرق بينهما فعند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه، والأخر: على الإمكان، وعدمه وسيأتى فى ص٢٥٧ وما بعدها.

المبحث السابع

فى الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ - إذا كان اللفظ المستعار «اسماً جامداً لذات» كالبدر إذا استعير للجميل، أو اسماً جامداً لمعنى، كالقتل إذا استعير للضرب الشديد.

سميت الاستعارة «أصلية» فى كل من التصريحية والمكنية كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1] [إبراهيم: ١].

وكقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وسميت أصلية: لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولا.

كقول البحترى: [الوافر]

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد

٢ - وإذا كان اللفظ المستعار فعلاً أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً أو حرفاً فالاستعارة تصريحية تبعية نحو: نامت همومى عنى.

ونحو: صه: الموضوع للسكوت عن الكلام، والمستعمل مجازاً فى ترك الفعل ونحو: الجندى قاتل اللص، بمعنى ضاربه ضرباً شديدا ونحو: هذا، الموضوعة للإشارة الحسية، والمستعملة مجازاً فى الإشارة العقلية نحو: هذا رأى حسن، ونحو: قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2] [طه: ٧١] ونحو قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

٣ - وإذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً دون باقى أنواع التبعية المتقدمة فالاستعارة تبعية مكنية.

وسميت تبعية لأن جريانها فى المشتقات والحروف، تابع.

ولجريانها أولاً: فى الجوامد، وفى كليات معانى الحروف.

يعنى: أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى، لأنها فى المشتقات تابعة للمصادر.

---

(١) إجراء الاستعارة: شبهت الضلالة بالظلمة، والدين بالنور بجامع عدم الاهتداء فى الضلالة والظلمة، وجامع الهداية فى كل من الدين والنور واستعار المشبه به فى الأول: الظلمة وفى الثانى: النور وحذف المشبه فى كل على سبيل الاستعارة التصريحية».

(٢) شبه مطلق استعلاء (على) بمطلق ظرفية (فى) بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين =

ولأنها فى معانى الحروف تابعة لمتعلق معانيها، إذ معانى الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلى مستقل بالمفهومية. ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها أو محكوماً عليها، أو بها.

نحو: ركب فلان كتفى غريمه[1] أى: لازمه ملازمة شديدة.

وكقوله تعالى: ﴿ أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٥]، أى تمكنوا من الحصول على الهداية التامة، ونحو: أذقته لباس الموت أى ألبسته إياه.

*****

تنبيهات عشرة

التنبيه الأول: كل تبعية قرينتها مكنية.

التنبية الثانى: إذا أجريت الاستعارة فى واحدة من الاستعارة التصريحية أو فى الاستعارة المكنية، امتنع إجراؤها فى الأخرى.

التنبيه الثالث: تقسيم الاستعارة إلى: أصلية وتبعية عام فى كل من الاستعارة التصريحية والمكنية.

التنبيه الرابع: تبين أن الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى.

أو هى: مجاز لغوى علاقته المشابهة، كقول زهير: [الطويل].

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ... له لبدٌ أظفاره لم تقلم

فقد استعار الأسد: للرجل الشجاع. لتشابههما فى الجراءة.

والمستعار له هنا: لفظ محقق حساً.

وكقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق، لتشابههما فى أن كلاً يوصل إلى المطلوب.

وكقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم: ١]

= للجزئيات التى هى معانى الحروف فاستعير لفظ (فى) الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية لمعنى (على) على سبيل الاستعارة التصريحية. وسيأتى موضحا فى ص ٢٦٠

(١) شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ: المشبه به وهو الركوب لـ وهو اللزوم وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

أى من الضلال إلى الهدى، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال، لتشابههما فى عدم اهتداء صاحبيهما، ثم استعير لفظ الظلمات للضلال وكذلك استعير لفظ النور. للإيمان. لتشابههما فى الهداية، والمستعارات وهو الضلال والإيمان، كل منها محقق عقلاً وتسمى هذه الاستعارات تصريحية وتسمى تحقيقية، وأما قول أبى ذؤيب الهذلى: [الكامل].

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فشبه المنية بالسبع. فى اغتيال النفوس قهراً. من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولم يذكر لفظ المشبه، بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها التى لا يكمل الاغتيال فى السبع إلا بها. تنبيهاً على المشبه به المحذوف.

فهو استعارة مكنية وكقوله: [الكامل].

ولئن نطقت بشكر برّك مفصحاً فلسان حالى بالشكاية أنطقُ

فشبه الحال: بإنسان ناطق فى الدلالة على المقصود، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل ذكر لازمه. وهو اللسان الذى لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به، تنبيهاً به عليه، فهو أيضاً استعارة مكنية.

وقد أثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به، لا يكون إلا به كماله أو قوامه فى وجه الشبه كالأظفار التى لا يكمل الافتراس إلا بها.

كما فى المثال الأول واللسان الذى لا تقوم الدلالة الكلامية فى الإنسان إلا به، كما فى المثال الثانى وليس للمنية شئ كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ، ولا للحال شئ كاللسان نقل إليه لفظ اللسان.

وما كان هذا حاله يعتبر طبعاً تخييلاً أو استعارة تخييلية.

التنبيه الخامس: تقدم أن الاستعارة «التصريحية أو المصرحة»: هى ما صرح فيها بلفظ المشبه به وأن «المكنية»، هى ما حذف فيها المشبه به، استغناء ببعض لوازمه التى بها كماله أو قَوامه فى وجه الشبه وأن إثبات ذلك اللازم تخييل أو استعارة تخييلية.

غير أنهم اختلفوا فى تعريف كل من المكنية والتخييلية.

فمذهب السلف: أن المكنية: اسم المشبه، المستعار فى النفس للمشبه، وأن إثبات لازم المشبه للمشبه استعارة تخييلية فكل من الأظفار فى قوله: وإذا المنية أنشبت أظفارها. واللسان فى قوله: فلسان حالى بالشكاية انطقُ حقيقةٌ؛ لأنه مُستعمل فيما وضع له.

ومذهب «الخطيب القزوينى» أن المكنية هى التشبيه المضمر فى النفس، المرموز إليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه، وهذا الإثبات هو: الاستعارة التخييلية.

ومذهب «السكاكى» أن المكنية لفظ المشبه، مُراداً به المشبه به فالمراد بالمنية فى قوله: وإذا المنية أنشبت أظفارها هو السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع، بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواص السبع إليها. **والتخييلية** عنده ما لا تحقق لمعناه. لا حساً ولا عقلاً بل هو صورة وهمية محضة: **كالأظفار** فى ذلك المثال فإنه لما شبه المنية، بالسبع فى الاغتيال، أخذ الوهم يصورها بصورته. ويخترع لها لوازمه، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار. ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الأظفار استعارة تصريحية تخييلية.

أما أنها تصريحية، فلأنه صرح فيها بلفظ المشبه به، وهو اللازم الذى أطلق على صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة.

أما أنها تخييلية فلأن المستعار له غير محقق لا حساً ولا عقلاً. والقرينة على نقل الأظفار من معناها الحقيقى إلى المعنى المتخيل، إضافتها إلى المنية.

هذا، ومذهب السكاكى فى المكنية مردود عليه.

بأن لفظ المشبه فيها مستعمل فيما وضع له تحقيقاً، للقطع بأن المراد بالمنية الموت لا غير: فليس مستعاراً.

التنبيه السادس: الاستعارة صفة للفظ على المشهور، والحق أن المعنى يعار أولا ثم يكون اللفظ دليلاً على الاستعارة، وذلك:

١ ـ لأنه إذا لم يكن نقل الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً لم يكن ذلك استعارة مثل الأعلام المنقولة فأنت إذا سميت إنساناً بأسد، أو نمر، أو كلب، لا يقال إن هذه الأسماء مستعارة؛ لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديراً.

٢ - ولأن البلغاء: جزموا بأن الاستعارة؛ أبلغ من الحقيقة فإن علم نقلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى، لم يكن فيه مبالغة، إذا لا مبالغة فى إطلاق الاسم المجرد عن معناه.

التنبيه السابع: ظهر أن الاستعارة باعتبار اللفظ نوعان :أصلية وتبعية.

فالأصلية: ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم ذات كأسد للرجل الشجاع، أم اسم معنى، كقتل للإذلال، وسواء أكان اسم جنس حقيقة كأسد وقتل أم تأويلاً كما فى الأعلام المشهورة بنوع من الوصف كحاتم فى قولك: رأيت اليوم حاتماً تريد رجلاً كامل الجود فاعتبر لفظ حاتم فى قوة الموضوع لمفهوم كلى، حتى كاد يغلب استعماله فى كل من له وصف حاتم، فكما أن أسداً يتناول الحيوان المفترس والرجل الشجاع: كذلك حاتم يتناول الطائى وغيره دعاء، ويكون استعماله فى الطائى حقيقة وفى غيره مجازا؛ لأن الاستعارة مبنية على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلابد أن يكون المشبه به كلياً ذا أفراد. والمراد باسم الجنس غير المشتق ما صلح لأن يصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الأوصاف فى الدلالة.

وليس العَلَم الشخصى واسم الإشارة والضمير والموصول من الكليات، فلا تصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية. أما المشتق فالصفة جزء من مدلوله وضعاً، لأنه موضوع لذات متصفة بصفة؛ ف «كريم»: موضوع لذات متصفة بالكرم، و«قتل»: موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها.

وقد اعتبرت الأعلام التى تتضمن معنى الوصف: اسم جنس تأويلاً ولم تعتبر من قبيل المشتق، لأن الوصف ليس جزءاً من معناها وضعاً، بل هو لازم له، غير داخل فى مفهومه، ف «حاتم». لم يوضع للدلالة على الجود ولا على ذات متصفة به، ولكن الجود عرض له. ولزمه فيما بعد.

التنبيه الثامن: التبعية ما كان فيها المستعار مشتقاً، ويدخل فى هذا: الفعل والاسم المشتق، والحرف.

فاستعارة الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ١١] ونحوقوله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا** ﴾[الأعراف: ١٦٨] ونحو قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤].

١ ـ يقال: شبه زيادة الماء زيادة مفسدة، بالطغيان، بجامع مجاوزة الحد فى كل، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه: على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتق من الطغيان بمعنى الزيادة طغى بمعنى زاد، وعلا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

هذا: وقد يستعمل لفظ الماضى موضع المضارع، بناء على تشبيه المستقبل المحقق، بالماضى الواقع، بجامع تحقق الوقوع فى كل، ونحو: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]

وقد يعبر بالمضارع عن الماضى؛ بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر فى استحضار صورته الماضية، لنوع غرابة فيها.

نحو: قوله تعالى ﴿إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ﴾

التنبيه التاسع: استعارة المشتق: إما صفة، وإما اسم زمان، أو مكان أو آلة فالصفة، نحو: حكم على قاتلك بالسجن، من القتل بمعنى الضرب الشديد، مجازاً.

ونحو: إنما أصادق الأصم عن الخنى، وأجاور الأعمى عن العورات، ونحو: فلسان حالى بالشكاية أنطق، أى أدل.

ونحو قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ونحو: جئت بمقتالك، أى بالآلة التى أضربك بها ضرباً شديداً.

التنبيه العاشر: مدار قرينة التبعية فى الفعل والمُشتق على ما يأتى:

١ـ على الفاعل: نحو: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ»، ونطقت الحال بكذا[1].

٢ـ أو على نائبه: نحو: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والْمَسْكَنَةُ»[2].

٣ ـ أو على المفعول به: نحو:

جمع الحقّ لنا فى إمامٍ   قتل البخل وأحيا السماحا[3].

[المديد]

٤ـ أو على المفعول به الثانى ـ نحو: [الوافر]

صبحنا الخزرجية مُرْهفات   أباد ذوى أرومتها ذووها[4].

---

(١) النطق والطغيان من شأن الإنسان   (٢) الضرب: من شأن الخيام لا من شأن الذلة: وهى أمر معنوى.
(٣) القتل والإحياء لا يقعان إلا على ذى روح، والبخل والسماح معنويان لا روح فيهما.
(٤) القرينة تعلق الفعل «صبح» بمرهفات.

٥ ـ أو على الفاعل والمفعولين، كقول الشاعر: [البسيط]

تَقَرى الرياحُ رياض الحزن مزهرة   إذا سرى النومُ فى الأجفان إيقاظا.

٦ ـ أو على المفعولين؛ كقوله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَمًا**﴾.

٧ ـ أو على المجرور: نحو: ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ ونحو: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر: ٩٤] ونحو: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ**﴾ [الأنبياء: ١٨] هذا وقد تكون قرينة التبعية غير ذلك، نحو: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾ [يس: ٥٢] إذ القرينة **فى** هذه **الآية،** كونه من كلام الموتى، مع قوله: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢].

التنبيه الحادى عشر: استعارة الحرف نحو: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾ [القصص: ٨] فقد شبه مطلق ترتب علة واقعية على فعل، بمطلق ترتب علة غائية على فعل، بجامع مطلق الترتب فى كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعمل فى جزئى المشبه اللام الموضوعة لجزئى المشبه به على سبيل الاستعارة التبعية، ونحو قوله تعالى: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه: ٧١] ونحو قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٥]، ونحو: زيد فى نعمة.

ومن هذه الأمثلة السابقة: نتبين أنه لا يُشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه.

واختار السكاكىّ تقليلاً لأقسام الاستعارة: أن يستغنى عن التبعية فى الفعل، والمشتق، والحرف، بأن يجعل قرينة التبعية، استعارة مكنية، وأن يجعل التبعية، قرينة للمكنية؛ ففى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١] يجعل القوم الطغيان مستعاراً لكثرة المفسدة.

ويقول «السكاكى» فى لفظ الماء استعارة مكنية، ونسبة الطغيان إليه قرينة.

*****

المبحث الثامن

فى تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعناية: هى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لتنافيهما كاجتماع النور والظلام.

والوفاقية: هى التى يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد، لعدم التنافى كاجتماع النور والهُدى.

ومثالهما قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاه ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أى ضالاً فهديناه.

ففى هذه الآية استعارتان.

الأولى: فى قوله ميتاً شبه الضلال، بالموت، بجامع ترتب نفى الانتفاع فى كل.

واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال، ميتاً بمعنى ضالاً، وهى عنادية، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال، فى شىء واحد.

والثانية: استعارة الأحياء للهداية، وهى وفاقية لإمكان اجتماع الإحياء والهداية فى الله تعالى: فهو مُحيىِ وهاد.

ثم العنادية: قد تكون تمليحية، أى المقصود منها التمليح والظرافة.

وقد تكون تهكمية أى المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف، على ضدِّه أو نقيضه، نحو رأيت أسداً تريد جباناً، قاصداً التمليح والظرافة، أو التهكم والسخرية: وهما اللتان نُزِّل فيهما التضاد، منزلة التناسب - نحو:

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤] أى أنذرهم فاستعيرت البشارة التى هى الخبر السار، للإنذار الذى هو ضده بإدخال الإنذار فى جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء.

وكقوله تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣].

المبحث التاسع

فى تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان:

١ـ عامية: وهى القريبة المبتذلة التى لاكتها الألسن، فلا تحتاج إلى بحث: ويكون الجامع فيها ظاهراً نحو: رأيت أسداً يرمى.

وكقوله:

وأدهم يستمدُّ الليلُ منه   وتطلع بين عينيه الثريَّا

[الوافر]

فقد استعار الثريا، لغُرَّة المهر،و والجامع بين الطرفين ظاهر، وهو البياض وقد يتصرَّف فى العامية بما يخرجها إلى الغرابة.

٢ـ وخاصية: وهى الغريبة التى يكون الجامع فيها غامضاً، لا يدركه إلاَّ أصحاب المدارك من الخواص كقول كثيِّر يمدح عبد العزيز بن مروان: [الكامل]

غمرُ الرِّداء، إذا تبسم ضاحكاً   غلقتْ لضحكته رقابُ المال

غمرُ الرِّداء كثير العطايا والمعروف استعار الرِّداء للمعروف، لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

وهذه الاستعارة لا يظفرُ باقتطاف ثمارها إلا ذَوُو الفِطَر السليمة والخبرة التامة.

*****

المبحث العاشر

فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملاءمات، وعدم اتصالها

تنقسم الاستعارة: باعتبار ذكر ملائم المستعار منه أو باعتبار ذكر ملائم المستعار له أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أحدهما.

إلى ثلاثة أقسام: مطلقة، ومرشحة، ومجردة.

أ ـ فالمطلقة: هى: التى لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به، نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧، الرعد: ٢٥] أو ذكر فيها ملائمهما معاً، كقول زهير: [الطويل]

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبدٌ أظفاره لم تُقلم

استعار الأسد: للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار، فى قوله: شاكى السلاح مقذف وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، فى قوله: له لبدٌ أظفاره لم تقلم وهو الترشيح، «واجتماع التجريد والترشيح» يؤدى إلى تعارُضهما وسقوطهما، فكأن الاستعارة لم تقترن بشىء وتكون فى رتبة المطلقة.

ب ـ والمرَشحة: هى: التى قرنت بملائم المستعار منه أى المشبه به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الرِّبح والتجارة ونحو: من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته.

وسميت مرشحة: لترشيحها وتقويتها بذكرى الملائم، وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه.

جـ ـ والمجرَّدة: هى: التى قرنت بملائم المستعار له أى المشبه نحو: اشتر بالمعروف عِرضك من الأذى.

وسمِّيت بذلك: لتجريدها عن بعض المبالغة، لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به

بعض بُعد؛ وذلك يبعد دعوى الاتحاد الذى هو مبنى الاستعارة.

ثم اعتبار الترشيح والتجريد: إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية ـ فلا تعد قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً بل الزائد على ما ذكر.

واعلم أن (الترشيح) أبلغ من غيره، لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسى التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه لا شىءٌ شبيهٌ به وكأن الاستعارة غير موجودة أصلاً، والإطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع؛ لأن به تضعف دعوى الاتحاد.

وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريد: فتكون الاستعارة فى رُتبة المطلقة، إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله.

وكما يجرى هذا التقسيم فى التصريحية يجرى أيضاً فى المكنية.

*****

المبحث الحادى عشر

فى المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعملُ فى غير المعنى الذى وضع له، لعلاقة غير المشابهة: مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعى.

ويقع أولاً: فى المركبات الخبرية المستعملة فى الإنشاء وعكسه، لأغراض.

١ـ منها: التَّحَسُّر وإظهار التأسف كما فى قول الشاعر: [الكامل]

ذهب الصِّبا وتوَلت الأيامُ　　فَعَلى الصِّبا وعلى الزَّمان سلامُ

فإنه وإن كان خبراً فى أصل وضعه، إلا أنه فى هـذا المقام مستعمل فى إنشاء التحسر والتحزن على ما فات من الشباب.

وكما فى قول جعفر بن علبة الحارثى: [الطويل]

هَوَاىَ معَ الرَّكب اليمانينَ مُصْعدٌ　　جنيب وجثمانى بمكة موثقُ

فهو يشيرُ إلى الأسف والحزن الذى ألم به من فراق الأحبة، ويتحسَّرُ على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك حال المتكلم، كما يفهم من الشطر الثانى فى قوله هَوَاىَ، الخ.

٢ـ ومنها: إظهار الضعف، كما فى قوله: [الخفيف]

رَب إنِّى لا أستطيعُ اصطباراً ... فاعف عنِّى يا منْ يُقيلُ العثارا.

٣ ـ ومنها: إظهار السرور، نحو: كُتِبَ اسمى بين الناجحين.

ومنها: الدعاء، نحو: نجَّحَ الله مقاصدنا، أيها الوطن لك البقَاء.

وثانياً: فى المركبات الإنشائية: كالأمر، والنهى، والاستفهام، التى خرجت عن معانبها الأصلية، واستعملت فى معان أُخر: كما فى قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كذَب على متعمداً فليَتَبوأ مقعده من النارِ».

إذ المراد«يتبوأُ مقعدهُ» والعلاقة فى هذا السَّببيَّة والمسببية لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما يتضمَّنُهُ، فظاهره أمرٌ، ومعناه خبر.

*****

المبحث الثانى عشر

فى المجاز المركب[1] بالاستعارة التَّمثيلية

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيبٌ استعمل فى غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعى، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدِّد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين. أو أمور بأخرى ثم تدْخل المشبه فى الصورة المشبهة بها. مبالغة فى التشبيه، ويسَمَّى بالاستعارة التمثيلية وهى كثيرة الورود فى الأمثال السائرة، نحو: (الصيف ضيَّعت اللبن)، يضرب لمن فرَّط فى تحصيل أمر فى زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه فى زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه، ونحو: «إنى أراك تقدّم

(١) هو تركيب استعمل فى ما يشبه بمعناه الأصلى: تشبيه التمثيل.

رِجْلاً وتؤخرُ أخرى» يضرب لمن يتردد فى أمر، فتارة يقدم وتارة يحجم، ونحو: «أحَشفاً وسوء كيلة» يضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله أن رجلاً اشترى تمراً من آخر، فإذا هو رَدىء، وناقص الكيل، فقال المشترى ذلك ومثل ما تقدم جميعُ الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن النثر قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفى، وهو مستتر تحت أمر ظاهر:

«لأمر ما جَدَعَ قصيرٌ أنفه» وقولهم: «تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها» وقولهم: لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه «اليد لا تصفق وحدها» وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر: «عاد السيف إلى قرابه، وحل الليث منيع غابه» وقولهم: لمن يأتى بالقول الفصل:

(قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطيب).

ومن الشعر قول الشاعر: [المتقارب]

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السِّحر والساحرُ

وقول آخر: [الوافر]

إذا قالت حَذام فصَدِّقوها ... فإن القولَ ما قالت حذامِ

وقول آخر: [الطويل]

متى يَبلغ البنيانُ يوماً تَمامَهُ ... إذا كنتَ تبنيه وغيرُكَ يهدِمُ

وإذا فشتْ وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها تكون مثلاً لا يغير مطلقاً، بحيثُ يخاطب به المفرد، والمذكر، وفروعهما بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإن لم يطابق المضروب له.

ولذا: كانت هذه الاستعارة محط أنظار البلغاء، لا يعدلون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهى أبلغ المجاز مفرداً أو مركباً، إذا مبناها تشبيه التمثيل: الذى

قد عرفت أن وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة.

ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته، وقد كثر ذلك في القرآن الكريم كثرة كانت إحدَى الحُجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضعُ أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة، وسموّ الخيال، تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة المرشحة لذكر ما يناسب المستعار منه فيها، بناء على الدعوى، بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم تليها المطلقة لترك ما يناسب الطرفين فيها، بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها المجردة لذكر ما يناسب المستعار له فيها، بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

ولابد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة، من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، ومن كون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، ومن عدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جلياً، لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية.

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ما هي الاستعارة؟ ما أركانها؟ كم قسماً الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟ ما أصل الاستعارة؟ ما هي الاستعارة التصريحية؟ كم قسماً الاستعارة التصريحية؟ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له، والمستعار منه؟ ما هي الاستعارة المرشحة؟ ما هي الاستعارة المجردة؟ ما هي الاستعارة المطلقة؟ كم قسماً للاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ ما هي الاستعارة الوفاقية؟ ما هي الاستعارة العنادية؟ كم قسماً الاستعارة باعتبار الجامع؟ ما هي العامية؟ ما هي الخاصية؟ ما هي التمليحية؟ ما هي التهكمية؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع

حسى؟ ما مثـال الطرفين الحسيين والجامع عقلى؟ما مثـال الطرفين العقليين والجامع عقلى؟ ما مثال المستعار منه الحسى والمستعار له العقلى؟ ما مثال المستعار منه العقلى والمستعار الحسى؟ ما هى الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟ ما مثال المستعار بالكناية عند السكاكى؟ مـا هى الاستـعارة بالكـناية عند الخطيب؟ كم قسـماً للاسـتعـارة بالكناية؟ ما هى المكنية الأصلية؟ ما هى المكنية التبعـية؟ ما هى الاستعارة التخييلية عند الجمهور؟ لـم سميت استعارة؟ لم سمـيت تخييلية؟ ما هى الاستـعارة المكنية المرشحـة؟ما هى الاستعـارة المكنية المجردة؟ ما هـى الاستعارة المكنيـة المطلقة؟ كم قسـماً للمكنيـة باعتبـار إمكان اجتـماع طرفيـها فى شىء؟ما هى العـنادية؟ما هى الوفاقيـة؟ ما هو المجاز المركب؟ ما هى الاستـعارة التمثيليـة؟ ما هو المجاز المركب بالاستعارة؟ ما هى محسنات الاستعارة؟

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

١ـ فَسَمَوْنَا والفَجْرُ يَضْحَكُ فى الشّـــ ـــرْقِ إلـينا مُبَـــشـــراً بالصــبـــاح

[الخفيف]

٢ ـ عـضَّنـــا الـــدهرُ بـنَابـــه ليـتَ مـــا حـــلَّ بنَابِـــه

[مجزوء الرمل]

٣ ـ لسنا وإن أحسـابنا كرمــــتْ يومـــاً على الأحـــســاب نـتَّكلُ

[الكامل]

٤ ـ دقاتُ قلـــب المرء قائلةٌ لـــه إن الحيـــــاة دقـــائقٌ وثـــوان

[الكامل]

٥ـ بكت لُؤلُؤاً رطباً ففاضت مدامعى عقيقاً فصار الكل فى نحرها عقدا

[الطويل]

٦ ـ إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب.

٧ـ ذم أعرابى رجلاً فقال: (يقطع نهاره بالمنى ويتوسَّد ذراع الهمِّ إذا أمسى).

٨ ـ قومٌ إذا الشــر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليـــــه زرافــــات ووحــــدانا

[البسيط]

٩ ـ جــاء الشـتـــاء واجـثـأل القُبَّرُ وطلعت شــمسٌ عـليـهـا مـغـفـر

[الرجز]

١٠ ـ سـأبكيك للـدُّنيـا وللدين إن أبت يد المـعـــروف بعــــدك شُلّت

١١ ـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .[القلم: ٤].

١٢ ـ سقَاهُ الرَّدى سيف إذا سل أومضتْ إليه ثنايَا الموت من كل مَرْقَدِ

١٣ ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ .[الرحمن: ٣١].

١٤ ـ ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ .[الأعراف: ٦٠].

١٥ ـ فتىً كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلةٍ دماً ضَحكَتْ عنه الأحاديثُ والذكرُ.

[الطويل]

*****

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى: طريقة تأليف ألفاظه.

والثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا فى نفس أديب، وهب الله له استعداداً سليماً فى تعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعانى، وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهى.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنّ تركيبها يدل على تناسى التشبيه، ويَحْمِلُكَ عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُنْسِيكَ رَوْعَتُها ما تَضَمَّنَه الكلام من تشبيه خَفِيٍّ مستور.

انظر إلى قول البحترى فى الفتح بن خاقان:

يَسْمُو بكفٍّ على الْعافين حَانِية   تَهمى وَطَرفٍ إلى العَلْياء طمَّاح

[البسيط]

ألست ترى كفه: وقد تمثلت فى صورة سحابة هتَّانة، تصب وبلهَا على العافين والسائلين، وأن هذه صورة قد تملكَتْ عليك مشاعرك فأذهلتك عما اختبأ فى الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعت قوله فى رثاء المتوكل وقد قتل غيلة:

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ الليّالى حَشَاشَةَ   يَجُودُ بها والمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِره

[الطويل]

فهل تستطيع أن تبعد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ،وهى صورة حيوان مفترس، ضرجت أظفاره بدماء قتلاه.

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ لأنه وإن بنى على ادعاء أن المشبه والمشَبه به سواء، لا يزال فيه التشبيه منوياً ملحوظاً.

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها منسيٍ مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام.

انظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار:

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [سورة الملك: الآية:٨].

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم، بطّاش مكفهر الوجه عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

الباب الثالث

فى الكناية[1] وتعريفها وأنواعها

الكناية: لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره.

وهى: مصدر كنيتُ، أو كنوت بكذا، إذا تركت التصريح به.

واصطلاحاً: لفظ أريد به غير معناهُ الذى وضعَ له، مع جوَاز إرادة المعنى الأصلىٍّ لعدم وجود قرينة مانعة من إراداته نحو: زيد طويل النجاد تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشئ تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذاً: المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقى، ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلى فى الكناية، دون المجاز: فإنه ينافى ذلك.

نعم: قد تمتنع إرادة المعنى الأصلى فى الكناية، لخصوص الموضوع كقوله تعالى﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾[سورة الزمر، الآية :٦٧] وكقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كتابة عن تمام، وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية بحسب المعنى تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **كناية عن صفة**: كما تقول: (هو ربيب أبى الهول) تكنى عن شدة كتمانه لسره.

وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوقاً من سياق الكلام.

٢ ـ **كناية عن موصوف**: كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن المصريين ومدينة النور تكنى عن باريس وتعرف بذلك الصفة مباشرة، أو ملازمة ومنها قولهم: (تستغنى مصر عن مصب النيل ولا تستغنى عن منبعه) كنوا بمنبع النيل عن أرض السودان.

ومنها قولهم: (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخيل الذى يجمع ماله، ولا ينتفع به.

---

(١) إذا اطلق اللفظ وأراد منه غير معناه فلا يخلو أن يكون المعنى الأصلى مقصوداً فيكون: كناية أولا يكون مقصودا: المجاز والكناية عند علماء البيان: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه.. كلفظ « كثير الرماد». المراد به كثير الكرم. فإنه يجوز أن يراد منه كثرة التراب (كثرة المطبخ)

ومنها قولهم: (هو فتى رياضى) يكنون عن القوة، وهلم جرا.

٣ - كناية عن نسبة: وسيأتى الكلام عليها فيما بعد.

فالقسم الأول: وهو الكناية التى يطلب بها صفة هى ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور فى الكلام.

وهى نوعان:

أ - كناية قريبة: وهى: ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساءفى رثاء أخيها صخر: [المتقارب]

رفيعُ العمادِ طويل النِّجا ... دِ ساد عشيرته أَمْردَا

ب - وكناية بعيدة: وهى: ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: (فلان كثير الرماد) كناية عن المضياف، والوسائط: هى الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب، وهو المضياف الكريم.

القسم الثانى: الكناية التى يكون المكنى عنه موصوفاً بحيث يكون إما معنى واحدًا كموطن الأسرار كناية عن القلب، وكما فى قول الشاعر:

فلمَّا شربناها ودَبَّ دبيبها ... إلى موطن الأسرار قلتُ لها قفى
[الطويل]

وإما مجموع معان: كقولك: (جاءنى حيٌ مستوى القامة، عريض الأظفار) كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ونحو:

الضَّاربين بكلِّ أبيض مخذَم ... والطاعنينَ مجامعَ الأضغان
[الكامل]

ويشترط فى هذه الكناية: أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف، ولا تتعدَّاه ليحصل الانتقال منها إليه.

القسم الثالث: الكناية التى يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنى

عنه نسبة، أسندت إلى ما له اتصال به، نحو قوله الشاعر: [الكامل]

إنّ السماحةَ والْمروءة والندى ... فى قبةٍ ضربت على ابن الحشرَجِ

فإن جعل هذه الأشياء الثلاثة فى مكانه المختص به يستلزم إثباتها له والكناية المطلوبُ بها نسبةٌ.

أ ـ إما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيه، كقول الشاعر:

اليُمْنُ يتبعُ ظلـــــه ... والمجد يمشى فى ركابه

[مجزوء الكامل]

ب ـ وإما يكون ذو النسبة غير مذكور فيها

كقولك: «الناس من ينفع الناس» كناية عن نفى الخيرية عمن لا ينفعهم.

وتقسيم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق: إلى أربعة أقسام: تعريض وتلويح، ورمز وإيماء.

١ ـ فالتعرض: لغة خلاف التصريح.

واصطلاحاً: هو أن يُطلق الكلام، ويُشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو قولك للمؤذى(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمون من لِسانه ويَدِه) تعريضاً بنفى صفة الإسلام عن المؤذى، وكقول الشاعر:

إذا العرض لم يرزق خلاصاً من الأذى ... فــلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

[الطويل]

٢ ـ والتلويح: لغة: أن تشير إلى غيركَ من بعدٍ.

واصطلاحاً: هو الذى كثرت وسائطه بلا تعريض نحو:

وما يكُ فىَّ من عيبٍ فإنى ... جبَانُ الكلب مهزولُ الفصيل

[الوافر]

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب، مهزول الفصيل، فإنّ الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

٣ ـ والرمز: لغة: أن تشير إلى قريب منك خفيةً، بنحو: شفة، أو حاجب.

واصطلاحاً: هو الذى قلت وسائطه، مع خفاء فى اللزوم بلا تعريض نحو: (فلان عريضُ القفا، أو عريض الوسادة ،كناية عن بلادته وبلاهته، ونحو: (هو مكتنزُ اللحم) كناية عن شجاعته (متناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه ونحو: (غليظ الكبد) عن القسوة وهلم جرا.

٤ ـ والإيماء أو الإشارة: هو الذى قلت وسائطه، مع وضوح اللزوم، بلا تعريض، كقول الشاعر:

أَوَ مَا رَأيتَ المجدَ ألقى رحله فى آلِ طلحةَ ثمَّ لم يتحوّل

[الكامل]

كناية عن كونهم: أمجاداً أجواداً، بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قول بعضهم : [الطويل]

سألتُ الندَى والجُود ما لى أراكما تبدَّلتما ذلاً بعز مؤبدِ
وما بالُ رُكن المجد أمسى مهدَّماً فقالا، أُصبنَا بابن يحيى محمدِ
فقلتُ: فهلا متّما عند موتهِ فقدْ كنتما عبدَيهِ فى كل مَشْهدِ
فقالا: أقمنَا كى نعزَّى بفقده مسافة يومٍ ثم نتلوهُ فى غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كالدعوى ببينة، فكأنك تقول فى زيد كثير الرماد زيد كريم، لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ، كيف لا وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراماً للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدع له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه ونحو: ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

*****

تمرين

بين أنواع الكنايات الآتية، وعين لازم معنى كل منها.

١ ـ قال البحترى يصف قتلَهُ ذئباً: [الطويل]

فأَتبعتُها أُخرَى فأَضللت نَصْلَها   بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحقْدُ

٢ ـ وقال آخر فى رثاء من مات بعلة فى صدره

وَدَبَّتْ لهُ فى موطنِ الحِلْمِ عِلّةٌ   لَهَا كالصِّلالِ الرُّقْش شَرُّ دَبيب

[الطويل]

٣ ـ ووصف أعرابى امرأة، فقال: ترْخى ذيلها على عـ[illegible] [illegible]عامة.

ونحو: ضربتْ سرادِقها المهابة فوقهُ   فإذا بدا بـاد[illegible] به الأعداء

[الكامل]

ونحو: إن الذى ملأ اللغات محاسناً   جعل الجمال وسره فى الضاد

[الكامل]

ونحو: بنى المجد بيتاً فاستقر عماده   علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

[الطويل]

إن ثوبك الذى المجدُ فيه   لضياءُ يزرى بكل ضياء

[الخفيف]

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح:

١ ـ وصف أعرابى رجلاً بسوء العشرة فقال: كان إذا رآنى قَرّبَ مِنْ حاجبِ حاجباً.

٢ ـ وقال أبو نواس فى المديح:

فمَا جازَهُ جودٌ ولا حلّ دُونهُ   ولكنْ يسيرُ الجودُ حيثُ يَسير

[الطويل]

٣ ـ وتَكْنى العربُ عَمَّنْ يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم:

لبسَ له جِلْدَ النَّمر، وجِلْدَ الأرْقم، وقَلَبَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ.

٤ ـ فلان عريض الوساد أغمُّ القفا[1].

٥ ـ تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لرمْلة[2]خلْخالاً يجول ولا قُلْبَا ... [الطويل]

٦ ـ وتقول العرب في المديـح: الكرم فى أثناء حلته، ويقولون: فـلان نفخ شدْقيه أى تكبر، وورَم أنفُه، إذا غضب.

٧ ـ قالت أعرابيه لبعض الولاة: أشكو إليك قلة الجِرْذان[3].

٨ ـ بِيضُ المَـطابِخ لا تَشْكـُو إماؤُهُمُ ... طَـبْخَ الـقُدور ولا غَـسْلَ المـناديـل

[البسيط]

٩ـ مـطْـبـخُ داودَ فـى نَـظـافـتـه ... أشْـبَـهُ شـيءٍ بـعَـرْشِ بِـلْـقَـيـسَ

ثِيـابُ طبَّاخـه إذا اتَّـسَخَـتْ ... أنْـقـى بـيـاضاً مِـنَ الـقَـراطِـيـس

[المنسرح]

١٠ ـ فَـتَى مُخْتَصـرُ المأكولِ ... والمشـرُوبِ والـعِـطْرِ

نقيُّ الكَـأسِ والقَصْـعَـةِ والمِنْديـل والقِـدْر

[الهزج]

١١ ـ اليُـمـن يَـتْبَعُ ظِـلَّهُ ... والمَجْدُ يمشـى فـى رِكَابه

[مجزوء الكامل]

١٢ ـ أَصْبَح فى قَيْدكِ السَّمَاحَةُ والمجدُ ... وفـضـلُ الـصَّـلاح والحسـب

[مجزوء المنسرح]

١٣ ـ فَلَسْنَا عَلَى الأعْقَابِ تَدْمى كُلُومنا ... ولَكِـنْ عَلَـى أقْدَامـنا تـقْطـرُ الدِّمَـا

[الطويل]

المجدُ بين ثَوْبَيك. والكرمُ مِلءِ بُرْدَيْكَ.

---

(١) عريض الوساد: طول العنق حد الإفراط. القفا: مؤخرة الرأس تغطت بالشعر دلالة البلاهة والغباء ـ

(٢) اسم امرأة.

(٣) جمع جُرذ: نوع من الفأر.

بلاغة الكناية

الكناية مَظهرٌ من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، (والسرُّ فى بلاغتها): أنها فى صورة كثيرة تعطيك الحقيقة، مصحوبة بدليلها، والقضية وفى طيها بُرهانها، كقول البحترى فى المديح : {الطويل}

يَغُضُّون فَضْلَ اللحظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا   لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فى الصُّدور مُحَبَّب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض الأبصار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية فى الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات: أنها تضع لك المعانى فى صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس، بهرَكَ وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل كثير الرماد «فى الكناية عن الكرم»، « ورسول الشر»، فى الكناية عن المزاح.

وقول البحترى: {الكامل}

أو ما رأيتَ المجْدَ ألقى رَحْلَه   فى آل طلحة ثم لم يتحوَّلِ

وذلك فى الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة.

كل أولئك يبرز لك المعانى فى صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية: أنها تمكنك من أن تَشْفى غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تخدش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى: (بالتعريض).

ومثاله قول المتنبى فى قصيدة، يمدح بها كافوراً ويعرض بسيف الدولة: {الطويل}

رَحلْتُ فكم بـاكٍ بأجفـان شـادن
علىَّ وكم بـاكٍ بأجفـان ضـيغم

رمـا رَبـةُ القُرط المليـحِ مكـانهُ
بأجـزع من ربِّ الحُسام المصمم

فلو كـان مـا بى منْ حبيبٍ مقنع
عـذرتُ ولكنْ من حبـيب مُعـمَّمِ

رَمى واتَّقى رمْيى ومن دون مـا اتقى
هوى كـاسرٌ كفِّى وقـوسى وأسْهُمى

إذا سَاءَ فـعلُ المرء سـاءت ظُنُونُه
وصـدَّق مـا يَعْتـادُه مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة، أولاً: بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذى يدعى أنه من شيمة النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يرمى ويتقى الرمى بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبى لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً، يكسر كفه وقوسه، وأسهمه، إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيئ الظن بأصدقائه لأنه سيئ الفعل، كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله فى سوء الفعل، وضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبى من سيف الدولة هذا النيل كله، من غير أن يذكر من أسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جداً فى القرآن الكريم، وكلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة بالبيضة والشاة.

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخلةً منْ ذاتِ عرْقٍ
عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ الله السّلامُ

[الوافر]

فإنه كنى بالنخلة، عن المرأة التى يحبها. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

أثر علم البيان فى تأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان: أن معنى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عدة، وطرائق مختلفة، وأنه قد يوضع فى صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة،

أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلى، أو الكناية، فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم، فيقول: {المتقارب}:

يريد الملوكُ مدىَ جعْفر ولا يصنعون كما يصنعُ
وليسَ بأوسعِهم فى الغنى ولكنَّ معروفَه أوْسعُ

وهذا كلام بليغ جداً، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحة بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعتمد الشاعر: عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر، فيقول: {الكامل}

كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً جوداً ويبعثُ للبعيدِ سائبًا

فيشبه الممدوح: بالبحر، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهى بين الممدوح والبحر الذى يقذفُ الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد، أو يقول: {الطويل}

هو البحرُ منْ أىّ النواحى أتيتَهُ فلجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُه

فيدعى أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغة ، وادعاء المماثلة الكاملة، أو يقول: {البسيط}

علا فما يَسْتَقِرُّ المالُ فى يده وكيف تمسُكُ ماءً قنَّةُ الجبلِ؟

فيرسل إليك التشبيه: من طريق خفى، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمنى دليلاً على دعواه، فإنه ادعى: أنه لعلوِّ منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً.

فقال :وكيف تمسك ماءً قنَّةُ الجبل أو يقول: {الطويل}

جرىَ النهْرُ حتى خِلتُهُ مِنْك أنعُماً تُساقُ بِلا ضَنٍّ وتُعْطى بلا مَنِّ

فيقلب التشبيه زيادة فى المبالغة، وافتناناً فى أساليب الإجادة. ويشبه: ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف: أن تشبه: النعم، بالنهرالفياض أو يقول: {البسيط}

كأنّه حينَ يُعْطِي المالَ مُبْتسِماً   صَوبُ الغمامةِ تهمي وهْي تأتلِقُ

فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة، تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه، أو يقول : [البسيط]

جادَتْ يدُ الفتح والأنواءُ باخلةٌ   وذاب نائلُهُ والغيثُ قدْ جمدَا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدعى أنَّ كرم ممدوحه لا ينقطع، إذا انقطعت الأنواء، أو جمد القطر، أو يقول: [الكامل]

قدْ قلتُ للغَيْم الرُّكَام وَلَجَّ في   إبراقه وألحَّ في إرعادهِ

لا تَعْرِضَنَّ لجعفرٍ مُتَشبِّهاً   بنَدى يَدَيْهِ فلست من أندادِهِ

فيصرح لك في جلاء، وفي غير خشية، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفى بهذا، بل تراه يَنْهى السَّحاب في صورة تهديد أن يُحاول التشبه بممدوحه، لأنه ليس من أمثاله ونظائره، أو يقول: [الطويل]

وأقْبلَ يمشِي في البِسَاط فما دَرى   إلى البَحْرِ يَسْعَى أم إلى البَدْرِ يَرْتَقى

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة، فَيَنْزَع في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه، والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ، أو يقول: [الطويل]

دَعوتُ نَدَاهُ دَعوةً فأجابَني   وعَلَّمني إحسانُهُ كَيْفَ آمُلُهُ

فيشبِّه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان ثم يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها، أو يقول: [الطويل]

ومَنَ قَصَدَ البحرَ استَقَلَّ السَّوَاقيَا

فيرسل العبارة كأنَّها مَثلٌ، ويصوِّر لك أنَّ من قصد ممدوحه استغنى عمَّن هو دونه، كما أنَّ قاصد البحر لا يأبَهُ للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة، وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه، وتؤيِّد الحال الذى

يَدَّعيها، أو يقول: [البسيط]

ما زِلْتَ تتبعُ ما تُولى يَداً بِيَدٍ حتى ظَنَنْتُ حَيَاتى مِنْ أَيَادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة، إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة، لأن اليد آلة النعم وسببها أو يقول: [البسيط]

أعَادَ يَوْمُكَ أيامِى لِنَضْرَتِهَا واقْتَصَّ جودُك مِنْ فَقْرِى وإعْسَارى

فيسند الفعل إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلى، أو يقول:

فما جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولكن يَسِير الجود حيث يسير

[الطويل]

فيأتى بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادِّعاء أنَّ الجود يسير معه دائماً، لأنه بَدَل أن يحكم بأنه كريم، ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار.

ولهذه الكناية من البلاغة، والتأثير فى النفس، وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السَّامع فى غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً كلٌّ: له جماله، وحُسْنه، وبَراعتُه، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى فى هذا المعنى؛ فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعانى، لا يكاد ينتهى إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المَنَاحِى فى صفات أخرى: كالشجاعة، والإباء، والحزم وغيرها، ولكنَّا لم نَقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربىّ والآثار الأدبية، ستجد بنفسك هذا ظاهراً وستَدْهش للمَدَى البعيد الذى وصل إليه العقل الإنسانى فى التصوير البلاغىّ، والإبداع فى صوغ الأساليب (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

*****

علم البديع

البديع: لغة: المُخْتَرِع المُوجَدُ على غير مِثَال سابق.

وهو مـأخـوذ ومُشْتَقٌّ من قولهـم: بَدَعَ الشيءَ وأبْدَعه، واختـرعَه لا عَلَى مِثال[1].

واصطلاحـاً: هو: علم يُعْرف به الوجوه، والمـزايا التى تزيد الكلام حُسْنا[2] وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال.

مع وُضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى.

وواضعه عبد الله بن المعتز العبَّاسى المتوفى فى سنة ٢٧٤ هجرية.

ثم اقتفى أثره فى عصره قُدَامة بن جعفر الكاتب فزاد عليها.

ثم ألف فيـه كثيـرون كأبى هلال العَسْكرى، وابن رشيق القيـرَوَانى، وصفىّ الدين الحلّى، وابن حجَّة الحمـوى، وغيرهم ممَّن زَادُوا فى أنواعـه، ونظموا فيـها قصائد تُعرف (بالبديعيَّات).

وفى هذا العلم بابان وخاتمة.

---

(١) البديع فـعيل بمعنى مُفْـعل أو بمعنى مفـعول: ويأتى البديـع بمعنى اسم الفاعل فى قـوله تعالى: ﴿ بديع السموات والأرض﴾ أى: مبدعها.

(٢) وجوه التحـسين: أساليب وطرق معلومة وضـعت لتزيين الكلام وتنميقه. وتحـسين الكلام بعلمى المعانى والبيان «ذاتى» وبعلم البديع «عرضى».

الباب الأول

فى المحسنات المعنوية

(١) التورية

التَّورية: لغة: مصدر ورّيت الخبر تورية: إذا سترتَه، وأظهرت غيره.

واصطلاحاً: هى: أن يذكُرَ المتكلم لفظاً مفرداً له معنيـان، أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالةُ اللفظ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّم السَّامع أنه يُريد المعنىَ القريب، وهو إنَّما يُريد المعنى البعيد بقرينة تشيرُ إليه ولا تُظهره، وتستره عن غير المتيقظ الفطِن، كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ [الأنعام: الآية: ٦٠] أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية إيهامـاً وتخييلاً وكـقول سراج الدين الورَّاق : [الوافر]

أَصـــونُ أدِيمَ وجـــهى عـن أُناس   لـقـــــاءُ الموتِ عـندهُم الأديـبُ
ورَبُّ الشِّعـــر عنـدهُمُ بغـــيضٌ   ولو وافـى به لهُمُ «حـــبـــيبُ»

وكقوله : [مجزوء الكامل]

أبيــات شــعــرك كــالقــصــور   ولا قــصــور بهــا يعــوق
ومن الـعــجــائـب لفظُهــا   حُرٌّ ومــعنـاهـا «رقــيـق»

وكقوله: [الطويل]

برَغم شَبَــيبٍ فـارقَ السـيفُ كـفَّه   وكــانا علـى العِلاّت يَصطحـبــان
كـأنَّ رِقَابَ النـاس قـالت لسيـفـه   رفـيـــقـك قَيْسِىٌّ وأنْت يَمَانى

(٢) الاستخدام

الاسْتِخْدَام: هو: ذكرُ لفظ مُشْترك بين معنيين، يُراد به أحدهما، ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة، بمعناه الآخر[1]، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غيرُ ما يُراد بأولهما.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أريدَ أولاً بالشهر الهلال ثم أُعِيدَ عليه الضميرُ أخيراً بمعنى أيام رمضان.

وكقول مُعاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نزل السماء بأرض قوم   رَعيناهُ وإن كانوا غِضَابا

أراد ب «السماء» و«المطر» وبضميره في رعيناه «النَّبات»، وكلاهما معنى مجازي للسماء.

والثاني: كقول البحتري: [الكامل]

فسقى الغضا والسَّاكنية وإن هُمُ   شبُّوهُ بين جوانحي وضلوعي

الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه أولاً راجع إلى الغضا، باعتبار المكان وضمير شبوه عائد إلى الغضا بمعنى: النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجاز للغضا.

(٣) الاستطراد

الاستطراد: هو: أن يخرج المتكلم من الغرض الذي فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول، كقول السموأل: [الطويل]

وإنا لقومٌ لا نرى القتل سبّة   إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرِّب حب الموت آجالنا لنا   وتكرههُ آجالُهُمْ فتطولُ

ومَا مَاتَ منَّا سَيدٌ حَتْفَ أنفه   ولا طلّ مِنَّا حيث كان قتيل

---

[1] موجز الاستخدام: الإتيان بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر. كقول الشاعر:

وللغزالة شيء من تلفته   ونورها من ضياء خديه مكتسب

أراد بالغزالة: الحيوان المعروف وبالضمير في (نورها) الغزالة بمعنى (الشمس).

فسياق القصيدة للفخر بقومه، وانتقل منه إلى هجو قبيلتى عامر وسلول ثم عاد إلى مقامه الأول. وهو الفخر بقومه. وكقوله: [البسيط]

لنا نفوس لنيل المجد عاشقةٌ فإنْ تسلت أسلناها على الأسل
لا ينزلُ المجد إلا فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(٤) الافتنان

الافتنان: هو: الجمع بين فنَّين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء، والتعزية والتهنئة، كقول عبد اللهبن همام السلولى، جامعاً بين التعزية والتهنئة، حين دخل على يزيد، وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو فى الملك:

« آجرك الله على الرّزيَّة، وبارك لك فى العطيّة، وأعانك على الرعية فقد رُزئتَ عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت، فقد فقدت الخليفة. وأعطيتَ الخلافة، ففارقتَ خليلاً ووهبت جليلاً.

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة واشكرْ حبَاء[1] الذى بالملك أصفاكَ
لا رُزء أصبح فى الأقوام نعلمُه كما رُزئت ولا عُقبى كعقباكَ»
[البسيط]

وكقول عنتر يخاطب عبلة: [الطويل]

ولقد ذكرتُك والرِّماح نواهلٌ منى وبيضُ الهند تقطر من دمى
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارقِ ثغرك المتبسِّم

(٥) الطباق

الطباق: هو: الجمع[2] بين لفظين مُقَابلين فى المعنى. وهما قد يكونان اسمين، نحو: قوله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٣].

وكقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [سورة الكهف، الآية: ١٨].

(١) حبَاء الرجل: نصره: اختصه دون سواه.
(٢) الجمع بين الشىء وضده فى الكلام.

أو فعلين، نحو: قـوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [سورة النجم، الآية: ٤٤] وكـقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيـهَا وَلا يَحْيَى﴾ [سورة الأعلى، الآية: ١٣].

أو حرفين: نـحو قوله تـعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سـورة البقرة، الآية: ٢٢٨].

أو مختلفين: نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[سورة الرعد، الآية: ٣٣].

ونحو قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة.

(٦) المقابلة

المقابلة: هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[سورة الليل، ٥ - ١٠] وكقوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[سورة الأعراف: ١٥٧].

وقال عليـه الصلاة والسلام للأنصار: « إنكـم لتكثرون عند الفَزَع وتقِلُّون عند الطَّمع».

وقال خـالد بن صفوان يصف رجـلاً: ليس له صديق فى السـرّ ولا عدوٌ فى العلانية وكقوله: [الطويل].

فتى كان فيـه مـا يسـره صديقــه ... ولـكنَّ فيـه ما يسـوء الأعـاديا

وكقوله: [الطويل]

وباسطُ خيرٍ فيـكمُ بيمـينه ... وقابضُ شرٍّ عنكُم بشماله

وكقوله: [البسيط]

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبحَ الكُفْرَ والإفلاسَ بالرجل

وكقوله: [البسيط]

يا أُمَّة كان قُبْح الجُور يسخطها   دهراً فأصبح حُسْنُ العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير[1]

مراعاة النظير: هى الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

وإما بين أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٦].

ويلحق بمراعاة النظير، ما بنى على المناسبة فى المعنى بين طرفى الكلام يعنى: أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى، نحو: قوله تعالى: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

فإن اللطيف يناسب عدم إدراك الأبصار له، والخبير يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

وما بنى على المناسبة فى اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود فى العبارة، نحو قوله تعالى: ﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ﴾ [الرحمن: ٥، ٦] فإن المراد بـ «النجم» هنا النبات، فلا يناسب: «الشمس والقمر» ولكن لفظه يناسبهما، باعتبار دلالته على الكواكب؛ وهذا يقال له: إيهام التناسب كقوله: [الطويل]

كأن الثريا عُلقت فى جبينها   وفى نحرها الشعرى وفى خدّها القمرُ

والطّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ   رطب يصافحه النسيمُ فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفة   والريح تكتب والغمام ينقط

[الكامل]

---

(١) وتسمى: بالتوافق والتناسب والائتلاف.

(٨) الإرصاد

الإرصاد: هو: أن يذكر قبل الفاصلة بين الفقرة، أو القافية، من البيت ما يدل عليها إذا عرف الرّوِىّ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[سورة ق، الآية: ٣٩].

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠] وكقول الشاعر: [الطويل]

أحلّت دمى من غير جُرم وحرَّمتْ   بلا سبب عند اللقاء تكلّمى
فليس الذى حَللته بمحللٍ   وليس الذى حرَّمته بمحرم

ونحو:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزْه إلى ما تستطيع
[الوافر]

وقد يستغنى عن معرفة الروىِّ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

(٩) الإدماج

الإدمَاج: هو: أنْ يُضمَّن كلامٌ قد سيق لمعنى، معنى آخر، لم يُصرحْ به، كقول المتنبى: [الوافر]

أُقلِّبُ فيه أجفانى كأنى   أَعُدُّ بها على الدهر الذنوبا

ساق الشاعر: هذا الكلامَ أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر، فى وصف الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

المذهبُ الكلامي: هو أن يورد المتكلم على صـحة دعواه حُجَّة قاطعـةمُسلَّمة عند المخاطب، بأن تكون المقِّدمات بعد تسليمها مستلزمةً للمطلوب، كقوله تعالى : **﴿لوْ كانَ فيهما آلهةٌ إلا الله لفسَدَتا﴾** واللازم وهو«الفساد»باطل، فكذا الملزوم وهو «تعدد الآلهة» باطل، وليس أدل على ذلك من الحقيـقة والواقع، وكقوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾** [سورة الحج : ٥]، ونحو قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** [الروم: ٢٧] أي: وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

وسمِّي هذا النوع بالمذهب الكلامي لأنه جاء على طريقة علم الكلام والتوحيد وهو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة.

(١١) حسن التعليل

حُسْنُ التعليل: هو: أن ينكـر الأديب صـراحـة، أو ضـمناً، عـلة الشيء المعروفة، ويأتى بعـلة أخرى أدبية طريفة، لها اعـتبارٌ لطيف، ومشـتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمى إليه.

يعنى أن الأديب (الشاعـر والناثر): يدعى لوصف علة مناسبة غـير حقيـقية، ولكن فيهـا حسنٌ وطرافة، فيـزداد بها المعنى المراد الذي يرمى إليه جمـالاً وشرفاً كقول المعرى فى الرثاء: [الطويل]

وَمَا كُلْفَة البدر قديمة   ولكنَّها فى وَجْهِه أَثَر اللَّطِم

يقصـد: أن الحزن على المرثى شـمل كثـيراً من مظاهر الكون، فـهو لذلك: يدَّعى أن كُلْفَة البدر، وهى ما يظهـر على وجهه من كدرة ليست ناشـئة عن سبب طبـيـعى، وإنما هى حادثـة من أثر اللطم على فـراق المرثى ومـثله قول الـشاعـر الآخر: [البسيط]

أمَّا ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح ومثله قول الشاعر الاخر: {البسيط}

ما قصَّر الغيثُ عن مصر وتربتها طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجلِ
ولا جري النيل إلا وهو معترفٌ بسبقكم فلذا يجري على مهلِ

ينكر هذا الشاعر: الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سبباً اخر، وهوأن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده لأنه لا يستطيع مباراته فى الجود والعطاء، ولا بد فى العلة أن تكون ادعائية، ثم إنّ الوصف أَعَمُّ من أَنْ يكون ثابتاً فيقصد بيان علته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

أ ـ فالأول: وصف ثابت غير ظاهر العلة، كقوله: {البسيط}

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله:

لم يحْكِ نائِلَك السحاب وإنما حُمَّتْ به فصبيبها الرُّحْضَاءُ[1]
{الكامل}

وقوله:

زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً، فسلو من قفاه لسانَهُ
{الكامل}

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علَّة له، لكنه ادّعى أنّ علته الافتراء على المحبوب.

ب ـ أو وصف ثابت ظاهر العلة، غير التي تذكر، كقول المتنبى: {الرمل}

ما به قَتْلُ أعاديه ولكن يتّقى إخْلاف ما ترجو الذِّئابُ

---

(١) الرُّحضاء: عَرَقٌ من أثر الحمى.

فإن قتل الأعادى عادة للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضَرهم ولكن المتنبى اخترع لذلك سبباً غريباً، فتخيل أن الباعث له علي قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به، حتي لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزى، ومحبته إجابة طالب الإحسان ومن ثم فتك بهم، لأنه علم، أنه إذا غدا للحرب، رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها. وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلباً.

والثانى: وصف غير ثابت، وهو:

١ـ إما ممكن كقول مسلم بن الوليد:

يا واشياً حسنت فينا إساءته   نجّى حذارك إنسانى من الغرق

[البسيط]

فاستحسان إساءة الواشى ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه، عقبه بذكر سببه وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق فى الدموع.

٢ـ وإما غير ممكن كقول الخطيب القزوينى:

لو لم تكن نِية الجوزاء خدمته   لما رأيت عليها عِقد مُنتطق

[البسيط]

فقد إدعى الشاعر: أن الجوزاء تريد خدمة الممدوح، وهذه صفة غير ممكنة ولكنه عللها بعلة طريفة ادعاها أيضاً ادعاء أدبياً مقبولاً إذ تصور أن النجوم التى تحيط بالجوزاء، إنما هى نطاق[1] شدته حولها على نحو ما يفعل الخدم، ليقوموا بخدمة الممدوح.

---

(١) جعل الشاعر: شد الجوزاء النطاق فى وسطها خدمة الممدوح، وهى صفة غير ممكنة فقصد اثباتها على خلاف الواقع، ومثله قول ابن المعتز: قالوا:

اشتكت عينه فقلت لهم   من كثرة القتل نالها الوصب

حمرتها من دماء مَنْ قتلت   والدم فى السيف شاهد عجب.

(١٢) التجريد

التجريد: لغة إزالة الشيء عن غيره.

واصطلاحاً: أن ينتزع المتكلم من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتي أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وأقسام التجريد كثيرة:

أ ـ منها: ما يكون بواسطة: «مِنْ» التجريدية كقولك: لي من فلان صديق حميم، أى (بلغ فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها).

ونحو:

ترى منهم الأسد الغضاب إذا سطوا وتنظر منهم فى اللقاء بدورا

{الطويل}

ب ـ ومنها: ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

نحو قولهم: «لئن سألت فلانًا لَتَسْأَلَنَّ به البحر»، بالغ فى اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها.

جـ ـ ومنها: ما لا يكون بواسطة، نحو: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ {التوبة: ١٢}.

د ـ ومنها ما يكون بطريق الكناية، كقول الأعشى:

يا خير من ركب المطىَّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا

{المنسرح}

(١٣) المشاكلة

المشاكلة: هى: أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ {المائدة: ١١٦} المراد: ولا أعلم ما عندك.

وعَبّر بالنفس لِلْمُشاكلة ونحو: قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُم﴾

{الحشر: ١٩} ، أي أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حكى عن أبى الرقمع: أن أصحاباً له، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً؟؟ وكان فقيراً، ليس له كسوة تقية البرد، فكتب إليهم يقول: {الكامل}

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ... وأتى رسولهم إلىَّ خصيصا
قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لى جبة وقميصا[1]

وكقوله:

مَنْ مُبلغٌ أَفْنَاءَ يَعْرُبَ كُلَّها ... أنِّى بَنَيْتُ الجَارَ قَبْلَ المنزلِ

وكقوله:

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علينا ... فَنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلِينَا

(١٤) المزاوجة

المزاوجة: هى: أن يُزَاوجَ المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء، بأن يرتب علي كل منهما معنى رتب علي الآخر، كقوله: {الطويل}

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى ... أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

زاوج بين النهي والإصاخة فى الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

وكقوله: {الطويل}

إذا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤها ... تذكَّرتْ القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب أى «التحارب» وبين «تذكر القربى»، فى الشرط والجزاء، بترتيب الفيض عليهما.

(١٥) الطى والنشر

الطى والنشر: أن يذكر متعدِّد، ثم يُذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرُّف السامع فى تمييز ما لكل واحد منها، ورده إلى ما هو له وهو نوعان:

---

(١) خطيوا لى: جُبَّةً وقميصاً فذكر« الخياطة» بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام.

أ ـ إمَّا أن يكون النّشر فيه علي ترتيب الطّى، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل، وابتغاء الرزق للنهار، علي الترتيب.

وكقوله:

عُيُونٌ وأصداغٌ وفرعٌ وقامةٌ ... وخَالٌ وَوَجْنَاتٌ وفرقٌ ومرشفُ

[الطويل]

سيوفٌ وريحانٌ وليلٌ وبَانَةٌ ... ومِسْكٌ وياقوتٌ وصُبْحٌ وقَرْقَفُ[1]

وكقوله:

فِعْلُ المدام ولونها ومذاقها ... فى مُقْلَتَيْه وَوَجْنَتَيْه وَرِيقِه

[الكامل]

ب ـ وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطى نحو: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

وذكر ابتغاء الفضل للثانى وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب:

وكقوله:

ولحظهُ ومُحَياهُ وقامته ... بدر الدُّجا وقضيبُ البان والرَّاح

[البسيط]

(فبدر الدجا): راجع إلى (المحيّا) الذى هو الوجه، و(قضيب البان) راجع إلى القامة، و(الراح) راجع إلى (اللحظ) ويسمى: اللف والنشر أيضاً.

(١٦) الجمع

الجمعُ: هو: أن يجمع المتكلم بين متعدد، تحت حكم واحد وذلك:

أـ إما في اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

---

(١) قرقف: الرجُلُ فى الضحك، والحمام فى الهدير: اشتد، القرقف: الخمر، الماء البارد.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ب ـ وإما فى أكثر نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٢] وكقوله:

إِنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه ... مَفْسدة للمرء أى مَفْسَدَه

[الرجز]

وكقوله:

آراؤه وعطاياهُ ونعمتهُ ... وعفوهُ رحمة للنّاس كُلِّهم

[البسيط]

آراؤكم ووجوهكم وسيُوفكم ... فى الحادثات إذا دَجَوْن نجُومُ

[الكامل]

(١٧) التفريق[1]

التفريق: أن يفرق بين أمرين من نوع واحد فى اختلاف حكمهما نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] وكقوله الشاعر: [الخفيف].

ما نوالُ الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير يوم سخاء

فنوالُ الأمير بَدْرة عين ... ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله: [المضارع]

من قاس جدواك يوماً ... بالسحب أخطأ مدحك

السحب تُعطى وتبكى ... وأنت تُعطى وتضحك

(١) هو: أن يعمد المتكلم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض الشعرية.

وكقوله: [المنسوح]

من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جدتَ ضاحكٌ أبداً ... وهو إذا جاد دامع العين

وكقوله: [مجزوء الكامل]

وردُ الخدودِ أرقّ من ... ورد الرِّياض وأنعمُ
هذاك تنشقهُ الأنو ... فُ وذا يُقبِّلُه الفمُ

(١٨) التقسيم

التقسيم: هو: أن يُذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده، ماله على جهة التعيين نحو: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾ [سورة الحاقة: ٤-٦].

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أولهما: أن تستوفى أقسام الشىء، نحو قوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه: ٦].

وثانيهما: أن تُذكر أحوال الشيء، مضافاً إلى كل، منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤]، وكقوله: [الطويل].

سَأَطْلُبُ حَقِّي بالقنا ومشايخ ... كأنهمُ من طول ما الْتَثموا مُرْدُ
ثقالٌ إذا لاَقَوْا خفاف إذا دُعوا ... كثير إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله:

ولايقيم على ضيم يـُرادُ به ... إلا الأذلان عيرُ الحيِّ ، والوتدُ
هذا على الخسف مربوط بِرُمَّته ... وذا يُشجّ فلا ـ يرثى له أحدُ

[البسيط]

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمعُ مع التفريق: أن يجمع المتكلم بين شيئين فى حكم واحد، ثم يَفْرقُ بين جهتيْ إدخالهما كقوله تعالى: ﴿**خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢].

وكقوله:

فوجهك كالنَّار فى ضوئها وقلبى كالنّار فى حرِّها

[المتقارب]

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجمعُ مع التقسيم: أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد.

ثم يُقسِّم ما جمع أو: يقسِّم أوّلاً، ثم يجمع.

فالأول: نحو: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: ٤٢] وكقول المتنبى: [البسيط].

حتى أقام على أربـاض خـرشنة تشقى به الرُّوم والصُّلبان والبِيَعُ

للرّقِّ ما نسلوا والقتل ما ولـدوا والنهب ما جمعوا والنَّار ما زرعوا

ونحو:

سَأَطْلُبُ حَقِّى بِالقَنَا ومشايـخ كـأنَّهُمُ مِـنْ طُولِ مـا الْتَثَمُوا مُرْدُ

[الطويل]

ونحو:

ثِقَالٌ إذاَ لاَقَوْا، خِفاَفٌ إذا دُعـوا كَثِيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُـدُّوا

[الطويل]

والثانى: كقول سيدنا حسان: [البسيط]

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عـدوَّهـم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعُوا

سَجيَّة تلك فيهـم غير مُحْدِثـة إنَّ الخلائق فـاعلم شـرهـا البِدَعُ

(٢١) المبالغة

المبالغة: هى أن يدَّعى المتكلم لوصف، بـلوغَه فى الشِّدَّة أو الضَّعف حــدًّا مُسْتبْعداً، أو مستحيلاً، وتنحصر فى ثلاثة أنواع:

١ـ تبليغ : إن كان ذلك الادعـاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عـقلاً وعادة نحو قـوله تعالى: ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [النور: ٤٠] وكقوله في وصف فرس: [الوافر]

إذا مَا سَابَقَتْها الرِّيح فـرَّتْ   وأَلْقَتْ فى يد الرِّيح التُّرابا

٢ـ وإغراق: إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الـضعف ممكناً عقلاً، لا عادة كقوله: [الوافر]

ونكرم جـارنا مـا دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث مـالا

٣ـ وغلو:[1] إن كان الادعاء للوصف من الشـدة أو الضعف مستحيـلاً عقلاً وعادة كقوله: [الوافر]

تكاد قِسيُّه من غير رامٍ   تُمكِّن فى قلوبهم النِّبالا

(٢٢) المغايرة

المغايرة: هى: مـدح الشىء بعد ذمـه، أو عكسـه كقـول الحريرى فى مـدح الدِّينار: «أكرمْ به أصفرُ راقت صفرته».

بعد ذمه فى قوله: «تبًّا له من خادع مُمارق».

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيدُ المدح بما يشبه الذم: نوعان:

الأول: أن يُستثنى من صفـة ذمٍّ منفية عن الشىء، صفة مدح بتـقدير دخولها فيها كقوله: [الطويل].

ولاعيبَ فيهم غيْرَ أن سيوفَهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

الثانى: أن يُثبت لشىءٍ صفـة مدح، ثم يؤْتى بعدها بأداة استثناء تليـها صفة

---

(١) الغلو. فمنه مقبول ومنه مردود. فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها. ما اقترن به ما يقربه للصحة (فعل من أفعال المقاربة. «كاد» نحو: قوله تعالى: (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار).

(٢) القوس: جمع :قسى، وقسى ، وأقواس، وقياس، وأقوس، وأقياس.

مدح أخرى والنوع الأول أبلغ كقوله : [الطويل].

وَلاَعَيْبَ فيه غير أنِّى قصدتُه   فأنستْنِى الأيامُ أهلاً ومَوطنًا

وكقوله:

فَتًى كملتْ أوصافُه غيرَ أنّه   جَوادٌ فما يُبقى من المال باقيا

[الطويل]

وقد تقوم «لكنْ» مقام أداة الاستثناء فى هذا النوع.

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح[1]

تأكيد الذم بما يشبه المدح: ضربان أيضاً:

الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقوله: [مجزوء البسيط]

خَلاَ مِنَ الفَضلِ غَيْرَ أنِّى   أراه فى الحمق لا يُجارَى

ونحو: لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه.

ونحو: الجاهل عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء.

ونحو:

فلان ليس أهلاً للمعروف، إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه.

الثانى: أنْ يُثْبتَ لشىء صفة ذمُ، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء[2] تليها صفة ذم أخرى، نحو: فلانٌ حسودٌ إلا أنه نمّامُ، وكقوله: [الطويل].

هو الكلبُ إلا أن فيه مــــلالةً   وسُوءَ مُراعاة وما ذاك فى الكلب

وكقوله

لئيمُ الطباع سوى أنَّه   جبَانٌ يهونُ عليه الهوانُ

[المتقارب]

---

(١) وهنا نوع آخر يسمى «الهــجاء فى معرض المدح» وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مــدح، وباطنه ذم، . كقوله [المتقارب]

أبو جعفر رجل عالم   بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوّف تُخمة أضيافه   فعودهم أكلة واحـــدة.

(٢) ومثل أداة الاسثناء فى ذلك أداة الاستدراك فى قول الشاعر:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا   سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

(٢٥) التوجيه

التوجيه: هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين مُتضادين على السواء كهجاء، ومديح ودعاء للمخاطب، أم دعاء عليه، ليبلغ القائل غرضه بما لا يُمْسَك عليه، كقول بشار فى خياط أعور اسمه عمرو: [مجزوء الرمل].

خاط لى عمرو قباء ليت عينيه سواء

فإنَّ دعاءه لا يعلم، هل له أم عليه؛ وقوله:

كلما لاح عمرو بمكان كثرت زحمة العيون [عليه]

ويحكى أن محمداً بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بورَان التى تنسب إليها الأطبخة البورانية) بالخليفة المأمون العباسى مع من هنّأه، فأثابَهم، وحَرَمه. فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرمانى، قلت فيك بيتا لا يعرف أهو مدح أم ذم، فاستحضره وسأله؟ فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بارك الله للحَسنْ ولِبُوران فى الختَنْ
يا إمامَ الهدى ظَفِرتَ ولكنْ ببنتَ مَنْ؟؟

فلم يدر: ببنت من؟ أفى العظمة وعلوِّ الشأن ورفعة المنزلة، أم فى الدناءة والخسة؟؟ فاستحسن الحسن منه ذلك.

والخلاصة: أن التوجيه نوعان:

الأول: أن يكون الكلام بحيث يصلح لأن يراد به معنيان متضادان على السواء.

والثانى: أن يكون اللام بحيث يشتمل على مجموعة، أو مجموعات من مصطلحات العلوم. أو الفنون. أو الأسماء المتلائمة.

الفرق بين التورية والتوجيه

أـ التورية: تكون فى لفظ واحد.

وأمَّا التوجيه: فيكون فى تركيب، أو جملة أسماء متلائمة.

ب ـ التورية: يقصد المتكلم بها معنى واحداً: هو البعيد.

والنوع الأول من التوجيه: لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر.

جـ ـ لفظ التورية: له معنيان بأصل الوضع.

وألفاظ النوع الثانى من التوجيه: ليس لها إلا معنى واحد بأصل الوضع، ويكون هو المقصود من الكلام.

(٢٦) نفى الشىء بإيجابه

نفىُ الشىء بإيجابه: هو: أن ينفى متعلق أمر عن أمر، فيوهم إثباته له، والمراد نفيه عنه أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿ **لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [النور: ٣٧].

فإن نفى إلهاء التجارة منهم، إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضاً.

(٢٧) القول بالموجب

القول بالموجب: نوعان:

الأول: أن يقع فى كلام الغير إثباتُ صفة لشىء وترتيب حكم عليها، فينقلُ السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون: ٨] فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

والثانى: حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلق له كقوله:

وقالوا قد صفت منا قلوب   لقد صدقوا ولكن عن ودادى

[الوافر]

أراد بصفو قلوبهم الخلوص فحمله على الخلو بذكر متعلقه، وهو قوله: عن ودادى.

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعانى، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة، للغزل والمدح كقوله: [الطويل].

إذا ماغضبنَا غضبة مُضرِّية   هتكنا حجاب الشمس أو قَطَرت دمًا

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة   ذُرا منبرٍ صلَّى علينا وسلّما

وكقوله:

ولَسْتُ بنظَّار إلى جانب الغنِى   إذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر

[الطويل]

وكقوله:

لَمْ يطُلْ لَيْلِى ولكن لم أنم   ونفى عنّى الكَرَى طيفٌ ألَمْ

[الرمل]

(٢٩) التفريع

التفريع: هو أنْ يُثْبَتَ حكمٌ لمتعلَّق أمر، بعد إثباته لمتعلّق له آخر كقول الشاعر:

فاضت يداه بالنُّضارِ كما   فاضت ظباه فى الوغَى بدمِى

[المنسرح]

وكقوله:

أحلامكم لسقام الجهل صافية　　　كما دماؤكُم تشفِى من الكَلَبِ

[البسيط]

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع: هو: الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر، مدحاً أو ذماً.

يعنى أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر، كقوله:

[الطويل]

ألا أيها المال الـــذى قد أباده　　　تسلَّ فهذا فعله بالكتائب

وكقوله:

سَمْحُ البديهة ليس يَمْسِكُ لَفْظَه　　　فكـأنما ألفاظه من مالـه

[الطويل]

وكقوله:

الحـــربُ نُزْهَتُه والبأسُ هِمَّتُه　　　والسّيفُ عزمته والله ناصره

[البسيط]

وقيل: إنه يكون أيضاً فى الذم، كقول بعضهم فى قاضٍ لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر: [مجزوء الرمل]

أترى القاضى أعمى　　　أم تـراه يَتَعامَــى

سَـرق العِيـدَ كـأنّ الــ　　　عيـدَ أمـوالُ اليتـامَى

(١٣) السلب والإيجاب[1]

السلب والإيجاب: هو أن يقصد المتكلم تخصيص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس، ثم يُثبتها له مدحاً أو ذماً، فالمدح كقول الخنساء: [الطويل].

وما بلَغتْ كفُّ امرئٍ مُتناولاً　　　من المجد إلا والذى نلتَ أطـولُ

---

(١) ويُسمى الرجوع. العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة؛ كقول الشاعر:

وما ضاع شعرى عندكم حين قُلته　　　بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

ولا بلغ المهدون للناس مِدحةً وإن أطنبوا إلاّ الذى فيك أفضلُ

والذّم، كقول بعضهم: [الكامل]

خُلقوا وما خُلقوا لمكرُمة فكأنَّهم خلقوا وما خلقوا

رُزقوا وما رُزقوا سماحَ يَدٍ فكأنّهم رُزقوا وما رُزقوا

(٣٢) الإبداع

الإبداع: هو أن يكون الكلام مُشتملاً على عدة أنواع من البديع، كقول الشاعر:

فَضَحْتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقد بكى الـ حيا من حياءٍ منك والتَطَم البحرُ

[الطويل]

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم: هو تلقّى المُخاطَب بغير ما يترقّبُه.

١ـ إما بترك سؤاله: والإجابة عن سؤال لم يسأله.

٢ـ وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريدُ، تنبيهاً على أنّه كان ينبغى له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

فمثال الأول: ما فعل القبعثرِىُ بالحجّاج، إذ قال له الحجاجُ متوعداً: (لأحملنك على الأدهم).

يُريد الحجاج: القيد الحديد الأسود: فقال القبعثرى: «مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعنى الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاجُ: أردت الحديد فقال القبعثرى: لأنْ يكونَ حديداً خيرٌ مِنْ أنْ يكونَ بليداً، ومرادُه تخطئة الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد.

ومثال الثانى، قوله تعالى: **﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾** [البقرة: ٢١٥].

سألوا النبى ﷺ عن حقيقة ما ينفقون مالهم، فأجيبوا ببيان طرُق إنفاق المال:

تنبيهًا على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال ابن حجاج البغدادى: [الخفيف]

قلتُ: ثَقّلتُ، إذْ أَتَيْتُ مِــــراراً   قـال: ثقّلْتَ كاهلـــــى بالأيادى

قلتُ: طولتُ، قال: أوليتَ طوْلا   قلتُ: أبرمتُ، قال: حبل وِدَادِى

فصاحبُ ابن حجاج، يقول له: قد ثقلت عـليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه فى أدب وظرفٍ، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر:

وقول الشاعر: [الطويل]

ولمّا نَعى النّاعــــى سألناه خَشْيَةً   وللعين خوفُ البين تَسْكَابُ أمطارِ

أجابَ:

قَضَى: قُلنا: قضى حاجة العلا   فقال: مَضى قلنا: بِكُلِّ فَخَـــارِ

ويحكي: أنه لمـا توجه خالد بن الوليد لـفتح الحيرة، أتى إليه من قِـبَل أهلها رجل ذو تَجْـرِبة فقال له خـالد: فيم أنت؟ قال: فـى ثيابى، فقـال: علام أنت؟ فأجاب عـلى الأرض فقال كـم سنك؟ قال: اثـنتان وثلاثـون فقال: أسألـك عن شيء، وتجيبنى بغيره، فقال: إنما أجبتك عما سألت.

(٣٤) تشابه الأطراف

تشابه الأطراف: قسمان معنوى ولفظى.

فالمعنوى: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه فى المعنى كقوله: [الطويل]

أَلَذُّ مِنَ السِّحر الحلال حديثُهُ   وأَعْذَبُ مِنْ ماء الغَمَامَةِ رِيقُهُ

فالريق: يناسب اللذة في أول البيت.

واللفظى نوعان: الأول: أن ينظر النـاظم أو الناثر إلى لفظة تقع في آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ بها المصراع الثانى، أو الجملة الثانية [illegible]

﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [النور: ٣٥] وكقول أبى تمام: [الطويل].

هَوًى كان خِلْسًا إنّ مِنْ أَبْرَدِ الهوى هَوى جُلْتُ فى أَفْيَائه وهو خاملُ

الثانى: أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت فى أول البيت الذى يليه، كقوله:

[الطويل]

رَمَتْنِى وسِتْرُ الله بينى وبينها عَشِيَّةَ آرام الْكِناسِ رَمِيمُ
رميمُ التى قالتْ لجيران بيتها ضَمِنتُ لكم ألا يزال يهيمُ

وقوله :[الطويل]

إذا نزل الحجاج أرضًا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاء العُضال الذى بها غلام إذا هزّ القناة سقاها
سقاها فروَّاها بشرب سجالها دماءَ رجالٍ حيث مال حِشاها

(٣٥) العكس

العكس: هو: أنت تُقدِّم فى الكلام جزءاً ثم تعكس، بأنْ تقدِّم ما أَخرْت، وتُؤَخِّر ما قدمت، ويأتى على أنواع :

أ- أن يقع العكس بين أحد طرفى جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: كلام الملوك الكلام وكقول المتنبى: [الطويل].

إذا أَمْطَرَتْ منهم ومنك سحابةٌ فوابلُهم طلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

ب - أن يقع العكس بين متعلقى فعلين فى جملتين كقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الروم: ١٩].

جـ - أن يقع العكس بين لفظين فى طرفى الجملتين كقوله تعالى: ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

---

(١) بيوت الظبى.

د ـ أن يقع العكس بين طرفى الجملتين نحو قول الشاعر: [الطويل]

طَوَيتُ بإحراز الفنون ونَيْلِهـا ... رداء شباب والجنون فنُونُ

فحينَ تعاطيتُ الفنونَ وحَظَّها ... تَبَيَّنَ لى أن الفنون جنونُ

هـ ـ أن يكون العكس بترديد مصراع البيت معكوساً نحو قول الشاعر: [الخفيف]

إنّ لِلْوَجْـدِ فى فؤادى تراكمُ ... ليت عينى قبل الممات تراكمُ

فى هـواكمْ ياسـادتى مِتُّ وَجْداً ... مت وجـ[illegible] سـادتى فى هواكُمْ

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهل العارف: هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقه، تجاهلاً لنكتة، كالتوبيخ، فى قوله:

أيا شجر الخابور ما لك مورقـاً ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

[الطويل]

أو المبالغة فى المدح، كقول البحترى: [البسيط].

أَلَمْعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح؟؟ ... أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو المبالغة فى الذم، كقوله زهير: [الوافر].

وما أدرى وسوف إخـالُ أدرى ... أقـومٌ آل حصـن أم نسـاء

أو التعجب نحو: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

إلى غير ذلك من الأغراض البديعية التى لا تحصى.

تمرين

بين الأنواع البديعية فيما يلى:

١ـ قال بعضهم فى وصف إبل: [الرجز]

صُلْبُ الْعَصَا بالضَّرْب قد أدماها ... تـودُّ أَنْ اللهَ قدْ أَفْنَاها

٢ـ وقيل فى وصف إبل هزيلة: [الخفيف].

كالقسيّ المعطفاتِ بل الأسـ هُم مَبْرِيّةً بَل الأَوْتار

٣ـ ولـلغـزَالـةِ شيَءُ مِنْ تَلَفُّته ونورها مِنْ ضِيا خَدَّيْه مُكْتَسَب

[البسيط]

٤ـ أفنى جيُوش العدا غَزْوًا فلستَ ترَى سِوى قـتيلٍ ومأسورٍ ومُنْهَزِمِ

[البسيط]

٥ـ وَلاَعَيْبَ فيهم غيرَ أنّ ذوى النّدى خِساسٌ إذا قيسوا بهم ولئام

[الطويل]

٦ـ على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينُهُ وفى رِجل حُرٍّ قيدُ ذُلٍّ يَشينُهُ

[الطويل]

٧ ـ إذا لم تَفِضْ عينىّ العقيقَ فلا رأت منازله بالقُرْب تَبْهَى وتبهرُ

[الطويل]

تمرين آخر

١ ـ فلا الجودُ يُفْنِى المَال والجَدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يُبْقِى المالَ والجدُّ مُدْبِرُ

[الطويل]

٢ـ رحم اللهُ مَنْ تَصدّق مِنْ فَضلٍ أَوْ آسى من كفاف، أو آثر من قوتِ

[الخفيف]

٣ـ رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظرُهُ مُتَيمٌ لجَّ فى الأشواق خاطرُهُ

[البسيط]

٤ـ آراؤُكم وَوُجُوُهكم وسيُوفُكم فى الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نجُومُ

[الكامل]

٥ـ ما زُلْزِلَتْ مصرُ من كَيْدِ ألمَّ بها لكنّها رَقَصتْ مِنْ عَدْلكم طَرَبًا

[البسيط]

٦- أُراعِي النجمَ في سيرى إليكم ويرعاه مِن البيدا جَوادِي
{الوافر}

٧- جاءني ابني يوماً وكنتُ أراه لِيَ رَيْحَانَةً ومَصْدَرَ أُنس
قال: ما الروحُ؟ قلتُ: إنكَ رُوحِي قال: ما النفسُ؟قلتُ: إنّك نَفْسِي
{الخفيف}

تطبيق عام على البديع المعنوى

ياسيداً حَازَ لُطْفاً لَه البَرَايَا عَبِيدُ
أَنْتَ الحُسَيْنُ ولَكِنَّ جَفَاك فِينَا يَزِيدُ

فى هذا الكلام تورية، مهيأة بلفظ قبلها، فإن ذكر «الحسين» لازم لكون يزيد اسماً بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه. {السريع}

حماةُ فى بهجتها جَنَّةٌ وهى منَ الْغُمِّ لَنَا جُنّة
لاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فقد رأيتُم العاصِيَ فى الجنة

فى هذا الكلام تورية مرشحة، فإن ذكر (الرحمة) ترشيح للفظ (العاصى) المورى به الذى هو من العصيان، والمورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه.

فإنْ ضيّعتُ فيه جميع مالى فكم من لحية حلقتُ بموسى

{الوافر}

فيه التورية المرشحة، بذكر (اللحية والحلق)، وهما ينسبان المورى به وهو «موسى الحديد» والمورى عنه الاسم المذكور.

يا عذولى فى مغن مطرب حرك الأوتار لَمّا سفرا
لم تهز العطف منه طربا عند ما تسمع منه وترا
{الرمل}

فيه تورية فى لفظ وتراً فإن معناه البعيد المراد هو الرؤية، والقريب أحد الأوتار ولفظ تسمع هيأ قوله وتراً للتورية.

سألته عن قومه فانثنى — يعجب من إفراط دمعى السَّخى
وأبصر المسك وبدر الدُّجى — فقال: ذا خالى وهذا أخى

[السريع]

فيه تورية فى لفظ «خالى» فمعناه البعيد المراد، النقطة السوداء فى الخد، والقريب أخ الأم، ولفظه «أخى» هى التى هيأت خالى للتورية وهى بعيدة.

وساقية تدور على الندامى — وتنهرهم لسرعة شرب خمر

[الوافر]

سنشكر يوم لهو قد تقضَّى — بساقية تقابلنا بنهر

«الساقية» امرأة تسقى الراح، وهذا المعنى القريب - أو «ساقية الماء» وهو المعنى البعيد، وكل منهما مذكور للتورية فى صاحبه، ومهيئ لها فيه.

الباب الثانى

فى المحسنات اللفظية

١ - الجناس[1]

الجناس: هو تشابه لفظين فى النطق، واختلافهما فى المعنى.

وهو ينقسم إلى نوعين: لفظى ومعنوى.

أنواع الجناس اللفظى

١ - منها: الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين، أو حرفين سمى الجناس: مماثلاً ومستوفياً، ونحو: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾ [الروم :٥٥] فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدة من الزمان، ونحو: رَحَبَة رَحْبَة.

فـ «رحبة» الأولى: فناء الدار، «ورحبة» الثانية: بمعنى واسعة.

وإن كانا من نوعين: كفعل واسم، سمى: الجناس مستوفياً.

نحو: ارع الجار ولو جار وكقول الشاعر : [الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه   يحيا لدى يحيى بن عبد الله

«فيحيا» الأول فعل مضارع، و«يحيى» الثانى اسم الممدوح. ونحو: [السريع]

إذا رماك الدهر فى معشر   قد أجمع الناسُ على بغضهم

فدارهم ما دُمت فى دارهم   وأرضهم ما دُمتَ فى أرضهم

والجناس التام: مما لا يتفق للبليغ إلا على ندور وقلة، فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذى استدعاه وساقه، وحتى تكون كلمته مما لا يبتغى

---

(١) ويقال له: التجنيس، والمجانسة، والتجانس، ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعة مطبوعة مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن، فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتس من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام موقعا صاحبه فى قول من قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة   أو ما ترى تألبفه للأحرف.

وبذلك يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه.

الكاتب منها بدلاً، ولا يجد منها حولا.

ومنها : **الجناس غير التام**: وهو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثر من الأربعة السابقة، ويجب ألا يكون بأكثر من حرف، واختلافهما: يكون إما بزيادة حرف.

فى الأول: نحو: دوام الحال من المحال.

أو فى الوسط نحو: جَدِّى جَهْدِى.

أو فى الآخر: الهوى مطية الهوان.

والأول يسمى: مردوفاً

والثانى يسمى: مكتنفاً.

والثالث: مطرفاً كقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ [غافر: ٧٥]وكقول الشاعر : [الوافر]

فإن حلوا فليس لهم مقرٌّ وإن رحلوا فليس لهم مقر

وكقوله عليه السلام : «**الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة**».

ومن اختلاف أعدادها، قولك: هذا بناء ناء.

ومن اختلاف ترتيب الحروف، قوله: «فى حسامه فتح لأوليائه، وحتف لأعدائه».

ومن هذا :قول الأحنف: [الوافر]

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

ومن اختلاف الهيئة، قول الشاعر: [البسيط]

الجدُّ فى الجدِّ والحرمانُ فى الكسل فانْصَب تُصِب عن قريب غايةَ الأمل

٢ ـ ومنها: **الجناس المطلق**: وهو توافق ركنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق، كقوله ﷺ: «**أسلم**» سالمها الله، «**وغفار**» غفر الله لها، «**وعصية**»، عصت الله ورسوله.

فإن جمعهما اشتقاق نحو: ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنـتُمْ عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون:٣] فقيل: يسمى جناس الاشتقاق.

٣ـ ومنها: الجناس المذيل، والجناس المطرف.

فالأول: يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره.

والثاني: يكون الاختلاف بزيادة حرفين في أوله.

فالجناس المذيل: كقول أبي تمام: [الطويل]

يَمُدُّون مِنْ أَيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسياف قواضٍ قواضب

والجناس المطرف: كقول الشيخ عبد القاهر: [الطويل]

وكم سبقت منه إليَّ عـوارف ثنائي على تلك العـوارف وارف

وكم غُرَرٍ من برِّه ولطائـف لشكري على تلك اللّطائف طائف

ومنها: الجناس المضارع، والجناس اللاحق.

فالجناس المضارع يكون باختلاف ركنيه في حرفين، لم يتباعدا مخرجاً.

إمَّا في الأول: نحو: ليل دامس، وطريق طامس.

وإمّا في الوسط: نحو: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وإمّا في الآخر: نحـو قوله ﷺ: «الخيل معـقود في نواصيهـا الخير إلى يوم القيامة».

والجناس اللاحق يكون في متباعدين.

إما في الأول: نحو: ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:١].

وإما في الوسـط: نحو: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيـدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات:٧، ٨].

وإما في الآخر: نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣].

٥ ـ ومنها: **الجناس اللفظى**: وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطًا، إمّا فى الكتابة بالنون والتنوين.

وإما فى الكتابة بالضاد والظاء، أو الهاء والتاء.

فالأول: وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطًا فى الكتابة بالنون والتنوين قوله [الزجر]

أَعْذَبُ خلق الله نطقاً (وفما) إن لم يكن أحقّ بالحُسْنِ (فَمَنْ)

مثل الغزال نظرةً ولفتَة مَن ذا رآه مُقبلاً ولا افتتنْ

والثانى: وهو اختلاف أحد ركنيه فى الضاد والظاء، نحو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وكقول أبى فراس: [مجزوء الكامل]

ما كنتَ تصبرُ فى القديم فَلِمَ صَبَرتَ الآنَ عنّا

ولقد ظَنَنتُ بك الظنو نَ لأنه مَنْ (ضنَّ ظنّا)

والثالث: وهو اختلاف أحد رُكنيه فى الهاء والتاء كقوله: [البسيط]

إذا جلستَ إلى قوم لتُؤنسَهم بما تحدّث من ماض ومن آت

فلا تُعيدنْ حديثاً إنَّ طبعهمُ مُوكّل (بِمُعاداة المعاداتِ)

٦ ـ ومنها **الجناس المُحَرَّف** و«**الجناس المُصَحّف**».

فالأوّل: ما اختلف رُكناه فى هيئات الحروف الحاصلة من حركاتها وسكناتها، نحو: جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّة البَرْد.

والثانى: ما تماثل ركناه وضعاً، واختلفا نقطاً، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر كقول بعضهم: غَرَّكَ عِزُّك، فصار قصارى ذلك ذُلُّكَ، فاحش فاحشَ فعلك، فعلك بهذا تهتدى.

ونحو: إذا زلَّ العالِم، زلَّ بزلته العالَم، ومثل قول أبى فراس: [مجزوء الكامل]

مِن بحر شِعرك أغترف وبفضل علمك أعترف

٧ ـ ومنها **الجناس المركّب والجناس الملفق**.

فالأول: ما اختلف رُكناه إفراداً وتركيباً.

فإن كان من كلمة وبعض أخرى سُمِّى مَرفُوًّا مثل قول الحريرى: [الطويل]

ولا تَلْهُ عن تذكار ذنبك وابكه　　　بدمع يضاهى الْمُزْنَ حال مصابه

ومثّل لعينك الحِمامَ ووقعَه　　　وروعَة مُلقاهُ ومطعَمَ صابه

وإن كان من كلمتين فإن اتفق الركنان خطاً سُمِّى (مقروناً) مثل قوله: [الطويل]

إذا ملك لم يكن «ذاهبه»　　　فدعهُ فدولتُه «ذاهبة»

وإلا: سُمِّىَ «مفروقاً» مثل قوله: [الكامل]

لا تعرضَنَّ على الرُّواة قصيدة　　　ما لم تكن بالغتَ فى تَهذيبها

فإذا عرضت الشِّعر غير مهذَّب　　　عدُّوه منك وساوساً تهذى بها

والثانى: وهو الجناس المُلفق: يكون بتركيب الركنين جميعاً مثل قوله: [الوافر]

وليتَ الحكم خمساً وهى خمس　　　لعمرى والصِّبا فى العُنفوانِ

فلم تضع الأعادى قدر شانى　　　ولا قالوا فلان قد رشانى

٨ ـ ومنها: **جناس القلب** وهو: ما اختلف فيه اللفظان فى ترتيب الحروف، نحو: «حُسامه فتحٌ لأوليائه، وحتْفٌ لأعدائه».

ويسمّى (قلب كلّ) لانعكاس الترتيب

ونحو: (اللهم استر عَوراتنا، وآمن رَوْعاتنا)، ويسمى «قلب بعض».

ونحو: (رحم الله امرأ، أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه).

وإذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت، والآخر فى آخره، (سُمِّى مقلوباً مجنحاً كأنه ذو جناحين) مثل قوله: [مجزوء الكامل]

لاح أنوارُ الهدى　　　من كفّه فى كل حال

وإذا وَلِىَ أحد المتجانسين الآخر قيل له (المزدوج).

وإن كان التركيب بحيث لو عكس حـصل بعينه فـ (المستوى) وهو أخص من المقلوب المجنح ويسمى أيضاً: (ما لا يستحيل بالانعكاس): نحو: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ونحو: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

وبعدُ: فلا يخـفى على الأديب، ما فى الجناس من الاستدعـاء لميل السامع، لأن النفس ترى حُسن الإفـادة، والصـورة صورة تكرار وإعـادة ومن ثم تأخـذها الدهشة والاستغراب ، ولأمرٍ مَا، وعدَّ الجناس من حُلى الشعر.

أنواع الجناس المعنوى

الجناس المعنوىُّ: نوعان: جناس إضمار وجناس إشارة.

١ - فـ«جناس الإضمار» أن يأتى بلفظ يُحضرُ فى ذهنك لفظاً آخر وذلك اللفظ المحضر يُراد به غير معناه، بدلالة السِّياق مثل قوله: [البسيط]

«مُنعَّم» الجسم تحكى الماء رقته   وقلبه «قسوة» يحكى أبا أوْس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حجر، فلفظ (أبى أوس) يحضر فى الذِّهن اسمه، وهو (حجر)، وهو غير مراد، وإنما المراد: الحجر المعلوم، وكان هذا النوع فى مبدئه مستنكراً، ولكنَّ المتأخرين ولعُوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك الأقول: قول البهاء زُهير: [البسيط]

وجاهل طال به عنائى   لازَمِنى وذاك من شقائى

أبغضُ للعين من الأقذاء   أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رأته عين الرائى   أبو معاذ أو أخو الخنساء

ب - «وجناس الإشارة» هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدلُّ عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعْر على التصريح به. نحو: [المجتث]

يا «حمزة» اسمح بوصل   وامنن علينا بقرب

فى ثغرِك اسمك أضحى   مصحّفاً وبقلبى

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين: وهو «حمزة»، وأشار إلى الجناس فيه، بأن مصحفه، فى ثغره، أى «خمرة» وفى قلبه، أى «جمرة».

وبعد: فاعلم أنه لا يستحسن الجناس، ولا يعدّ من أسباب الحسن، إلا إذا جاء عفواً، وسمح به الطبع من غير تكلف، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه، وتعرّض قائله للسخرية والاستهزاء.

٢ - التصحيف

التصحيف: هو: التشابُه فى الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غُيرت نُقط كلمة، كانت عين الثانية، نحو التَّخلِّى، ثم التحلى، ثم التَّجلّى.

٣ ـ الازدواج

الازدواج: هو: تجانس اللفظين المتجاورين، نحو مَنْ جَدَّ وَجَدَ، ومن لجَّ وَلَج.

٤ ـ السجع

السجْعُ: هو: توافق الفاصلتين(١) فى الحرف الأخير من النثر

وأفضلُه: ماتاسوتْ فِقَرُهُ، وهو ثلاثة أقسام:

أولها: «السجع المطرَّف»: ، وهو: ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن، واتفقتا فى التقضية نحو قوله تعالى: ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ [نوح: ١٣].

ونحو قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ [النبأ: ٦].

ثانيها: «السجعْ المرصَّع»: وهو: ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية، مثل قول الحريرى: (هو يطبع الأسجاع **بجواهر** لفظه، ويقرَع الأسماع بزواجر وعظه)، و مثل قول الهمذانى: (إنّ بَعْدَ **الكدر صَفْواً، وبَعْدَ** المطر صحواً).

ثالثها: (السجع المتوازى) وهو: **ما اتفقت فيه** الفقرتان فى الوزن والتقفية نحو قوله تعالى: ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾ [الغاشية: ١٤] لاختلاف سُرُر، وأكواب، وزناً وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا** ﴾ [المرسلات: ٢] لاختلاف المرسلات، والعاصفات وزناً **فقط**، ونحو: «حسد الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت» لاختلاف ما عدا الصامت، والشامت: تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فقرُهُ، نحو قوله تعالى ﴿ **فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ** ﴾ [الواقعة: ٢٨]

(١) «الفاصلة» الحرف الأخير فى نهاية العبارة ـ فى «النثر» ـ كالقافية فى «الشعر» والقافية خاصة بالشعر والسجع خاص بالنثر وسمى السجع سجعاً تشبيها له بسجع الحمام.

ثم ما طالت فقرتُه الثانية، نحو قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هَوى[١] مَا ضَلَّ صَاحِبُكم وما غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢] ثم ما طالت ثالثتُه، نحو قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٥-٧] ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه، أشبه العِثار، ولا يحسُن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم المعانى، ودلت كل من القرينتين على معنى غير ما دلت عليه الأخرى، وحينئذ يكون حلية ظاهرة فى الكلام.

والسجع: موطنه النثر.

وقد يجيء فى الشعر نادراً، مثل قوله: [مجزوء البسيط]

فنحنُ فى جزَلٍ ... والرومُ فى وجل

والبَرّ فى شُغل ... والبحر فى خجل

ولا يستحسن السجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلف والتصنع، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه، كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت.

٥ـ الموازنة

الموازنة: هى: تساوى الفاصلتين فى الوزن دون التَّقفية، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦] فإن مصفوفة ومبثوتة مُتَّفقان فى الوزن، دون التّقفية، ونحو قول الشاعر: [المتقارب]

أفادَ فَسَادَ وقادَ فَزَادَ ... وسادَ فجادَ وعادَ فأفْضَلَ

٦ـ الترصيع

التَّرْصيعُ: هو: «توازُن الألفاظ، مع توافق الأعجاز، أو تقاربُها»، مثال التوافق: نحو قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣] ومثال التقاربُ: نحو قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات، الآيتان: ١١٧، ١١٨].

٧ـ التشريع

التَشريعُ: هو: (بِناءُ البيت على قافيتين، يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما).
كقول الشاعر: [الكامل]

يا خـــاطبَ الدُّنيـــا الدنيَّة إنـهـــا	شـــــرَكُ الـردَّى وقَرارةُ الأقـــــذار
دارٌ مـتى مـا أَضـحكت فى يومـهـا	أَبكـتْ غــــدًا تبًّا لـهـــا من دارِ
وإذا أَظلَّ سـحـابهـا لم ينـتـفع	منه صـــدى لجـــهَامـــه الغـــرَّار
غـــاراتهـا لا تَنـقـضى وأَسـيــرُها	لا يُفـــتـــدَى بـجــلائل الأخـطار

فـتكون هذه الأبيـات من بحـر الكامل ويصح أيضـاً الوقـوف على «الرَّدَى» «وغَدَا» و«صدَى»، و«يفتدى»، وتكون إذاً من (مَجزُوء الكامل) وتقرأ هكذا:

يا خـــاطـبَ الدُّنـيـــا الدَّنـــ	ـــيَّة إنّهـــا شـــرك الرَّدى
دَارٌ مـتـــى مـــا أَضـحـكتك	فـــى يـومـهـــا أبكــــت غـداَ
وإذا أظـــلّ سـحـــابُهـــا	لـــم ينتـفع منـــه صـــدى
غـــارتـهـــا لا تنقـــصـــى	وأَسـيــرُهـــا لا يُفـتـــدَى

وكقوله: [الكامل]

يا أيها الملك الذى عمَّ الورى	ما فى الكِـرام له نَظيرٌ يُنظرُ
لو كان مثَلك آخرٌ فى عصرنا	ما كان فى الدنيا فقير مُعسرُ

إذا يمكن أن يقال أيضاً فى هذين البيتين: [مجزوء الكامل]

يا أيها الملك الذى	ما فى الكرام له نظيرٌ
لو كان مثَلك آخرٌ	ما كان فى الدنيا فقيرُ

٨ ـ لزوم ما لا يلزم

لزومُ ما لا يَلزمُ: هو: (أن يجئ قبل حرف الرَّوىِّ، أو ما فى معناه من الفاصلة، بما ليس بملازمة فى التّقفية، ويُلتزم فى بيتين أو أكثر من النظم أو فى فاصلتين أو أكثر من النثر) نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فلا تَقْهر (٩) وأَمَّا السَّائِلَ فلا تنهر﴾ [الضحى: ٩, ١٠].

وكقول الطُّغْرائى فى أول لاميته المشهورة: [البسيط]

أصالةُ الرّأى صانتْنى عن الخَطَلِ ... وحِلية الفضلِ زانتنى لدى العَطَلِ

وكقوله:

يا مُحرقاً بالنَّار وَجْـــه مِحبِّه ... مَهلاً فإنّ مدامعى تُطفيه

أحرق بها جَسدى وكلّ جوارحى ... واحرص على قلبى فإنّك فيه

[الكامل]

وقد يُلتزم أكثر من حرف، مثل قوله: [السريع]

كُلْ واشرب الناس على خِبْرة ... فهم يمرُّون ولا يعذبـــون

ولا تُصدِّقهم إذا حَـــدّثُوا ... فإنّهم من عهدهم يكذبون

٩ ـ رَدُّ العجز على الصدر[1]

أ ـ ردُّ العجزُ على الصّدر: فى النّثر هو: (أن يُجعلَ أَحدُ اللّفظين، المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما بأنَّ جمعَهما اشتقاق أو شبهُهُ فى أول الفقرة، ثم تعاد فى آخرها)، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاه﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقولك: «سائل اللّئيم يَرجعُ ودَمعه «سائل».

فَسائل الأول: من السؤال، وسائل الثانى: من السَّيلان.

ونحو قوله سبحانه: ﴿استَغْفِرُوا ربَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]

واللذان يجمعهما شبه اشتقاق، نحو قوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

---

(١) وتسمى التصدير.

ب ـ ردّ العجز على الصدر: فى النظم هو: أن يكون أحدهما فى آخر البيت، والآخر يكون:

إما فى صدر المصراع الأول، أو فى حشوه، أو فى آخره (١).

وإما فى صدر المصراع الثانى نحو قوله: [الطويل]

سريعٌ إلى ابن العَمّ يَلطِمُ وجهه ... وليس إلَى دَاعِى النَّدَى بسريعِ

وقوله:

تمتع من شَمِيم عـــرَار نَجدٍ ... فما بعدَ العَشِيَّة من عَـــرار

[الوافر]

وقوله:

ذَوائبُ سُود كالعناقيد أُرسلت ... فمنْ أَجلها مِنَّا النفوسُ ذَوائبُ

[الطويل]

١٠ـ ما لا يستحيل بالانعكاس

مالا يستحيل بالانعكاس: هو: كون اللفظ يُقرأُ طَرْداً وعكساً نحو: كن كما أمكنكَ، ﴿وربَّك فكبِّر﴾.

وكقوله:

مَوَدَّتُه تدوم لكلِّ هَوْلٍ ... وهـــل كلٌّ مَودَّتُه تَدوم

[الوافر]

١١ـ الموارية

الموارية: هى. أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يُغيِّر معناه بتحريف، أو تصحيف. أو غيرهما، ليَسْلم من المؤاخذة كقول أبى نواس : [المتقارب]

لقد ضاع شِعْرى على بابكم ... كما ضاع عِقْدٌ على خالصه

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال أبو نواس: لم أقل إلا:

لقد ضَاءَ شِعْرى على بابكم ... كما ضاء عقدٌ على خالصه

(١) كقوله: ومَنْ كان بالبيض الكواعب مُغرماً ... فما زلت بالبيض القواضب مُغرماً

١٢ ـ ائتلاف اللفظ مع اللفظ

ائتلاف اللفظ مع اللفظ: هو: كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل، مثل قـوله سبحانه: ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٥].

لما أتى: بـ (التـاء) التى هى أغربُ حـروف القـسم، أتى: بـ(تَفْتَأُ) التى هى أغربُ أفعال الاستمرار.

١٣ ـ التسميط

التسميط: هو: أن يجعل الشاعر بَيته على أربعة أقسام:

ثلاثة منها عـلى سَجع واحدٍ، بخلاف قـافية البـيت كقـول جنوب الهُذَلْية: [المتقارب]

وحَربٍ وَرَدْتَ وثغْرٍ سَدَدْتَ وعِلْجٍ شَدَدتَ عليه الحِـبَالا

وقوله:

فى ثَغرة لَعَسٌ فى خَدّه قَبَسٌ فى قَدّه مَيَسٌ فى جسمه تَرَفُ

[البسيط]

١٤ ـ الانسجام أو السهولة

الانسجام: أو السهـولة: هو: سلامة الألفاظ، وسهولة المعانى مع جـزالتهما وتناسُبهما مثل قول الشاعر: [المنسرح]

ما وهبَ الله لامـرئ هِبةً أفضلَ مِن عقله ومن أدبة

هما كمالُ الفَتى فإن فُقدا ففقـده للحـياة أليقُ بـهْ

١٥ ـ الاكتفاء

الاكتفاء: هو: أن يَحْذفَ الشاعر من البيت شيـئاً، يستغنى عن ذكره، بدلالة العقل عليه، مثل قول الشاعر: [المتقارب]

فإنَّ المنيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فسوفَ تُصَادمه أينما

أى: «أينما تَوجَّه».

١٦ ـ التطريز

التطريز: هو: أن يكون صدر النثر أو الشِّعر مُشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ويكون العجزُ صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل: [الوافر]

وتَسْقينى وتَشربُ من رحيقٍ ... خَليقٍ أن يُلَقَّبَ بالخلوقِ
كأنَّ الكأسَ فى يَدِهَا وفيهاً ... عَقيق فى عقيق فى عقيقِ

نموذج

بين ما فى الأبيات الآتية من المحَسنات اللفظية:

١ ـ عضّنا الدّهر بنابه ... ليت ما حلّ بنابه[1]
[مجزوء الرمل]

٢ ـ إلى حَتفى سعى قدمى ... أرَى قدمى أراق دمى[2]
[مجزوء الوافر]

٣ ـ لئن أخطأتُ فى مدحـ ... ـك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى ... بواد غير ذى زرع[3]
[مجزوء الوافر]

٤ ـ وفى الحديث «اللهم أعط مُنفقاً خَلفاً، وأعط مُمسكاً تَلفا»[4]

٥ ـ قد بُلينا فى عصرنا بأناس ... يظلمون الأنام ظلماً عمَّا
يأكلون التُّراث أكلاً لَمًّا ... ويحبون المال حُبًّا جَمًّا[5]
[الخفيف]

٦ ـ وإن أقرّ على رَقٍّ أنامله ... أقر بالرق كُتَّاب الأنام له[6]
[البسيط]

---

(١) جناس تام بين بنابه» الأولى أحد الأسنان والثانية مركبة من (بناء به)

(٢) ـ بين قدمى، انظر، قدمى أراق دمى.

(٣) اقتباس من القرآن انظر الثانى من البيت الثانى.

(٤) سجع مرصع.

(٥) اقتباس من القرآن الكريم.

(٦) جناس تام بين أنامله، الأنام له.

خاتمة

فى السرقات الشعرية وما يتبعها

السَّرِقَةُ: هى أن يَأخُذَ الشَّخْصُ كلامَ الغير ، وينسبه لنفسه.

وهى ثلاثة أنواع: نَسْخٌ، ومَسْخٌ، وسَلْخٌ.

أ ـ النَّسْخ: ويُسَمَّى: انتحَـالاً أيضاً: هو أن يأخذ السَّارق اللفـظ والمعنى معًا، بلا تغيير ولا تبـديل، أو بتيديل الألفاظ كلّها، أو بعضهـا بمُرَادفها، وهذا مذموم، وسرِقة مَحضة، كما فعل عبد الله بن الزبير بقول مُعَنْ بن أوس: {الطويل}

إذا أنْت لـم تُنـصف أخـاك وَجَدْتَـهُ ... علـى طَرَف الهِجـرَان إن كان يعـقل

ويركـبُ حدّ السَّيـف من أن تُضِيـمَه ... إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مَزحل

وأمَّا تبديل الألفاظ بمُرَادفها، كما فُعِل بقول الحُطَيْئَة: {البسيط}

دَع المكارمَ لا تَرْحــــل لبُغيتها ... واقعد فإنك أنت الطّاعم الكاسى

فقال الآخر: {البسيط}

ذَرِ المآثر لا تذهــب لمطلبهــا ... واجلس فإنك أنْتَ الآكل اللاَّبس

وقريب منه: تبدّل الألفاظ بضدّها، مع رعايـة النّظم والترتيب، كما فُعِل بقول حَسَّان رضى الله عنه: {الكامل}

بِيض الوجوه كـريمةٌ أحسابُهم ... شمُّ الأنـوف مـن الطِّرَاز الأول

فقال غيره: {الكامل}

سُود الوجـوه لئيمةٌ أحسابُهـم ... فُطس الأفوف من الطِّرَاز الآخـر

ب ـ والمَسْخ: أو الإغارة: هو: أن يأخذ بـعض اللّفظ، أويُغَيِّر بـعض النّظم، فإنِ امتاز الثانى بحسن السبك فممدوح، نحو قول الآخر: {البسيط}

من راقب الناس لم يظفرِ بحاجته وفـازَ بالطيبات الفاتك اللهج

مع قول غيره: {البسيط}

من راقبَ الناس مـــات همًّا وفــــازَ باللذَّة الجـــسور

فإن الثانى أعذب وأخضر، وإن امتاز الأول فقط فالثانى مذموم.

وإن تساويا فالثانى لا يذمّ، ولا يمدح، والفضل للسابق.

جـ ـ والسَّلخُ: ويُسَمَّى: إلماماً: وهو: أن يأخذ السَّارقُ المعنى وحده، فإن امتاز الثانى فهو أبلغ، نحو قول الشاعر: {الطويل}

هو الصنع أن يعمل فخير وإن يرث فللرّيثُ فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره: {الخفيف}

ومـــن الخـــير بُطء سَيبك عنِّى أسرع السُّحب فى المسير الجهام

وإن امتاز الأول، فـالثانى مذمـوم، وإن تماثلا فهـو أبعد عن الذم، كـقوله: {الوافر}

ولـــم يك بك أكثر الفتيان مالاً ولكن كـــان أرحبهم ذراعـــا

مع قول الآخر: {المتقارب}

وليس بأوسمهم فـى الغنـــى ولكـــن معـــروفه أوســـع

ويتّصل بالـسرقات الشعرية، ثمانـية أمور: (الاقتباس، والتضـمين، والعَقد، والحلّ، والتّلميح، والابتداء، والتّخلص، والانتهاء).

١ ـ الاقتباس: هو أن يُضمّن المتكلم منثوره، أو منظومة، شيئاً من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من النثر:

فلم يكن إلاّ كلمح البصر، أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب.

ونحو قول الحريـرى: «أنا أُنبئكم بتأويلـه، وأميّز صحيح القول مـن عليله».

وكقول عبـد المؤمن الأصفهانـى: لا تَغُرَّنّكَ من الظَّـلمَة كثرة الجيـوش والأنصار، ﴿إنما يُؤخِّرُهُمْ ليوم تشخصُ فيه الأَبْصَارُ﴾ {إبراهيم: ٤٢}، ومثاله من الشعر قوله:

وثغــــر تنضــــد مــــــــن لؤلــــؤ   بــألــبــاب أهــل الـــهــوى يَــلــعــبْ
إذا مــا ادلــهــمّتْ خــطـوب الــهــوى   يكــــــاد سَــنَا بَرقِــــه يَــذهــــــبْ

[المتقارب]

وكقول الشاعر الآخر: [السريع]

لئن كنت أزمعت عـلـى هجـرنـا   مـن غيـر مـا جُرْمٍ فـصبرٌ جـميـل
وإن تــبــدّلــت بــنـــا غــيــرنــا   فـحـسـبـنـا اللهُ ونــعــم الــوكـيـل

وكقول القائل الآخر: [الخفيف]

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلـ   ـم وأنكرّ بكل ما يُسْتَطاع
يــوم يــأتــى الحــســاب مــا لِـظَـلـوم   مــن حـمـيـم ولا شـفـيـع يُـطـاع

وكقول بعضهم: [الكامل]

إن كــانت الــعــشاق مــن أشــواقهــم   جعــلوا النّـسيم إلــى الحبيــب رسولا
فــأنا الــذى أتــلــو لهــم يــا لــيتــنــى   كنــت اتخــذت مع الــرسول سبيلا

وكقول الشاعر: [الكامل]

رحلـوا فلَـستُ مُـسائـلاً عن دارهـم   «أنـا باخِـعُ نَـفسـى عـلـى آثارهـم»

وكقول الآخر: [الوافر]

ولاح بــحــكــمــتـــى نــور الــهــدى   فــى لــيــالٍ لــلــضلالــة مُــدلَــهِـمّة
يــــريــــد الجاهــلـــــون لــيطفـئوه   ويَأبـــــــى الله إلا أنْ يُتمّمه

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه، وكقول الحريري أيضاً: وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة.

ومثاله من الحديث في الشعر قول الشاعر: [مجزوء الرمل]

قــالَ لِــــى: إنّ رَقـيـبـــى ـــــيئ الخُلـــق فـــداره
قلـت: دعنى وجـــهك «الجــ ـــــنة حُفَّـــت بـالمكـارهْ»

وكقول الشاعر: [الطويل]

فلو كـــانت الأخـلاق تحـــوى وراثة ولو كـــانت الآراء لا تتـــشـــعّبْ
لأصـبح كل الناس قد ضـمَّهم هوى كـمـا أن كل الناس قـد ضـمَّهم أبْ
ولكنـهـا الأقــدار «كـــــلٌّ مُيسَّرٌ لما هــــو مـــخلـوق له» ومُقَرَّبْ

وكقول القائل: [الرمل]

لا تـعــــادِ الـنَّاس فى أوطـانهـم قَلّمــا يرعـى غـــريبُ الـوطن
وإذا مــــا شِئتَ عـيـشـاً بينهم خـالِــق الناس بخُــلقٍ حَسَــن

٢ ـ والتَّضمين: هو: أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التَّنبيـه عليه إن لم يكن مـشهـوراً لدى نقاد الشعـر، وذوى اللسن، وبذلك يَزْدَادُ شعرهُ حُسْناً، كقول الصاحب بن عبَّاد: [البسيط]

أشكو إلـيك زمـــانـاً ظل يعـــركنى عـرك الأديم، ومن يعـدو على الزمن
وصـاحبـاً كنت مغـبـوطاً بصحـبتـه دهراً فـــغــادرنى فـــرداً بـلا سكن
وباع صـــفـــو وداد كنت أقـــصـــره عليـه مـجـتـهـداً فـى السـر والعلن
كـــأنـه كـــان مـطوياً عـلى إحَنٍ ولم يكن فـى قـديم الدهر أنشـدنى
(إن الكرام إذا مـــا أيســـروا ذكـــروا من كـان يألفـهـم فى المنزل الخشن)

وكقوله : [المتقارب]

إذا ضاق صدرى وخفت العدا … تمثلت بيتاً بحالى يليق

فبالله أبلغ ما أرتجى … وبالله أدفع ما لا أطيق

وكقول الحريرى: يحكى ما قاله الغلام الذى عرضه أبو زيد للبيع: [الوافر]

على أنى سأنشد عند بيعى: … أضاعونى وأى فتى أضاعوا

فالمصراع الأخير للعرْجى وهو محبوس وأصله: [الوافر]

أضاعونى وأىّ فتىً أضاعوا … ليوم كريهةٍ وسِداد ثغر

وصبر عند معترك المنايا … وقد شرعت أسنتها بنحرى

٣ـ والعقد: هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص، ليدخل فى وزن الشعر فعقد القرآن الكريم، كقوله: [الوافر]

أنلنى بالذى استقرضتَ خطًّا … وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإنّ اللهَ خلاَّقُ البرايا … عنت لَجلال هيبته الوُجُوه

يقول: «إذا تداينتم بدين … إلى أجل مسمى فاكتبوه»

وعقد الحديث الشريف كقوله: [البسيط]

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدَة … بالأذن من ربها تهوى وتأتلفُ

فما تعارف منها فهو مُؤْتَلفٌ … وما تناكر منها فهو مُختلفُ

وكقوله: [البسيط]

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا   سبحانه خلق الإنسان من عَجَل

٤ - والحل: هو نثر النظم وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع كقوله: [الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهُّم

٥- والتلميح: هو الإشارة إلى قصة معلومة، أو شعر مشهور، أو مثل سائر، من غير ذكره. فالأول: وهو الإشارة إلى قصة معلومة نحو: [المجتث]

يا بدر أهلك جاروا   وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى   وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ما أرادوا   فإنهم أهل بدر

وكقوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

أشار يعقوب فى كلام هنا لأولاده، بالنسبة إلى خيانتهم السابقة فى أمر أخيهم يوسف، ونحو قول الشاعر: [الطويل]

فوالله ما أدرى أأحلام نائم   أَلَمّتْ بنا أم كان فى الركب يوشع

والثانى: وهو الإشارة إلى شعر مشهور، نحو قول الشاعر: [الطويل]

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تَلتظى   أرقّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر: [البسيط]

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث: وهو الإشارة إلى مثل سائر من غير ذكره، نحو قول الشاعر:

من غاب عنكم نسيتموه   وقلبه عندكم رهينه

أظنكم فى الوفاء ممنْ   صُحبته صُحبة السفينه

٦ ـ **وحسن الابتداء: أو براعة المطلع:** هو أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعانى، مستقلاً عمَّا بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يعرف مما عنده.

قال ابن رشيق: «إنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح» وذلك مثل قول الشاعر: [البسيط]

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

وتزداد براعة المطلع حسناً، إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة.

وتسمى براعة استهلال[1] هى أن يأتى الناظم، أو الناثر فى ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه، بالإشارة لا بالتصريح.

قول أبى محمد الخازن مهنئاً الصاحب بن عباد بمولود: [البسيط]

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

وقول غيره، فى التهنئة ببناء قصر: [الكامل]

قَصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٌ خلَعَتْ عليه جَمَالَها الأيامُ

وقول المرحوم أحمد شوقى بك فى الرثاء : [الكامل]

أجل وإن طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

وقول آخر فى الاعتذار: [الوافر]

لِنار الهم فى قلبى لهيب فعفواً أيها الملك المهيب

وقد جاء فى الأخبار أن الشعر قفل، وأوله مفتاحه.

٧ـ **والتخلص:** هو: الخروج والانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجمل المعانى آخذاً بعضها برقاب بعض بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام. ومنه قول الشاعر: [الكامل]

---

(١) وبراعة الطلب. يشير الطالب، إلى ما فى نفسه، دون أن يصرح بالطلب، نحو (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى منْ أهْلى) إشارة إلى طلب النجاة لابنه.

وإذا جلستَ إلى المدام وشُربها   فاجعلْ حديثك كله فى الكأس
وإذا نزعتَ عن الغِواية فليكن   (لله) ذاك النَّزعُ لا للناس
وإذا أردت مديح قومٍ لم تُلَم   فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقوله:

دعتِ النوى بفراقهم فتشتتوا   وقضى الزمان بينهم فتبددوا
{الكامل}

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطة بينهما، ويسمى ذلك: «اقتضاباً» كقول أبى تمام: {الخفيف}

لو رأى الله أن فى الشيب خيراً   جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
كل يوم تُبْدِى صروفُ الليالى   خُلقاً من أبى سعيد غريبا

٨ ـ **وحسن الانتهاء:** ويقال له حسن الختام هو: أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ. حسن السبك، صحيح المعنى. مشعراً بالتمام حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به.

يعنى: أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً، لتبقى لذته فى الأسماع مؤذناً بالانتهاء بحيث لا يبقى تشوقاً إلى ما وراءه كقول أبى نواس: {الطويل}

وإِنِّى جديرٌ إذ بَلَغْتُك بالمنى   وأنت بما أملتُ فيك جديرُ
فإِنْ تُولِنِى منك الجميلَ فأهله   وإلا فإِنِّى عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره: {الطويل}

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله   وهذا دعاء للبريَّة شاملُ

وقال ابن حجة: [الطويل]

عَلَيْكَ سَـــــلامٌ نَشْرُه كُلَّمَا بَدَى ... بـه يَتَغَالَـى الـطِّيـبُ والمِسْكُ يُخْتَمُ

وقال غيره: [البسيط]

مَـا أسْــألُ اللهَ إلا أنْ يدوم لـنا ... لا أَنْ تَزِيدَ مـعـاليـه فـقـد كـملتْ

أقوال أئمة العلماء الأعلام، وآراء الأساتذة الكبار فى تقدير كتاب.

جواهر البلاغة

كتب أستاذى المرحوم صاحب الفضيلة حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر:

الحمد لله العلى القدير، والصلاة والسلام على النبىّ البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير.

«أما بعد» فقد اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) الذى حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل «السيد أحمد الهاشمى» الحائز لكمال الفضائل فوجدته كتاباً نفيساً، قد اشتمل على بيان بديع المعانى؛ بأفصح عبارة، وأبلغ إشارة وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد، فجاء فريداً فى بابه، مرغوباً ونافعاً لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة فى الدارين والسيادة ويوفقه للتعلُّم والتَّعليم ويهديه إلى الصراط المستقيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وكتب المغفور له سماحة السيد على الببلاوى شيخ الجامع الأزهر:

أحمد من رصع تاج اللغة العربية «بجواهر البلاغة» فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأصلى وأسلم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل: (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم فى صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا: وقد تصفحت جملة من كتاب (جواهر البلاغة) الذى أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرة الفاضل، المجد الكامل، الأستاذ «السيد أحمد الهاشمى» فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف التمام، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالته المنشودة، التى طالما أبعدته عنها صعوبة

المؤلفات السابقة فى مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل، فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبى الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه الخير والنفع، إنه سميع الدعاء.

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية:

اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) فى علوم المعانى والبيان والبديع والسرقات الشعرية، فوجدته كتاباً عظيماً. وأسلوباً حكيماً، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل، بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

وكتب أخونا الأستاذ الشيخ أحمد الكنانى المدرس فى المدرسة التوفيقية سابقاً:

الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه، المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم صراط الذين حازوا أفضل العلم والتعليم، ونصلى ونسلم على أبى إبراهيم المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سيدنا محمد ذى المقام الأسمى الذى أنزل عليه فى محكم كتابه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً﴾ وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتباعه.

«أما بعد» فإن خير الكتب ما عم نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعه، وكان متقن البيان، واضح الحجة، قوى البرهان، وإن كتاب (جواهر البلاغة) لمن خير الكتب وضعاً وأحسنها اختياراً وصنعاً، لمؤلفه الفاضل الأستاذ «السيد أحمد الهاشمى» فإن لحضرته من التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة ما تقر به أعين الناطقين بالضاد ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لا سيما هذا السفر الجليل، الذى جاء دليلاً على إخلاصه فى النية لأبناء أمته، وبرهاناً ساطعاً على وفائه وحسن طويته فقد جمع فيه ما تفرق، بعد أن حقق ودقق، فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان، فالله أسأل أن ينفع ـ بالمؤلَّف والمؤلِّف ـ العباد ويجعله بفضله كنزاً وذخراً إلى المعاد. آمين.

فهرس جواهر البلاغة